العبارات الثالثة

بَرَكت ناقة الحكمة عند منزلي . فركبتها طالباً أعلى المعالي
فشهدت حديقة القرءآن ترتوي . بنور الروح ذي الشرف العالي
وجلسنا نُنشد الشعر العربي . بتأويل لا مفرط ولا بالغالي
حتى إذا استعدّ العقل مِنّي . رأيت معشوقاً لم يخطر ببالي
وضع لسانه في ذات لساني . فضاقت عن العلم كل أزمالي
تلقّيت فألقيت أخذت وأعطيت . وبلغت بالتعليم جميع آمالي.

.......—.......

النفس إمّا خالدة وإما فانية.

فإن كانت خالدة، فالخشية على الفناء تصير باطلة. ولأننا نشهد فناء البدن، فتصير النفس شيئاً غير البدن. وبما أنها غير البدن، فخصائص الطبيعة لا تحيط بها، بالتالي النفس فوق الطبيعة. وبما أنها فوق الطبيعة، والباقي خير من الفاني، فالذين يعيشون بناء على خصائص النفس ويمركزون حولها خير ممن يعيشون بناء على خصائص البدن ويتمركزون حول الأفكار والقِيم المستمدة من تلك الخصائص.

وإن كانت النفس فانية، فالخشية على الفناء تصير باطلة. لأننا نعلم أن الفناء قادم لا محالة، وما لابد من حدوثه لا فائدة من الخشية الجوهرية منه. وبما أن النفس عين البدن، والبدن فاني، فالذي يعيشون بناء على أفكار تفترض بقاء البدن يعيشون في أوهام. وبما أن البدن مفترق عن بقية الأبدان، فالأنانية هي الأصل، فإذا وجدنا أهل هذه النظرة يدعون إلى شئ يضادّ الأنانية البدنية المادية البحتة يكونون في تناقض جوهري لا رافع له.

فسواء افترضنا خلود النفس أو فناء النفس، على الوجهين لا معنى للخشية من عين الموت.

نعم، قد تخشى من الموت المبكّر، لكن الخشية من عين الموت فلا. مع ملاحظة أن "مبكّر" تفترض علمك بعمرك "الحقيقي" و "قدرك المحتوم" أو "حدّك الطبيعي"، وبناء على مقايستك بين هذا العمر وبين عمر موتك يصح لك الحكم بأن موعد موتك كان "مبكّراً". لكن السؤال هو: أنت هنا تبني على رؤية الفناء والعدمية، وهي نظرة بدنية طبيعية مختزلة، فمن أين أتيت بالمعيار الكمّي وتفضيل "طول" العمر على "قصره"؟ فأنت حين تفعل ذلك تمارس عملًا عقلياً تخيّليّاً، وتتخذ معياراً فكرياً تجريدياً، وهذه ليست أعمالًا بدنية كالأكل والشرب والجماع والنوم والراحة إجمالًا.

قد نقول: إن الرفعة سبب للراحة. لأننا حين نتخذ وسائل الرفعة، فإننا نجلب لأنفسنا الراحة من حيث عدم حاجتنا للعمل بنفس القدر الذي كنّا سنعمله لو لم تكن عندنا تلك الوسائل، أو جودة الأشياء التي نستمتع بها لن تكون عينها في حال عدم رفعتنا بعين تلك الرفعة. فالرفعة وسيلة للراحة، والراحة هي مطلب البدن الجوهري، والتعقل والتخيّل والتفكير والتجريد كل هذه وسائل لجلب الراحة للبدن من وجهين: الأول أنها تضمن أحسن وسائل الراحة، والثاني أنها أشغال فيها إنفاق لطاقة النفس في الأوقات التي لا يحتمل فيها البدن الأكل أو الجماع أو النوم، أي أنها فواصل جيّدة بين فترات التمتع، وهي أيضاً مريحة لأنها لا تعتمد على شئ خارجي لابد من تملّكه وإنما تكتفي بالحواس كبوّابة وقواعد الذهن للتفكير والربط بين المفاهيم وإنشاء الصور الخيالية ذات البُعد الحسّي.

ثم نحن نعرف الموت عن طريق معرفة النوم، والفرق بينهما بالدرجة وليس بالجوهر. ولأننا نجد لذّة أكبر حال اليقظة، سواء كانت اليقظة التامّة بعد الاستيقاظ من النوم أو أثناء الأحلام الجيدة والأحلام

تخيّل قوي يشبه التخيّل أثناء اليقظة لكن بقوّة أكبر من وجه إلا أنه أسوأ من التخيّل أثناء اليقظة من حيث عدم قدرتنا على التحكم به أو على نسيان أنفسنا أحياناً أثناء المشاهدة. فاليقظة خير من النوم الذي هو أخو العدم، والتخيّل أثناء اليقظة خير من التخيّل أثناء النوم بالحلم لأن فيه تحكُّم أكبر واستقلالية وقدرة على تغيير الصورة في حال برزت صورة غير مرغوبة. ثم نحن نعرف الموت من وجه آخر وهو رؤيتنا للذين يموتون من الأقارب أو الأباعد، وكذلك حين نقرأ كتب التاريخ وكتب المؤلفين الموتى الآن ونجد الفرق بين حياتهم الظاهرة في كلماتهم ووضعهم الآن في العدم بحسب الطبيعة. فنحن نعرف القدر اللازم عن الموت إذن بأنفسنا وبغيرنا.

أما عن أسباب حصول الموت: فإن كان سبب الموت شئ وراء الطبيعة، لما أمكن حصول الموت بسبب من الطبيعة. أنا الآن أستطيع خنق نفسي أو أقطع وريدي أو أطلق على رأسي رصاصة في صلب الدماغ فيصيبني الموت. أستطيع الامتناع عن الطعام والشراب، وغير ذلك من أسباب معروفة. وعلى ذلك، تنتهي الحياة بحدوث خلل في أسباب الحياة البدنية. والأصل في ذلك تدهور الصحة، ومعناه تلف الأعضاء. وقد يحصل التلف بسبب خارجي كالضرب أو سبب داخلي كالجوع والتسمم. وعكس التلف التجديد. وعلى ذلك: التلف سبب الموت، والتجديد سبب الحياة. والبدن يميل إلى التلف بسبب العوامل الخارجية والداخلية، لذلك لابد من إحداث فعل ليتم التجديد المناسب لكل عضو. ولأن دراسة كل عضو ومعرفة التجديد المناسب والقيام بعملية التجديد أمر متعب ومرهق وفيه مجاهيل كثيرة، فضلًا عن عدم معرفة مدى جودة الحياة بعد القيام بعمليات التجديد المذكورة بعد عمر معيّن-أي بعد حدوث تلف معين- فقد يميل معظم الناس إلى التسليم بحقيقة الموت والقبول بها بعد فترة معينة. ومن هنا تأتي فكرة "مات مبكّراً" أو "عاش كفاية". وغالباً ما يكون ذلك بين الثمانين والتسعين. فلا تكاد تجد إنساناً بلغ التسعين إلا وينظر إليه الناس عموماً كحيوان يستحق الموت وقد جاء عمره ولا يحزنون كثيراً حين يموت كأنهم يتوقعون ذلك ويقبلونه.

تفرّع عن قبول الموت، سواء بسبب الجهل بأسباب الحياة أو صعوبة تجديدها باستمرار، تفرّعت فروع متعددة منها التنظير لقبول الموت. ومن تلك النظريات فكرة خلود النفس. هذه الفكرة نافعة حتى لو كانت باطلة. لكن لو كانت باطلة، فستتفرع عنها أضرار وغلو في أكثر من ناحية. ومن ذلك تمحور الحياة حول فكرة الموت بدلًا من حقيقة الحياة، من باب "الإعداد للموت" بعمل أشياء معيّنة قد يكون معظمها مضاد للحياة ولحيوية الحياة. ومن ذلك استعجال بعض الناس بالموت، كالدعاء على النفس أو ارتكاب الجرائم المؤدية لعقوبة القصاص أو الانتحار أو اللامبالاة بقتل الآخرين بعدل أو بظلم. فكرة خلود النفس نافعة لكن بقَدَر معيّن. فالتوازن ضروري في الباب ومحورية الحياة والقوّة والحيوية واللذة لابد من الحفاظ عليها. والأمم التي اعتادت على التقشف والفقر والجهل، وتبلّد حسّها للحياة بدرجة كبيرة من جرّاء ذلك، مثل هذه الأمم حين تأتيها فكرة خلود النفس ولو بشئ من الإقناع البسيط قد تأخذها وتذهب بها كل مذهب وتبالغ فيها وتزيد من فقر الحياة وجهلها وتعاستها لكن هذه المرّة بحجّة خلود النفس. ومن ذلك استعمال النخبة لفكرة خلود النفس لإقناع العوام بالصبر على الاستغلال والاستعباد. وأمثلة كثيرة تجعلنا نجزم بأن الإيمان بخلود النفس هو أحسن فكرة للإنسان وأسوأ فكرة للإنسان في نفس الآن. فليحذر أصحاب العرفان.

...

{ظلمات بعضها فوق بعض}
الظلمات جمع وكثرة. {ظلمات} وليس: الظلام، أو الظلمة. ثم زاد تأكيد هذا المعنى بقوله {بعضها فوق بعض} فالظلمات طبقات. والطبيعة تشهد: ألا ترى أنك لو أشعلت شمعة في غرفة مظلمة لا تستنير الغرفة كلّها، وكذلك تجد أن الحلقات الأقرب لرأس الشمعة أشد استنارة من الحلقات الأبعد، فالأقرب أنور من الأبعد ويتدرج النور حتى ينقطع عند حد معين. فالظلمات طبقات وحلقات متّصلة منفصلة في آن واحد. ومن هنا قيل أن الأقرب إلى الله أنور من الأبعد عن الله.

...

تحليل السؤال بعلم يكشف وجه الحواب.

...

الدليل على بطلان فكرة الطبقية الاجتماعية أنك لا تجد أبناء كل "طبقة" يسيرون بتلقائية أو حتى يسيرون دائماً على خطى الآباء في وظائف تلك الطبقة. فابن الملك قد يكون سفيهاً في الإدارة وضعيفاً في الإمارة. وابن التاجر قد يكون عالماً، وابن العالِم قد يكون جاهلًا لكنه تاجر ناجح، وابن الخياط قد يكون كاتباً وابن الكاتب قد يكون عربيداً، وبان العسكري قد ينتحر من القلق. محاولة إقناع رؤساء الطبقة لأبناءهم بالبقاء فى الطبقة والالتزام بمعاييرها وقيمها وأغراضها، ووجود صعوبة في ذلك وأحيانا يستعملون شتّى أنواع القسوة والخداع في سبيل ذلك، هذا يدل على بطلان جوهر فكرة الطبقية الطبيعية. الطبقية رغبة سياسية تتلبّس بلباس النظرية الطبيعية والحقيقة الوجودية. وأسوأ الأفكار هي تلك التي تكون من باب "افعل" لكنّها تتلبّس بلباس زور "اعلم".

...

كلّما ازداد علمك بالاحتمالات التي قد تحدث لك وكلّما سددت هذه الاحتمالات بما يرضي نفسك، كلّما ازداد يقينك وقوّتك في العمل. احذر منافذ السوء، وهي احتمالات قد تعيها وقد لا تعيها بالرغم من وجودها، ولا تكون قد سددتها بما يكفي من أفكار وحقائق مرضية لنفسك على الحقيقة، ليس كل رد يكون كالسد، قد تردّ لكن لا تسدّ.

...

الإخلاص أن تعقل فتعمل.
الرياء أن تنظر لغيرك فتعمل. والغير قد يكون الناس عموماً من أهل أمّتك وقومك، وقد يكون من يشاركونك في طبقتك ولهم صلة أعمق وأقرب بك كأن تكون كاتباً ويكونوا من الكُتّاب أو تكون جندياً ويكونوا من الجنود، وقد يكون من أعدائك وخصومك في جنس ذلك العمل. القوم والطبقة والخصم، احذر العمل من أجل رأي هؤلاء، حينها تكون صادقاً قويّاً وستجد أن عملك ممدوح ومُعتَبَر في قومك وطبقتك وخصومك حتى إن خالفوك وذمّوك من وجه آخر. مَن لا يبالي سيبالي به القريب والبعيد، مَن يبالي لن يبالي بن القريب والبعيد.
العمل قد يتوجّه للغير، لكن لا يكون الغير هو المحور الباعث وإن كان القابل. قد أعطي المسكين مالاً بحسب حاجة المسكين لكني لا أعطي المال من أجل رأي ذلك المسكين فيّ ولكن لرأيي أنا في العطاء ورعاية المساكين. الفرق دقيق لكنه مهمّ وخطير وشاسع.
العمل من العقل يؤدي إلى القوّة واللامبالاة بالنتيجة التي لا قدرة لك عليها.
العمل إن لم يكن من العقل سينبني على الأمل، والأمل أبو الخلل، والخلل يفسد العمل.
اعمل لأنك مستنير وقوي، وليس لأملك في غيرك.

...
عقبات الحرية:
الأولى الرضا بالهزيمة. فعليك أن تستشعر الهزيمة ولا تجد لها أثراً في نفسك ولا تتذكّرها.
الثانية الرضا بالخسارة. فعليك أن تخسر الأموال وتتركها ولا يتعلّق عقلك بها.
الثالثة الرضا بالمشقّة. فعليك التخلي عن المتع البدنية وتحمّل المشاق مع تجريد وعيك عنها.
الرابعة الرضا بالمذلّة. فعليك التعرّض لشتائم الغير وإهانتهم بالكلام والاستماع إليها وقبولها.
{وما أدراك ما العقبة}، عقبة أربعة أحرف، وهي أربع مراحل. فإن استطعت تجاوز هذه العقبة الرباعية، فحينها تكون قد نلت مقام {فكّ رقبة}، أي تحررت من كل عبودية لما هو في الطبيعة. ولا يكون ذلك إلا بالتحقق بذاتك، وذاتك هي نور مجرّد عن الطبيعة. فالهزيمة والخسارة والمشقّة والمذلّة بالنسبة لنور ذاتك مثل الغلبة والغنيمة والمتعة والفخامة، كل ذلك أشعة النور الواحد المتعالي الذي لا يخلو منه منظر طبيعي ومشهد نفساني. أنت نور، فلا تجعل ظلالك تحيط بك وتنسيك حقيقتك.
...
مصائب الدنيا ثلاثة:
قارئ يضطر إلى العيش مع غير القراء.
شهواني يضطر إلى صحبة الكسالى وأصحاب النفوس غير الحيوية والمتلذذة بالطبيعة.
عابد يضطر إلى وظيفة يكسب بها رزقه لكن تقسّي قلبه.
وعلاج هذه المصائب:
اجتماع القراء في مجالس خاصة بهم، يتعرّفون بها على أصحابهم ويتزّوجون من بعضهم البعض.
اجتماع الشهوانيين في نوادي خاصّة بهم، يمارسون فيها ما يشاؤون من شهوات بغير قيد خارجي.
اجتماع العبّاد في مساجد خاصّة بهم، لا يدخلها إلا مَن كان منهم ويغلقون وراءهم الباب.
...
الجنّة وسيلة وغاية. الوسيلة هي الذكر والقراءة. الغاية هي البسط والسعادة.

أصحاب النار إنما يريدون من الجنّة غايتها، لكنهم يرفضون وسيلتها. ولذلك هم في النار لأنهم أخذوا بوسائل أهل النار وأعمالهم الفاسدة.

إذا عرضت عمل أهل الجنّة على أهل النار، لرفوضوه وشتموك واعتبروا ما أنت فيه مجلبة للغمّ والهمّ والكآبة ولاستنكروا دعواك البسط والسعادة من الذكر والقراءة والكتابة. ولذلك هم في النار.

لذّة الذكر والقراءة تفسد أو تتكدّر إذا عاشرت شخصاً من أهل النار. لأنه بدخانه وناره سيفسد عليك رؤيتك وشجرك. ولا تستطيع أن تفرضها عليه لأن الفرض قهر، القهر النار، والنار ليست الجنّة. نعم، ورد في رواية دخول ناس الجنّة بالسلاسل. لكن هذه السلاسل تشير إلى أناس تعرّضوا للأسر في الحرب من المسلمين، فشاهدوا حسن معاملة المسلمين فدخلوا في دينهم فوصلوا إلى الجنّة. وقد تشير أيضا إلى أناس أوجب عليهم الحبّ وعدم الرغبة في مفارقة المحبوب القيام بعمل أهل الجنّة، ومع الوقت والاعتياد أو مع الفتح والتوفيق بدأوا يرون جمال هذا العمل فاستمسكوا به فوصلوا.

الذي يريد تحويل الناس إلى جهنّميين، أهم ما عليه فعله هو ربط الذكر والقراءة بعواطف سوداوية. فيكون الذكر قرين أوجه الشؤم (مثل الوهابية) أو المنع والتحريم لما هو محبوب بالفطرة أو لقمع النفس أو للدماء والمعاناة وما شاكل. وتكون القراءة قرينة الواجب المدرسي المكروه أو إجبار الذهن على تقبّل

معلومات لا يرى فائدتها ولا يفهم حقيقتها ولا غايتها أو أنها وسيلة بالمعنى الدنيوي لشئ غيرها منفصل عنها ولا علاقة له بها مثل المكسب المالي.

الجنّة في الذكر والقراءة. وأعلى درجاتها المشاهدة والكتابة. محلّك من الجنّة بحسب محلّ الذكر والقراءة والمشاهدة والكتابة منك. فانظر ماذا ترى.

...

(في تعريف الدين)

كما أنه تمت مراعاة جانب الشعائر والأمور المنفصلة عن السياسة والاجتماع بالقدر الفاعل في تعريف الإسلام، كذلك تمت مراعاة جانب العقائد المجرّدة والمنفصلة عن العمل والتأثير السياسي والاجتماعي المباشر في تعريف الإيمان. فخصاء الإسلام والإيمان تمّ بنفس الآلة القاطعة: قطع الناس عن أمور الأرض والدولة.

وتجد مثلًا في تعريف الإيمان، ورود رواية تقول {المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء، "الذين ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم"، وَ الذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، ثم الذي إذا أشرف على طَمَع تركه لله.} أقول: لاحظ أن الأجزاء الثلاثة كلّها لها جانب عملي وتأثيري في الأرض والغير، فالأول بالجهاد والثاني بالأمانة والثالثة بترك الطمع مع القدرة. وليس فيها الإيمان كعقيدة مجرّدة فقط كتلك المذكورة في الحديث المسمى بحديث جبريل المشهور التي فضّلها القوم لأنها من الإيمان المخصي وليس الإيمان الكامل الحيوي.

وفي رواية أخرى قال النبي صلى الله عليه وسلم {لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل رجل الجنّة لا يأمن جاره بوائقه.} أقول: هنا نجد وحدة شخصية المؤمن. فالإيمان والقلب واللسان والأمان في خط واحد، ويصنعون دائرة واحدة متكاملة متصلة. بينما في الظروف الكفرية التي نعيشها نجد أن الإنسان يضطرّ أن يكون إيمانه في طرف، وقلبه بتعقله وتفكره في طرف آخر ولسانه في طرف ثالث. لا تستقيم هذه الوحدة الشخصية إلا بوجود ظروف سياسية وقانونية ومالية معيّنة تسمح بها، فمثلًا لا يكون لسان المرء متّحد مع قلبه إلا في ظل ظروف قانونية ليس فيها معاقبة على الكلام. وكذلك لا يكون إيمان المرء متّحد مع قلبه بتعقله وتفكره في حال كانت الدولة تتدخل في التعليم وتفرض فكراً معيّناً بالجبر وتعاقب على الخروج عليه، وعلى هذا القياس تأمل الباقي. وحدة شخصية المؤمن تفترض نظاماً خاصّاً للعالَم يسمح بنمو شخصية متوحدة.

وفي رواية ثالثة سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم {ما الإيمان} -لاحظ نفس سؤال جبريل في الحديث المشهور، فقال النبي {أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن يكون الله ورسوله أحبّ إليك مما سواهما، وأن تُحرَق بالنار أحبّ إليك من أن تشرك بالله، وأن تُحبّ غير ذي نسب لا تحبّه إلا لله عزّ وجلّ، فإذا كنت كذلك فقد دخل حبّ الإيمان في قلبك كما دخل حبّ الماء للظمآن في اليوم القائظ}، فقال الرجل "يا رسول الله كيف لي بأن أعلم بأني مؤمن" فقال النبي صلى الله عليه وسلم {ما من أمّتي-أو هذه الأمّة-عبد يعمل حسنة فيعلم أنها حسنة وأن الله عزّ وجلّ جازيه بها خيراً، ولا يعمل سيئة فيعلم أنها سيئة واستغفر الله عزّ وجلّ منها ويعلم أنه لا يغفر إلا هو، إلا وهو مؤمن.}. أقول: لاحظ أوّلًا أنه ليس في تعريف النبي للإيمان هنا، لا الإيمان نفسه ولا علامته، ما يتطابق من كل وجه مع ما ذكر في حديث جبريل، وتوجد إضافات هنا ليست مذكورة هنا. والإيمان هنا شهادة وحبّ، علم وعمل. الله ورسوله أحبّ إليك، تحرق بالنار أحبّ إليك، تحبّ غير ذي نسب لله، فإذن محبّة الله ومحبة رسول الله ومحبّة فكرة توحيد الله ومحبة الناس لله. هذا كلّه من الإيمان. بينما لا نجد في حديث

جبريل إلا الإيمان كمجموعة من العقائد والمقولات، ولا تجد فيه محبة الناس بغض النظر عن النسب، ولا تجد فيه المحبة عموماً. ثم الإيمان في حديث جبريل ليس بالضرورة علماً أو عملًا، ولم يتم التصريح بذلك، أما هنا فنجد أن الإيمان علم {فيعلم أنها حسنة} وهو أيضاً عمل {يعمل حسنة..استغفر الله}. فالإيمان علم وعمل، شهادة ومحبّة. كل ذلك هو الإيمان. فتأمل أي اختزال وقع فيه تعريف الإيمان حين تم جعله كأنه عقيدة كاثوليكية من مجموعة مقولات لابد من ترديدها وادعاء قبولها.

الخلاصة: الإيمان يشمل الإيمان بالله ورسوله، والجهاد بالمال والنفس في سبيل الله، وأن يأمنك الناس على أموالهم وأنفسهم، وأن تترك الطمع لله، وأن تحبّ الله ورسوله، وأن تحبّ التوحيد والدين، وأن تحبّ الناس لله، وأن تعلم أمر الله وحساب الله، وأن تعمل بالحسنة وإن عملت السيئة تستغفر الله، هذا كلّه من الإيمان حسب نص رسول الله ويدلّ عليه كتاب الله. كل ذلك تم اختزاله، وصار الإيمان "هل تؤمن بأن القدر خيره وشرّ من الله أم لا؟ إن نعم فأنت مؤمن، إن لا فنستتيبك وإلا نقتلك". فتأمل.

ثم نجد أن معاذ بن جبل رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن عمل بدخله الجنّة، فقال النبي {تؤمن بالله واليوم الآخر وتقيم الصلاة وتعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً وتموت وأنت على ذلك}. ولم يذكر له صيام ولا حج ولا زكاة ولا غير ذلك. التوحيد والآخرة والصلاة، هذه الثلاثة تدخل الجنّة، فيمكن اعتبار هذه "أركان الإسلام" أيضاً إن كنّا سننظر في حديث عدد فيه الرسول ما يدخل الجنّة وكفى. وبعد أن قال النبي ما قاله مما سبق، قال لمعاذ {إن رأس هذا الأمر أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وإن قوام هذا الأمر إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وإن ذرة السنام منه الجهاد في سبيل الله..}. فهنا نجد الشهادة والصلاة والزكاة، ولا نجد الصيام والحج. ونجد الجهاد الذي لا نجده في حديث جبريل.

الحاصل: ليس كل حديث عدد النبي فيه ما هو الدين يعتبر هو الحديث الوحيد الذي من خالفه يكون قد خرج من الدين. الأحاديث كثيرة ومختلفة، وبعضها يجتمع في نقاط ويخلو من نقاط أخرى. فلا يجوز أخذ واحدة منها وعتبارها هي الأصل الأصيل المطلق الذي لا دين بدون ما ورد فيه، كما فعل أصحاب حديث جبريل والغلاة فيه على مر القرون.

...

لماذا لم يحتفل النبي بالعيد حين كان في مكّة؟ لأن العيد فرحة الأحرار وليس للعبيد. وفي مكّة كان النبي وأصحابه يعيشون في قهر الإكراه والخوف والاستعباد، وفي مثل هذه الحالة ينبغي العمل على التخلّص من ذلك القهر. وقل مثل ذلك في معظم باب المعاملات من الشريعة، وكثير من دقائق العبادات. هذه الأمور تتناسب مع الحرية في المدينة، وليس مع العبودية في مكّة. ونحن نعيش في هذه الحالة، وها هو العيد قد جاء ولا نجد في أنفسنا فرحة ولا لذّة له ولا نشعر بأنه حضر فعلًا. نسأل الله الخلاص "ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليّاً واجعل لنا من لدنك نصيراً".

...

النسب الشريف هو نور القرءآن. قال النبي صلى الله عليه وسلم "أشراف أمّتي حملة القرءآن". وأما النسب الفاطمي فإنه مثل اللسان العربي بالنسبة لنور القرءآن، فهو وعاء عظيم، لكن قد يحمل الإيمان وقد يحمل الكفر، ولذلك تجد في أهل البيت الفاطمي مَن هم على الشاكلتين، ولكن من تجربتي ومشاهدتي أقطع بأنك لا تجد أحداً من أهل البيت الفاطمي فعل فعلًا أو قال قولًا مهما كان كفرياً في الظاهر إلا وسيُلهمك خيراً إن نظرت إليه بعرفان وإيمان. ولم يكن أبداً النسب الفاطمي بحد ذاته سبباً للعظمة والقرب من الله ورسوله، بدليل أن النبي قال "سلمان منّا أهل البيت"، وبدليل أن عبد السلام بن

ميشيش صاحب الصلاة المشيشية المعروفة عند أهل الطريقة قد كان من أهل البيت ومع ذلك يقول "اللهم ألحقني بنَسَبه" يشير إلى حقيقة النبي صلى الله عليه وسلم، ولو كانت المسألة دموية لما أمكن إلحاق أحد بنسب أحد ولا عدم إلحاقه لأنها قضية مفروغ منها.

...

الأنبياء في القرءآن هم درجات كمال النفس. وكل نبي اسم لكمال من هذه الكمالات، وبينهم اتّصال في الصفات ومن كل واحد تجد باباً يدخلك على الذي بعده. انظر بهذه العين ولا تكفر.

...

اليهودي مَن كان يرى نفسه ضعيفاً ولا وسيلة لجبر ضعفه إلا بالتعلّق بقوي غيره. ولذلك يعبدون الأقوياء في الدنيا كالأمراء والملوك والسلاطين والحكام والمال وما أشبه.
النصراني مَن كان يرى نفسه بلا شخصية ولا وسيلة له لجبر انعدام شخصيته إلا بالتعلّق بذي شخصية ولو كان هو الذي صنعها، ولذلك يعبدون المشاهير والمحبوبين والمعروفين ومن هنا عبادة المسيح والتعلق بعلي والحسين والممثلين والمغنين وما أشبه.
ربّ اليهودي هو القوي، رب النصراني ذو الشخصية المشهورة والبارزة عند العوام. وأساس هذه العبادة انعدام القوة وانعدام الشخصية. ومن هنا تعرف حقيقة المسلم: المسلم هو القوي والذي له شخصيته الخاصة النابعة من ذاته وقلبه.
في هذا الزمان، اجتمعت النزعة اليهودية والنصرانية في الدولة الأمريكية. فإنها الأقوى من وجه والأشهر من حيث اسمها وثقافتها من وجه آخر. ولذلك صارت أمّ القرى في هذا الزمان. ومن أمّ القرى ينبعث مجدد أمر محمد.

...

قال: كان المسلمون أعظم الأمم في العلوم الطبيعية التطبيقية حتى جاء أبو حامد الغزالي وأنكر الاشتغال بالعلوم الرياضية والطبيعية وقال بأنها من عمل الشيطان ومن بعده تدهور حال المسلمين.
أقول:

أوّلًا الغزالي لم يكن البابا، ولا بابا للمسلمين. فحتى لو قال الغزالي ما قاله فإنه لم يكن لا في زمانه ولا بعد زمانه الإمام الأكبر للمسلمين. في زمانه خالفه ونقده سواء في باب التصوف أو باب الفلسفة بعض علماء المسلمين.

ثانياً بعد الغزالي جاء مثلًا نصير الدين الطوسي وكان في الرياضيات والطبيعيات وغيرها ما كان من العظمة والدرجة الرفيعة.

ثالثاً وهو الأهمّ، ها هو كتاب (مقاصد الفلاسفة) بين أيدينا، حيث ذكر الغزالي رأيه إجمالًا في تلك العلوم، فاقرأه بنصّه وانظر ماذا يقول ولا تستمع لكلمات السفهاء من الغربيين وأتباعهم من المتأسلمين.

أ/ في البدء يقول {الوقوف على فساد المذاهب قبل الإحاطة بمداركها مُحال بل هو رمي في العماية والضلال} أقول: ومعنى ذلك أن الغزالي لم يكن يحكم على المذاهب إلا بعد دراستها وتبيّن الحق من الباطل، والصواب من الخطأ فيها، بدليل وبحث ونظر وتفكير وتحرير. فانتبه لذلك.

ب/ ثم قال وهو محلّ الشاهد {وأعرّفك أوّلًا أن علومهم أربعة أقسام: الرياضيات والمنطقيات والطبيعيات والإلهيات.

أما الرياضيات فهي نظر في الحساب والهندسة، وليس في مقتضيات الهندسة والحساب ما يخالف العقل والحق ولا هي مما يمكن أن يقابَل بإنكار وجحد. وإذا كان كذلك فلا غرض لنا في الاشتغال بإيراده.

وأما الإلهيات فأكثر عقائدهم فيها خلاف الحق والصواب نادر فيها.

وأما المنطقيات فأكثرها على منهج الصواب، والخطأ نادر فيها، وإنما يخالفون أهل الحق فيها بالاصطلاحات والإيرادات دون المعاني والمقاصد إذ غرضها تهذيب طرق الاستدلالات وذلك مما يشترك فيه النظّار.

وأما الطبيعيات فالحق فيها مشوب بالباطل، والصواب فيها مشتبه بالخطأ، فلا يمكن الحكم عليها بغالب ومغلوب. } آنتهى.

أقول: إذن لم يعترض على الرياضيات جملة واحدة ولم يشتغل بها. والطبيعيات لم يقل فيها بأكثر مما يقوله أهل العلم الغربي اليوم بل إنه يقول أقلّ مما يقولونه، فالغزالي حكم على نتائجهم في العلوم الطبيعية بأن فيها حق مشوب بباطل وصواب مشتبه بخطأ، بينما أصحاب العلوم الطبيعية اليوم يحكمون ويجزمون بأن أكثر أو أغلب وتقريباً كل ما أنتجه أولئك الفلاسفة من آراء طبيعية إما خطأ صريح وإما فيه خطأ. فكما أن قول علماء الطبيعة اليوم لم يؤثر على إنتاج العلوم في تقييمهم لآراء فلاسفة الأمس، كذلك من باب أولى أن لا يكون قول الغزالي وهو أضعف من قولهم سبب ذلك. وأما الإلهيات فالغزالي يقول أكثرها باطل، وعلماء الغرب اليوم ومفكريهم يقولون بأن كلّها باطل تقريبا أو جزماً . وأما المنطقيات فلن يعدو أحد من المحققين اليوم ما قاله الغزالي وهو أن أكثرها صواب وفيها شيء من الخطأ، بل أهل التفكير في المنطق من الغربيين اليوم لعلهم يرون الكثير مما قاله فلاسفة اليونانيين وأتباعهم خطأ أو قاصر أو فيه خطأ مثل ما فيه من صواب.

الخلاصة: لم يقل الغزالي في العلوم الرياضية والطبيعية غير ما يقوله علماء الغرب اليوم بل أقلّ منهم من حيث الرفض والإنكار. وفي المنطق قول الغزالي هو نفس ما يقوله إجمالًا أهل البحث فيه اليوم إن لم يكن أقلّ منه من حيث الرفض والإنكار. وأما الإلهيات فلا يبالي بها أهل العلوم التطبيقية اليوم. فمِن أين جاءو بخرافة "الغزالي سبب لتأخر العلوم الطبيعية في البلاد الإسلامية"...مِن مكان مظلم بين أفخاذهم !

...

قلت: " أطيعوا الله و أطيعوا الرسول " الرسول هو روح القدس الأمين .

فقال: وقول الله تعالى : « ان الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا اياه » اليس هذا توحيدا في الحاكمية ؟ والرسول ليس محمد عليه الصلاة والسلام ؟ فاذا كان جبريل فكيف نطيعه وما هي تعاليمه ؟

فقلت: ما علاقة توحيد الحاكمية في الكلام أعلاه؟ أم أن بعض الإخونجية يريدون حشر خرافاتهم أينما حلّوا. الرسول جبريل، "وإنه لقول رسول كريم ذو مرّة عند ذي العرش مكين". فهذا احتمال في فهم معنى الرسول. "أطيعوا الله" المقصود مَن كان من الملائكة فإنه يطيع الله لأنه يأخذ الأمر عن الله. "وأطيعوا الرسول" المقصود من الأنبياء الذين يأخذون أمر الله عن ملائكة الله". هذا احتمال في فهم الآية وقد أشرنا إليه في مقالتنا.

قال: اولا ... من هم المقصودون بقوله وأطيعوا الرسول ؟

قلت: مرّة يكون المقصود بها الأنبياء من الذين ءامنوا، حسب درجة من درجات فهمها. ومرّة يكون المقصود بها الذين ءامنوا من البشر الذين يأخذون كلام الله بواسطة رسل من البشر.

قال: طيب هل الملائكة يتنازعون ؟ لان نهاية الآية : فان تنازعتم في شيئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم مؤمنين !
قلت: وهل قلت أنا أن آية {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول" التي أقصدها هي آية سورة النساء التي تنتهي بما ذكرته أنت؟ لم أقل ذلك. لكني قصدت الآية الأخرى التي فيها ذكر طاعة الله وطاعة الرسول فقط، كآية سورة المائدة أو آل عمران مثلًا. ولم أقصد تلك الآية التي ذكرتها أنت.
قال: جميل. يعني أنت تقول بوجوب طاعة محمد عليه السلام..
قلت مستغرباً وأكاد أغضب من غباء هذا الشخص: ومتى لم أقل بذلك !
...
قلت: سأقاتلك من يقول أن العنب تمر.
قال: طيب والذي يدعوا الاموات ويقول هو من الوسيلة ؟
قلت: لا أدري ما علاقة سؤالك بالمقالة أعلاه. ثم لا يوجد أحد من المسلمين "يدعو الأموات"، إنما يسألون أحياء ليدعوا لهم ويمدّوهم بما أمدّهم الله به، كما أنك أنت الآن تدعوني أن أمدّك بجواب عن أسئلتك الغريبة لأنك تعتقد بأني أملك جواباً عليها (أي مدداً من اسم العليم والحكيم). اعتبارك لأولياء الله أنهم من الأموات هو مثل اعتبار الكفار والمشركين للشهداء أنهم أموات، "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون". وإن كان الذين يموت لله حي عنده فالذي يحيا ويموت له أولى بالحياة منه.
قال: الشيعة والصوفية يدعون الاموات.
قلت: أموات عندك فقط، وعند من لا بصيرة له.
قال الم يقل الله انهم ماتوا ؟ اطلب منك سعة صدر هنا .
قلت: ألم يقل الله أن الشهداء ماتوا، أنهم يتعرضون للقتل والموت في أكثر من آية. ومع ذلك قال أنهم أحياء عند ربهم. فهم من وجه قد قتلوا وماتوا، ومن وجه أحياء عند ربهم. أنت تتكلّم من جهة الموت ونحن نتكلّم من جهة الحياة. إن شاء الله مفهومة ولا تكون العصبية المذهبية حجاباً على عينك يجعلك لا تفقه حتى البسيط من الأدلة القرءآنية.
قال: سؤال : انا اقف عند القبر واقول لصاحبه اشفني ارزقني اعطني انصرني .....ما حكم هذا عند الله ؟
قلت: هذه المسألة التي أشكلت عليكم يمكن تسميتها بـ (تجلي الأسماء الإلهية في الإنسان). فالله هو الرازق، والله هو الناصر، والله هو الشافي. الآن السؤال: هل تتجلى هذه الأسماء بالإنسان؟ الجواب القرءآني: نعم. الله يقول في الرزق مثلًا في بداية النساء "وارزقوهم" يأمر أصحاب المال أن يرزقوا من ذكرهم الله في الآية ممن حضر القسمة. في النصر قال الله للمؤمنين "ما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً". فها هم يسألون الله أن ينصرهم، والله يأمر المؤمنين بأن يقاتلوا وينصروهم. وكذلك قال في أخرى "فعليكم النصر". وفي ثالثة قال لنبيه "هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين". لاحظ "بنصره وبالمؤمنين". وقال "أنصار الله" "نحن أنصار الله". والآيات كثيرة في كل باب من باب الأسماء الإلهية. في التعليم قال أن الناس عليها أن ترجع للعلماء "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" فسؤال أهل الذكر واجب عن العلم، لكن الله هو العليم "الرحمن علّم القرءآن" و "من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور"، فكون الله هو العليم والمعلّم الوحيد في الحقيقة لا يعني أنه لا يمكن سؤال

الإنسان الذي هو خليفة الاسم العليم في الكون بالنسبة للناس مثلًا، مثل ما حصل لآدم، الملائكة سألت العلم من الله لكن الله جعل آدم هو وسيلة إفاضة هذه العلوم على الملائكة. وقس على ذلك، فالأمثلة كما قلت لك كثيرة جداً. وبناء على ذلك: سؤال مَن أعطاه الله شيئاً هو أمر مشروع، وأمر واقعي، وأمر يقوم به المؤمن والملحد، وها أنت الآن تقوم به، أنت تسألني عن علم القرءان، فلماذا لم تسأل الله مباشرة؟ لماذا تقرأ الكتب وتستمع للمشايخ؟ لماذا تسأل وتستفي وتطلب من الخلق؟ الجواب: لأن الخلق مظهر الحق. الله يتجلى لخلقه بخلقه. فسؤال خلقه، مع العلم بحقيقة التوحيد وأن العطاء من الله بالأصالة ومن الخلق بالصورة والإفاضة، هو الحق والشرع والبديهي شرقاً وغرباً والكل يقوم به. ونسبة فعل الخلق للإنسان ليست شركاً، قال المسيح "أخلق لكم". ونسبة فعل الرزق للإنسان ليست شركاً، قال الله "ارزقوهم". ونسبة فعل النصر للإنسان ليست شركاً، قال الله "عليكم النصر". ونسبة فعل العطاء للإنسان ليست شركاً، قال الله "فأما مَن أعطى". ونسبة فعل الشفاء للمخلوق ليست شركاً، قال الله في العسل "فيه شفاء" وإن كانت نسبة الشفاء للعسل ليست شركاً فنسبة للإنسان ليست شركاً إذ كلاهما مخلوق. وعلى ذلك قس الباقي، واقرأ القرءان بعين مفتوحة ولا يصيبنّك هوس الوهابية الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفتون بما لا يعقلون. الحاصل: إن كان المسؤول ممن تعلم أنهم أولياء الله، وأنهم ممن أعطاهم الله تلك الفيوضات، حينها نعم يجوز ذلك كما أن سؤال أي حي بهذه المثابة جائز إجمالًا.

قال: جميل كلامك اعلاه قرأته بتأني .... وقد عقلته ...الان اطلب منك ان توضح لي كيف يشرك الانسان مع ربه ؟ ما هو الشرك ؟؟؟؟

قلت: أوّلًا لا أظنّ أنك قرأته بتأن وإدراك، لأنك استعجلت، ولو عقلته لما سألتني هذا السؤال. ارجع واقرأ ما كتبته وستجد جواب سؤالك. لكن تحسّباً لعدم فهمك أجيبك الآن: الشرك أن تعتقد أن أي كمال من الكمالات في الوجود هو لغير الله بالذات والحقيقة أو من عند غير الله بالذات والأصالة. "الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى". هنا التوحيد كلّه. فالأسماء الحسنى لله بالأصالة، لكنها للخلق بالإفاضة والعطاء من لدنه سبحانه. مثلًا: الله هو العليم، ولا عليم إلا هو، ولا علم إلا عنده ومن لدنه. فإذا ذهبت إلى إنسان، سواء كان هذا الإنسان حي بالحياة الملكية الطبيعية أو حي بالحياة الملكوتية الماورائية، وقلت له "هل أتّبعك على أن تُعلّمني". الآن أنت بين أحد أمرين: إما أن تؤمن بأن هذا الإنسان علمه من علم الله، ومن لدن الله، وإما أن تؤمن بأن هذا الإنسان جاء بالعلم من ذاته وهو عليم بذاته باستقلال عن الله أو أن له مصدراً آخراً في نهاية التحليل أعطاه العلم هو غير الله؟ فإن كنت المؤمن الأول فأنت من الموحّدين. وإن كنت المؤمن الثاني فأنت من المشركين-والحياة والموت حينها في المسؤول لن تفرق، أنت مشرك في الحالتين. هذا واحد من أنوا ع الشرك وأبرزها وهو ما يتعلّق بمسألتنا.

قلت: صدقني قرات كلامك جيدا لاني قراته قبلا ....طيب سؤالي لك بآية :قال تعالى: {وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ}. والرسول الكريم يقول : « الدعاء هو العبادة » كيف يشرك هذا الذي يدعو ؟؟؟؟اعطني صيغة او مثال على هذا الشرك. اسمحلي ان ازيد بذكر الايات لتتضح المسالة اكثر قال تعالى: (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)كيف هذا الشرك.قال الله : «قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ»ما هذا الشرك في الاية ؟ «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ. إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سيدخلون جهنم داخرين » لقد سمى الدعاء عبادة هنا ! ارجو ان

تستمر معي ...لانك مكلف ... ولانك طالب علم ... ولانك تتحرى الحق ... ارجو ان لا تترك النقاش . قال تعالى : (إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ »كيف اتعامل مع هذه الايات !!!

قلت: نعم، استدلالك بالآية هو من الاستدلال الباطل الذي أكثر منه القوم. وأصل عدم فهمهم لمثل هذه الآيات أنهم لا يفرّقون بين "من دون الله" و بين "من لدن الله". وهم يحسبون أن الاثنين شئ واحد. لاحظ أن كل آية فيها ذكر لأهل الباطل تقول "من دون الله". لكن كل آية فيها ذكر لأهل الحق تجدها تقول "من لدن الله". مثال "من دون الله" هو الآية التي ذكرتها أنت "لا تدع من دون الله". ومثال الآية الأخرى قول المؤمنين "اجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً"، ولاحظ أن الله نفى في آية أخرى فقال "ليس لك من دون الله ولي ولا نصير". فإذن ليس لك "من دون الله" ولي ولا نصير، لكن لك "من لدن الله" ولي ونصير. إن شاء الله ظهر لك الفرق الآن. نعم، الذي يدعو "من دون الله" فهو على باطل، لكن الذي يدعو مَن كان "من لدن الله" فهو على حق.

أما حديث "الدعاء مخ العبادة" و الصيغة اللغوية للشرك: فأقول الدعاء في القرءان وفي اللغة وفي العرف هو طلب. "أعطني" دعاء، "انصرني" دعاء. مثلًا، قال تعالى "استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم". الدعاء في صورته وصيغته طلب من فاقد يوجّهه لواجد. أيا كان الفاقد وأيا كان الواجد، وسواء كان سيعطيه أو يقدر أن يعطيه أم لا، هذا اسمه دعاء. في ضوء ذلك تأمل الآية التي استشهدت بها {لا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك}، فإذا كان ينفعك ويضرّك فيجوز أن تدعوه، لأنه حينها لن يكون "من دون الله" بل سيكون "من لدن الله". ومثال ذلك أننا نذهب إلى الرسول وندعوه ليعلّمنا الكتاب والحكمة، لأنه يملك بإذن الله أن ينفعنا بالتعليم. الدعاء طلب، والطلب إن توجّه لكائن لم يملّكه الله إحداث النفع والضرّ فهو طلب باطل "كباسط كفّيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه"، لكن لو كان الطلب متوجّه لشخص يملك النفع والضر كأن تبسط يدك لشخص بيده إبريق من الماء وتقول له "اسقني" فحينها أنت على حق. من دون الله شئ، من لدن الله شئ. من دون الله نزلت في المشركين، من لدن الله نزلت في المؤمنين. ولا تنزل آيات أهل الأوثان في أهل القرءان حتى لا تكون من خوارج الزمان.

أما الآيات التي ذكرتها، فإننا تتكلّم عن أناس دعو مَن لم يملّكه الله من هذا الأمر شيئاً، أي إما يدعون كائنات باطلة لا وجود لها، وإما يدعون كائنات لم يملّكها الله القدرة على إحداث أثر معيّن، وإما أنهم كانوا يعتقدون بأن لأولئك الذين يدعونهم حصّة في الملك مع الله أي كأن الله يملك بعض الوجود وهؤلاء يملكون البعض الآخر وهذا من الشرك الذي لا يقول به أهل القرءآن أبداً، أهل القرءان من المسلمين صوفية أو شيعة أو أيا كانوا لا يقولون بأن أحداً يملك ذرة من دون الله وباستقلال عن الله، بل كل ما يحدث من آثار كونية هو بإذن الله وبتمليكه لهم كما قال المسيح أنه يقدر على الخلق لكن بإذن الله، والشفاء لكن بإذن الله. فتتعامل مع كل الآيات من هذا القبيل بالنظر إلى المدعو مَن هو، هذه آيات نزلت في المشركين، والمشركين كانت لهم عقيدة خاصة مثل ما قصصت عليك قبل قليل، فلا تأخذ آيات نزلت في المشركين وتنزلها على المسلمين، مع فارق شاسع وجوهري بين الاثنين.

أما عن عدم ترك النقاش، فلا تخش شيئاً، إن شاء الله لن نتركه حتى تتركه أنت، فإن الله تجلّى علينا بعدم الملل، فنحن لا نترك العطاء بإذن الله ولا نملّ حتى تملّ أنت.

قال: قريش كانت تدعوا رجالا صالحين ...

النصارى يدعون المسيح وامه من دون الله !

وانا لم اذكر حديث مخ العبادة لانه ضعيف ...
وانما « الدعاء هو العبادة » وهذا الصحيح ..
الله عز وجل نهى عن دعاء اي احد من دونه ..
قلت: هؤلاء إما نسبوا الربوبية لذوات المدعوين، وإما اتخذوهم أرباباً "من دون الله"، تأمل قوله تعالى عن المسيح "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم". وكما بيّنت لك سابقاً، من دون الله أو نسبة الربوبية لذواتهم من الشرك. ونحن لا نقول لا بهذا ولا بذاك.
والله تعالى يستحيل أن ينهى عن دعاء الخلق بعضهم بعضاً مطلقاً، وهذا مناقض لما ورد في القرءان كما بيّنت لك سابقاً. فانظر في كلامي وتأمل فيه ولا تردد ما قرأته في كتب الوهابية وأشابهم. أجب على كلامي وليس على الكلام الذي في رأسك.

وقال: وقال تعالى : (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِّ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ 20 أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)[النحل 20]. إذن فهؤلاء كانوا يدعون من دون الله بشرا لا حجرا. وإنما جعلوا الحجر رمزا للأولياء والصالحين. والسؤال: هل تتحدث الآية عن بعث الأصنام إلى الحياة بعد الموت؟ لا يمكن ذلك. لأن الأصنام لا يحل بها موت ولا بعث، فإنها خارجة عن قانون الحياة والموت والبعث، ولأن الشعور يُستعمل فيمن يعقل لا في الأحجار. ولأن قوله تعالى : (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ)لا يصح إضافتها إلى الأحجار التي صنع منها الصنم، إذ هي جمادٌ لا يصح وصفه بالحياة ولا بالموت. فلم يبق إلا أن يكون الكلام متعلقا بالصالحين الذي نُحِتَتِ الأصنام على صُورهم.فإن (الذين) هي اسم من الأسماء الموصولة، والأسماء الموصولة من صيغ العموم عند الأصوليين والنحويين، فهي عامة في كل من دُعِيَ من دون الله. وهي لا يُخبَر بها إلا عن العقلاء لا الجمادات، ولو كان المراد بها الأصنام والحجارة لكان حق الكلام أن يكون هكذا: وهذه التي تدعونها من دونه ما تملك من قطمير. إن تدعوها لا تسمع دعاءكم ولو سمعت ما استجابت لكم.
قلت: لاحظ الآية تقول "من دون الله". وهذه كافية لتبيين مقصد الآية. ثم هؤلاء الذين قوم وصفهم الله بأنهم "لا يخلقون شيئاً" و أنهم "أموات"، بالتالي الله لم يتجلى لهم بصفة الخالقية والحياة، كما تجلى للمسيح مثلًا الذي كان يخلق "أخلق لكم من الطين" والذي كان يحيي الموتى "أحيي الموتى". الآية تتحدث عن دعاء أهل الباطل وليس عن دعاء أهل الحق. اقرأ الآية جيّداً قبل التفصيل العقيم في أمر لم تنتبه أنت إلى أصله.

وقال: وايضا . قال تعالى : (وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد) يعني حتى عيسى عليه السلام لما توفاه الله لم يعد شهيدا على قومه مع أنه نبي !!!
قلت: ليس في هذه الآية أكثر من كون المسيح ليس شهيداً من حيثية معينة، وليس عدم الشهادة من كل وجه، أو عدم الاتصال أو القدرة على الاتصال به من كل وجه، إذ اجتمع النبي مثلا مع المسيح في المعراج، فلو كان الاتصال بمن مات الموت الطبيعي مستحيل من كل وجه والاستفادة منه والتخاطب معه مستحيلة من كل وجه لما استطاع النبي فعل ذلك في المعراج مع المسيح وغيره. هذه الآية تتحدث عن شئ خاص وليس عن كل شئ. وكما أن من تحريف القرءان تضييق دلالته الواسعة كذلك من تحريفه توسيع دلالته الضيّقة، وأنت تمارس النوع الثاني في استدلالتك السابق. فاحذر.

وقال أيضاً: وايض في السنة النبوية « من مات وهو يدعوا من دون الله ندا دخل النار » وفي قصة الرجل الذي قال للرسول الكريم : ما شاء الله وشئت ... فقال له الرسول الكريم : « اجعلتني لله ندا »!! هذا ورسول الله حي فكيف بالاموات !

قلت: استدلالك باطل . "من دون الله"، تأمل الحديث جيّداً. أما قصة الرجل الذي قال "ما شاء الله وشئت" فإن الرجل قصد أن للرسول مشيئة مستقلة عن الله وكأن مشيئة الله شئ ومشيئة الرسول شئ منفصل عنها، وهذا شرك، وذلك قال "أجعلتني لله ندّاً" وهذه لا يفرق فيها الموت عن الحياة، فأنت لم تأت بشئ حين قلت "هذا ورسول الله حي فكيف بالأموات"، تفريق لا معنى له، فمن فعل ذلك مع حي أو مع ميت أو مع سماوي أو مع أرضي، أو أيّاً كان فقد أشرك. لكن من الوجه الآخر، تأمل أن القرءآن يقول "الله ورسوله أحقّ أن يرضوه" و يقل: يرضوهما. فجعل الله ورسوله في ضمير واحد. وقال الله يعلّم المؤمنين "أغناهما الله ورسوله من فضله" ولم يقل: من فضلهما. فجعل فضل الله وفضل رسول الله واحداً. وقال في آية أخرى "أيّدك الله بنصره وبالمؤمنين" وهذا لا يعني أن المؤمنين أنداد لله لوجود الواو. فإذن: الواو الجامعة والمضير الواحد على الله وأوليائه يعني أن الله يتجلى في أوليائه وبهم ويفيض الخير بهم وكل ما عند أوليائه هو من لدنه سبحانه. فليس كل واو واو شرك، فقد تكون واو جمع وتوحيد.

قال: مرة اخرى ..... سؤال : متى يكون دعاء غير الله شرك ؟ اذا اعتقدت انك اجبت عن هذا السؤال فأجب مرة ثانية ...

قلت: سبحان الله كأنك لا تريد أن تفهم. الشرك أن تسأل أي مخلوق أي سؤال، حتى لو سألت أمّك أن ترضعك من حليبها، لكن مع اعتقاد بأن قدرتها على رزقك هذا الحليب إما من عند ذاتها أو من عند غيرها وليست من رازقية الله وما ثدي أمّك إلا وسيلة ومجلى لرازقية الله. وضحت ؟

قال: اين دليل هذا القيد الذي ذكرت ؟

قلت: كل ما ذكرته لك من قبل هو الأدلة.

قال: اريد دليل القيد من القران.

قلت: ذكرت لك آيات كثيرة من القرءان. ارجع واقرأها، لكن بعد تطهير عينك من لوثة السلفية والوهابية. أنا متفهم لسبب عدم رغبتك في الفهم، لأن كل المذهب السلفي الخبيث قائم على هذه المسألة، وأنت تستغرب من أنك أنت والمشايخ الذين تأخذ عنهم لم يفهموا هذا الأمر الذي شرحته لك بالآيات والتحقيقات.

قال: انت لم تذكر دليلا على قيد شرط الاعتقاد !!!!

قلت: ارجع واقرأ، فقد ذكرته أكثر من مرّة وبأكثر من طريقة.

قال: انت لم تذكر دليلا! وان ذكرته فاعد ذكره هنا !هذا دين فبلغه !

قلت: سأشرحه لك كأني أشرح لطفل وأرجو من الله أن يكون لك ما يكفي من العقل:

لو كان نفس السؤال شركاً، لكن سؤال النصر من أحد الخلق شركاً. لكن بما أن الله تعالى فرّق بين سؤال النصر من بعض المخلوقات والبعض الآخر، فهذا يعني أن المسألة راجعة في جوهرها إلى العلم والاعتقاد والإيمان الذي عند السائل. قال في النصر، "إن استنصروكم فعليكم النصر" هذه في المؤمنين حين يسألون النصر من مؤمنين آخرين. لكن قال في المشركين، "فلولا نصرهم الذين اتّخذوا من دون الله قرباناً آلهة بل ضلّوا عنهم". فالمشرك أيضاً يسأل النصر من مخلوق، لكن لاحظ مرّة أخرى أنه حين ذكر المشرك قال "من دون الله". فإذن، المؤمن يسأل النصر من مخلوق، والمشرك يسأل النصر من مخلوق.

فذات السؤال ليس موضع الشرك، لأن السؤال واحد في الحالتين. فأين الفرق يا بابا؟ الفرق كأصل يكمن في قلب السائل. لأن "ما النصر إلا من عند الله". فلو كان سؤال النصر ممنوعاً إلا من عند الله بالمعنى المباشر، لكان المؤمن مشركاً بسؤاله النصر من المؤمنين، ولكان الله تعالى داعياً إلى الشرك حين يأمر المؤمنين بإجابة داعيهم إلى النصر، ولاستوى المؤمن مع المشرك الذي يسأل المخلوقين الذين يتّخذهم من دون الله لينصروه. فلا يبقى إلا أن الفرق في قلب السائل. وما هو هذا الفرق يا حبيب بابا؟ الفرق هو أن المؤمن يعلم أن النصر من عند الله، وأن الخلق لا ينصرون إلا بالله، وهو يسأل النصر من عند مَن جعلهم الله وسائل لتحقيق النصر، فحينها يكون مؤمناً موحّداً حتى لو سأل النصر من عند مخلوق. بينما المشرك يظنّ مثلًا أن النصر إنما يأتي من عند فلان الإله المخلوق، وإما يعتقد أن النصر يأتي من ذات ذلك المخلوق المحدود وباستقلال عن الله تعالى وبدون إذنه وعطائه سبحانه له، فيكون مشركاً من هذا الوجه.

ومثل هذا الشرح الذي بيّنته لك بآيات-باختصار-في باب النصر والمتعلق باسم الله النصير. أستطيع أن أُظهر لك أمثلة كثيرة في باب الرزق، والعلم، والقوّة، وبقية الصفات الكمالية الوجودية الإلهية.

اللهم هل بلّغت ؟

قال: والله يا بابا هذا قياس مع الفارق !!! انت لم تذكر دليلا ابدا ولكن هذا كلام من كيسك !!!

انا طلبي واضح وهو اين القرينة في القران على ان دعاء الاموات ليس شركا بدون الاعتقاد الذي ذكرته ؟؟؟؟؟

فقلت: لا يوجد قياس ولا فارق. والدليل قد ذكرته لك وهو واضح لمن تدبّره وفتح الله بصيرته. وأما أنت، فعلى طريقة الوهابيين ومن لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم، ولو جئتهم بكل آية لم يؤمنون بها ولو حشرنا عليهم كل شئ قُبُلًا. هذا مما عندي، فإما أن تردّ عليه وتأتي ببيّنة مفصّلة تردّ على ما ذكرته لك (كما فعلت أنا بالتفصيل مع استدلاتك الجيدة والسخيفة) فافعل أنت نفس الأمر وردّ بالتفصيل على الحجج التي ذكرتها، وحينها أستطيع أن أبيّن لك الحق إن شاء الله. وإن كان علماءنا قد أخبرونا أن أمثالكم لا يعقلون، ولا يريدون الفهم. لكني سأتحمّلك حتى النهاية لأثبت لك أنك لا تريد الفهم ولو جئتك بألف آية. فهيا، هات الرد المفصّل على الحجّة الأخيرة التي ذكرتها لك، إن استطعت طبعاً، ولن تستطيع.

وبالمناسبة: بالنسبة لقولي "أسأقاتل من يقول أن العنب تمر" فإن المقصود بالمقاتلة هنا المجادلة، أي بالكلام وليس بالسلاح. وهذا لا علاقة له باعتبار أولياء الله من الوسائل الإلهية.

قال: وانا قصدت فيها توصيف الامور على غير مسمياتها .... انتم عندكم الشرك غير. سؤالي لك هل كان الرسول يدعو احدا غير الله من الاموات ؟

قلت: طبعاً. كان يدعو المؤمنين لنصرته، ويدعو جبريل لإجابة أسئلته، وكان يسأل الأنبياء في المعراج عن بعض الأمور مثل موسى، وكان وكان. هؤلاء من الأحياء. وأنا لم أقل بجواز دعاء الأموات أبداً. ارجع واقرأ.

قال: والله كأني اتكلم مع طفل !!! والله لو أنه يهودي او نصراني لما انزلق النقاش معه الى هنا !!!!

قلت: طيب بما أنك تتكلّم مع طفل، فاذهب وكلّم الرجال ودعني وشأني لأن تكليفي هو أن لا أكفّ عن الإجابة حتى لو سألني حمار. وأما تشبيه المسلمين باليهود والنصارى وتكفير المسلمين فهو شأنك وشأن أمثالك من كلاب أهل النار، ولا أستغربه منك. فهل انتهى نباحك (أقصد أسئلتك)؟

وبالمناسبة: أنتم السلفية والوهابية والإخونجية وهذه الأشكال الخبيثة لا عقل عندكم ولا إبداع حتى حين تنتقدون. فإنما أخذت تشبيهي إياك بالطفل ورحت تلقيه عليّ. يعني ولا أي حس إبداع ولا نقد حيّ. ترددون الكلام كالببغاوات بل أنتم أضلّ سبيلًا، وحين تعجزون عن الجواب تعيدون السؤال وكأن شيئاً لم يحدث. بلاء عظيم على المسلمين، نسأل الله السلامة.
قال: والله ناقشت اليهود والنصارى في شركهم ودعائهم الاموات وما انزلق نقاشنا الى هكذا مستوى !!! بصراحة انا لا اكن نحوك الا الشفقة ... الله يهديك الى ما يحب ويرضى.
قلت: لا زلت تقول "أموات" وأنا إنما ذكرت لك الأحياء كالشهداء. قلت لك أن الدعاء مطلق الطلب، ولا زلت تجعله نوعاً خاصّاً لا أنت تفهمه ولا جئت عليه ببيّنة. لا تشفق عليّ، اشفق على نفسك. وتقول أنك ناقشت اليهود والنصارى، أنت لا تحسن مناقشة المسلمين. سألتني عشرات الأسئلة وأجبتك بالتفصيل. وأنت لا تحسن حتى الرد على حجّة واحدة، لأن كلاب أهل النار من أمثالك كرروا على مسامعك هراءً وحفّظوك إياه وجئت تكرره وكأنه حجّة مطلقة معصومة لا راد عليها، فلما لم تجد جواباً رحت تعيد السؤال. لولا أن القرءان أمرنا بالإجابة على أقوال السفهاء في قوله "سيقول السفهاء من الناس...قل" لما أجبتك بحرف. لكن الحمد لله، هذا الحوار شاهد آخر على سفالتكم العقلية وضلالتكم المذهبية. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

أما عن هبوط المستوى، فقد كلّمتك من أعلى علياء القرءآن، وتنزّلت معك درجة فدرجة حتى أصل إلى مستوى فهمك، فوجدتك دون مستوى فهم الحيوان. لأن الحيوان المسلم لله بشهادة القرءآن يسأل صاحبه الرزق ولا يرى أنه من المشركين بهذا السؤال لأنه سأل مخلوقاً. صدق الله "بل هم أضلّ سبيلًا". أنا أتكلّم من أعلى عليين وأستطيع النزول لأسفل سافلين، حتى لا تبقى لأحد حجّة على رب العالمين. وقد أخبرنا الله بمساءلته لإبليس في قضية السجود أن الشخص حين يعيد نفس الحجّة كما فعل إبليس اعرف أنه انقطع ولا جديد عنده، وكذلك أنت مثل إبليس رحت تعيد نفس الحجّة بلا جديد حين انقطعت، ولذلك تستحقّ اللعن والطرد من جنّة المعرفة، والله إن شاء يفتح لك باب التوبة (وإن كانت أراك كأبي لهب، قد انطمست منك البصيرة وانعدام تعقل القلب). وسلام على مَن اتبع الهدى.
قال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاتهح نجتمع بغير مرة ... واسال الله ان يهدينا لما اختلف فيه من الحق.
فقلت: إن كنت قد أسأت الحوار وأظهرت العناد، على الأقلّ قد أحسنت الختام. فالله يهدي من يشاء لما يشاء، لكن ترك التعصّب وفهم الكلام شرط، ولعل نفحة من رحمته تصلح ما فسد في القلب. وبالمناسبة، كل كلامنا وحوارنا هذا قد حفظته في كتبي، فلم يضع منه شئ، ولذلك لا تبخل بالنقاش ولا تظنّ أن كلامك سيذهب سدى فتزهد عن التأمل والتطويل إن شئت بنفع، إلا أني لا أذكر الأسماء وأكتفي بنقل الكلمات والأفكار. وأنت عندي خير ممن يقرأ كلامي ولا يسعى في نقده والرد عليه، فإن كنت لم تفهمني لكنّك على الأقلّ حفّزت تفكيري وبسطت قلمي، ولك الشكر على ذلك وأسأل الله أن ينفعنا بك، بأدبك وسوء أدبك، بعقلك وبجهلك، بتجرّدك وتعصّبك. والسلام.

...

قلت: تعلّقك سيدمّرك.

قالت: ما معنى ذلك؟

قلت: المتغيّرات زائلة ستتدمر عاجلًا أم آجلًا، فتعلّقك بالمتغيرات سيدمّرك لأن حالك سيكون مثلها ومصيرك عين مصيرها. هذه الكلمة من قوله تعالى "وتوكل على الحي الذي لا يموت".

...
كلامي أوسع من الشرح، لأن الشرح إحدى احتمالاته، فلا يقيّدنّه شخص بلا بيّنة على القصر.

...
الكلام خلق. ولذلك يحب الناس التكلّم مع بعضهم البعض حتى لو كان الكلام "فارغاً". والحقيقة أنه لا يوجد كلام فارغ، كل كلام فهو كلام "ملآن"، لأن الغاية الجوهرية من الكلام هي كونها فعلًا يعبّر عن الخلق، سواء التعبير عن الخالقية الذاتية أو الانفعال لخالقية الآخرين، إذ الإنسان عبد من وجه وخليفة من وجه، فمن حيث هو عبد يحبّ الاستماع لكلام الآخرين، ومن حيث هو خليفة يحبّ التكلّم مع الآخرين. ولو تركت الإنسان وحده في غرفة فسيبدأ بـ"التكلّم مع نفسه"، والحق أنه يتكلّم مع الوجود، لأنه يشعر وإن لم يشعر بأن كلامه يؤثر في الوجود من حوله، ولا أقلّ أنه يعبّر بالتكلّم عن خالقيته ووجوده ومرتبة خلافته. أهم أعمال الإنسان هو البيان.

...
(حمدانية)

أيا سيّداً عمّني جوده . بفضلك نلتُ السنا والسناءَ
وكم قد أتيتك من ليلةٍ . فنلتُ الغنى وسمعتُ الغناءَ

أقول:
يتحدّث في هذا الشعر عن حضرة القرءان. والسيد هو الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم على تأويل التعالي والتجلي "أغناهم الله من فضله ورسوله".

يقول {أيا سيّداً} والسيادة سيادة كريمة وسيادة خسيسة. السيادة الكريمة حين يعطي السيد عبده، ويخدم السيد عبده، لأن السيد غني كريم ولا يفتقر إلى عبده ونتاج عمله. السيادة الخسيسة حين يأخذ السيد من عبده ويستغلّه لخدمته، لأن السيد عاجز وفقير ويريد تكميل نفسه بعبده. سيادة الله ورسوله هي السيادة الكريمة، قال النبي صلى الله عليه وسلم "سيّد القوم خادمهم" وقال "السيد الله". والشاعر يتحدث هنا عن السيادة الكريمة، بدليل قوله بعدها {عمّني جوده}، لم يأخذ منّي لكنه أعطاني، لم يسلبني ما عندي لكنّه عمّني بجوده وما عنده. وكذلك الله تعالى يفعل بأهل القرءان، فإنه يعمّهم بجوده.

{عمّني بجوده} عمّني من العموم. والجود من الوجود. فالمعنى أن نور هذا السيد قد عمّ مراتب وجودي كلّها. "الله نور السموات والأرض". فكل درجة من درجات وجود الإنسان الكامل أي صاحب القرءان يعمّها نور الله حتى يستنير منهم كلّ شئ، قال النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه "اجعلني نوراً" ويقول المؤمنون "أتمم لنا نورنا". فالقرءآن لا ينير فقط القلوب، بل ينير كل شئ من الإنسان.

{بفضلك} لا بعدلك، لأن العدل يعطي على قدر العبد حسب ذاته، وذات العبد فقر وإمكان وظلمة وعدم، فلا يعطي العدل العبد إلا ذلك وكل ذلك ضد النور. فلا يكون العطاء خصوصاً عطاء النور إلا من عين الفضل، قال تعالى بعد أن ذكر تعليم الرسول والتعليم نور "وكان فضل الله عليك عظيماً" فأشار إلى الفضل. الفضل إفاضة المتفضّل من ذاته على مَن تفضّل عليه، أي إفاضة النور على العبد المظلم "إنه كان ظلوماً جهولًا". العدل أن يبقيك في ظلمتك ويزيدك منها، والفضل أن يفيض عليك من نوره ويجعل فيّاضاً بها.

{نلتُ السنا والسناء} السناء هو الضوء الشديد من قوله "سنا برقه". والسناء الرفعة فتشير إلى المنصب. وهنا يشير الشاعر إلى القدرة العلمية والعسكرية. أي المعرفة والإمارة. ونالهما بفضل سيّده المذكور. أي قوّة القلم وقوّة السلاح. فيفوز بالآخرة والأولى. إذ الآخرة بالسنا "ومن كان في هذه أعمى

فهو في الآخرة أعمى"، والدنيا بالسناء "ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات". فمن حصّل سنا المعرفة وسناء العسكرية فقد تمّ أمره في الدنيا والآخرة.

{وكم قد أتيتك من ليلةٍ} السؤال يدلّ على الجهل، والجهل يدلّ على عدم القدرة على العقل، وعدم القدرة قد تكون عن ظلام وقد تكون عن شدّة الوجود والنور، والشاعر يريد المعنى الثاني. فهو يسأل عن الكم لكن مقصوده أن الليالي كثيرة جدّاً بحيث أني عجزت عن معرفة الكم. لكل مجاز حقيقة منها يتبرر وجود المجاز.

{وكم قد أتيتك من ليلة-فنلت الغنى وسمعت الغناء} الغنى من معاني القرءآن، والغناء من مباني القرءآن. قد يكون الكلام سبباً للغنى، والغنى بالعلم والحكمة النابعة من الكتاب، لكن قد يكون الكلام نثرياً أو غير غنائي بالقدر العالي، ومن هنا يفضل الشعر سائر الكلام ويفضل القرءان على الشعر لأن الغناء فيه أشرف وأكمل لجامعيته وعلوّ أوزانه ومناسبتها الدقيقة للروح العالية. يتحدث الشاعر هنا عن ليالي مجالس القرءآن، حين يكون سيد أهل الله وهو النبي صلى الله عليه وسلم هو رأس المجلس وقطبه، فينال أهل الإرادة في تلك المجالس الشريفة الغنى والغناء، والتحقيق أنهم ينالون الغنى والغناء في آن واحد، لأنهم يسمعون أصوات القرءان في عين اللحظة التي تنكشف لهم بها حقائق القرءان، ولا يتميّز السماع عن العقل ولا العقل عن السماع. هذه المجالس في عليين والحضرة الماورائية. أما في عالَم الطبيعة، فإن الغنى والغناء قد يفترقنا، لأن التغني بالقرءان شئ لكن شرح وتبيين معاني القرءان وتحقيق معانيه ومطالبه شئ آخر. فيكون التغنّي من الذكر، والترقّي بالفكر. فقول الشاعر {فنلت الغنى} معناه: بسماع شروحاتك للقرءآن. وقول الشاعر {وسمعت الغناء} معناه: بسماع تراتيلك للقرءان. وهذا هو الكمال. إذ سماع التغني بالقرءان طرب للنفس، لكن معرفة معاني القرءان غنى القلب. غناء بلا غنى كسكرة الفقير، غنى بلا غناء كجلافة الثري، وأما الغنى والغناء فحال الأنبياء والأولياء.

...

في معرفة أوزان الشعر:

التفاعيل تضليل. لأن الغاية منها معرفة تتابع الحركات والسكنات، لكنها متشابهة ومعقدة ومصطنعة ولا تتناسب مع ذات الكلام لكنها تريد تأطيره. الأنسب استعمال رمز (ح-س) للإشارة إلى الحركة والسكون. ثم بما أن تتابع السكون محال في العربية، نحسب كل مقطع بحسب الحركات. وبما أن حرف الحاء سيكون مشتركاً بين المقاطع، فنذكر العدد بدون الحاء، ويكون المفهوم أن عدد كل مقطع يتضمن (س) واحدة.

مثلًا: فعولن مفاعيلن.

هذه نكتبها هكذا: ح ح س ح س ح ح س ح س ح س.

ثم نلّخصها هكذا: ح٢/ح١/ح٢/ح١/ح١.

ثم نجرّد الأعداد من الحاء للاشتراك فتصير: {٢ ١ ٢ ١ ١} وهذا هو الوزن.

فبدلًا من كتابة تلك التفاعيل ومحاولة تذكّر كل حرف وحركته أو سكونه، أو تذكّر مختلف الصيغ وارتباطها وبقية الإشكالات، فضلًا عن تقطيع كلام البيت بنحو غير متساو مع التفاصيل. كل هذه الإشكاليات تزول ويتيسّر شرح الأمر لأي شخص تقريباً. وبدلًا من كتابة ١٢ حرفاً لكل حرف شكله، نكتفي بكتابة خمسة أعداد رقمية سهلة. فهذه الطريقة في التعبير عن الأوزان أيسر بكثير وتجعل النغمة مفهومة ومتسلسلة وتفتح باب العلم بهذا الأمر على مصراعيه.

ثم أقول:

لا نحتاج إلى البحث عن بحور الشعر العربي المعروفة في القرءآن. المهم هو أن نعرف أوزان القرءآن ذاته. فكما أن الخليل استقرأ الشعر العربي الموجود فعلياً لاستخراج أوزانه، فكذلك نقرأ نحن القرءآن ذاته لمعرفة أوزانه، ولا داعي لمحاولة تطبيق أي نموذج سابق عليها. القرءان كلام عربي، محفوظ النطق وكل حركة وسكنة فيه معروفة. علينا أن نقوم بالتالي:

أوّلًا كتابة القرءان حسب نطقه.

ثانياً حساب حركات وسكناته حسب الطريقة التي شرحتها أعلاه.

ثالثاً البحث عن العلاقات المختلفة الناتجة من الحساب السابق. ومن ذلك معرفة أوزان القرءان من الأكثر شيوعاً إلى الأقلّ شيوعاً، وإذا وجدنا أنماطاً معيّنة نعطيها أسماء تميّزها. المهم أن نستخرج البحور القرءآنية من القرءان ذاته، وكأنه لا يوجد لدينا أي نموذج آخر نقيس عليه.

...

يمكن عمل برنامج حاسوبي ليعين على صناعة الشعر العرربي. هذه أهم الخطوات:

١- بما أن كل بيت لابد أن يشتمل كأصل على التفاعيل كلّها، أي على وزن القصيدة وبحرها. فننظر إلى البيت على أنه وحدة مستقلّة.

٢- بما أن البيت يمكن اختزاله إلى حركات وسكنات، والعبرة في الوزن هي للحركة والسكون، ولغة الحاسوب (البيناري-الثنائية) تقوم على ثنائية (1-0)، فنعطي الحركة الرمز (1) ونعطي السكون الرمز(0).

٣- نضع جداول لكل وزن من الأوزان، مثلًا البسيط أو الكامل. ونخصص لكل بحر مجموعة جداول متّصلة. لأن لكل وزن خاصّية تفصله عن غيره.

٤- من الاستقراء يتبيّن أن كل وزن لأبياته منازل. المنازل هي الكلمات الواردة فيه. مثلًا قول المتنبي "أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي". هذا البيت (نسمي الشطر بيتاً للسبب الذي ذكرناه في الفقرة ١) فيه ٦ منازل. البيت بعده يقول "وأسمعت كلماتي مَن به صمم". هذا البيت فيه ٦ منازل، نحسب الواو منزلاً منفصلًا لأنها ليست جزءاً من ذات أي كلمة. وعلى هذا القياس نستطيع أن نحسب عدد منازل كل بحر، وستختلف في البحر الواحد، لكن هذا الاختلاف سيكون له حدّ أدنى وأعلى، فمثلًا قد نجد أن الحد الأدني من المنازل في الوزن المعين هو ٤ والحد الأعلى ٦. لابد أن نقيم دراسة استقرائية بعد جمع كل قصائد كل وزن، ونحسب الحدّ الأدنى والأعلى وما بينهما من المنازل.

٥- بعد الحصول على نتائج الاستقراء من الفقرة (٤)، نقيم جداول لكل وزن. والجداول تكون بحسب المنازل. فمثلًا: للبحر البسيط، ثلاث جداول: جدول الحد الأدنى ذو ٤ منازل، وجدول لـ٥ منازل، وجدول الحد الأعلى ذو ٦ منازل. ونضع في كل سطر من الجدول كلمات أكبر عدد ممكن من الأبيات، مع تشكيلها الكامل وهجائها حسب النطق وليس حسب الخطّ إذ هذا هو المعتبر في الشعر والوزن.

٦- بعد إتمام الفقره (٥)، سنجد أنه لدينا مثلًا ألف مثال على كلمات المنزل الأول من الجدول الرباعي لوزن البسيط. وهكذا في كل منزل من كل جدول. بعد الحصول هذا ذلك، نقوم بدراسة العلاقات والنِّسَب في كل منزل. وستخرج لنا نتائج لا أستطيع تخيّلها الآن إلا بكثير من الغشاوة ومن وراء ضباب الجهل، لكن أرى شيئاً عظيماً ونافعاً جدّاً.

٧- من الفوائد التي أراها: أن الذي يريد الإسعاف بكلمات لكل منزل يستطيع النظر في الجداول وإما أخذ كلمة منه وإما استلهام كلمة منه، وهذا فيه تيسير عظيم. ومن الفوائد معرفة عظم قدر الشعراء الذين يقومون بهذه الصنعة بدون كل هذا الاستقراء المحسوب والمكتوب، وأي عقول عظيمة هذه التي

أنتجت هذا الشعر. ومن الفوائد أننا أحيانا نجد في القصيدة الواحدة اختلاف منازل الأبيات، فمثلًا تجد الشطر الأول من البيت الأول له ٥ منازل، والشطر الآخر منه له ٦ منازل. لكن تجد البيت الثاني شطره الأول له ٤ منازل، والآخر له ٥ منازل. وهكذا. فقد يريد الشخص كتابة قصيدة لها نفس عدد المنازل، فتسعفه تلك الجداول. وفوائد أخرى كثيرة. ولا أقلّ أننا سنزداد تبصّراً في طبيعة الشعر وحدوده ومنازله وأصحابه وصناعته.

نسأل الله إتمام هذا العمل ونفع الناس به.

...

خلاصة في التوسّل بالخلق:

١- الدعاء مطلق الطلب. الطلب من الخلق جائز إجمالًا. والطلب الخاطئ مع الاعتقاد الصحيح يجعله من الأخطاء العملية وليس من الكفريات العقائدية.

٢- الحي كالميّت، والقادر كالعاجز، والبشر كغيره، بالنسبة للتوحيد.

٣- الأسماء الإلهية تتجلّى في الكون بوسائل مخلوقة.

٤- أهل الله يعينون من يسألهم ويستجيبون من استنصرهم إن كانت لهم قدرة، وأقلّ قدرة هي الدعاء. فالاستغاثة بأهل الله دائماً نافعة.

٥- يوجد اتصال بين النفوس والأرواح بحسب المناسبة، والولاية مناسبة.

٦- خير الدعاء ما كان بالأسماء الحسنى ثم الله يوجّه لعبده مَن يشاء من خلقه.

٧- الربوبية تصحّ للعبد لا من حيث جوهره ولا من حيث استقلاله لكن من حيث كونه مجلى للربوبية.

...

قال: ماذا كتبت أو ستكتب في باب حرية التعبير؟

قلت: خمس كتب، وأكثر من مقالة وأقوال لا أحصيها متفرّقة في كتب الأقوال.

الكتاب الأوّل هو السلطان. وهو استقراء لكل الآيات القرءانية المتعلّقة بمسألة حرية الكلام.

الكتاب الثاني هو حرية الكلمة. وهو استقراء لكل الأحاديث النبوية المتعلّقة بالباب.

الكتاب الثالث هو الحرية الكلامية. وهو تأسيس لها على القواعد الفقهية المشهورة.

الكتاب الرابع إغماد الحسام. وهو نقض لفتوى السبكي في قتل شاتم الرسول عليه السلام.

الكتاب الخامس حدود التعبير الأمريكي. وهو بحث في حال الحرية في عالَم اليوم عند أكثر الدول توسّعاً فيها وهي أمريكا. ونضع ذلك أيضاً كمقارنة بما تبيّن في الشريعة المحمدية وكنموذج دنيوي تقريبي لمقلّدي الدولة الأمريكية وحجّة على الخصوم في بعض الحالات، فضلًا عن النظر في نوعية القضايا التي طرأت عندهم وتقديم حلول لها من عين الشريعة المحمدية.

وجمعت هذه الكتب الخمسة في سلسلة سمّيتها "تكلّم بما شئت". وهي جوهرة حياتي. أسأل الله إتمامها ونفع الناس بها.

...

قال: ما الفائدة من وجود أوزان للشعر ولماذا هذا التصعيب في الفن ولماذا الشعر أفضل من السجع والنثر عند العرب؟

قلت: الوزن يفيد من جهتين. الأولى أن تكرر نفس الإيقاع يؤدي إلى تخدير النفس، بالتالي يحرر الروح لتنظر في المعاني والعقل ليدقق في المفاهيم الكامنة في الأبيات. ألا ترى أنك إذا كنت تركّز في شئ تحتاج فيه إلى تفكير إما أن تثبّت جسمك بالكامل وإما أن تقوم بحركة متكررة بنفس الإيقاع بيدك أو

رجلك مثلًا. فمن هذه الجهة الوزن الثابت يفيد في شحذ الذهن وتحريك العقل. الجهة الثانية إظهار قدرة الشاعر عقلًا ولغة. لأن القدرة على صياغة كلام معقول وموزون في آن واحد، تفترض تمكّنا راسخاً من المعاني التي يريد التعبير عنها وَ رسوخاً في اللغة العربية بمعانيها وتفاصيلها وحركاتها وسكناتها وإعرابها وكل شؤونها، جرّب أن تكتب كلاما على وزن معيّن حتى تفهم هذا الأمر وتذوقه بنفسك. وأما سرّ فضل الشعر على السجع والنثر، فلأن فيه بيان النثر ونغمة السجع لكن فيه زيادة عليهما وذلك في الجهتين السابقتين.

...

قال: هناك بعض الآيات في القرآن الكريم تدعو للتكفير والقتل وهي كانت صالحة لزمن معين ولّى واندثر ولسنا اليوم ملزمين بالأخذ بها ولا بالعمل بها.

قلت: التكفير واقع في كل زمان، ولا يخلو منه مؤمن ولا كافر. التكفير يعني أن غيرك رفض الحق. وحين تعتقد بأنك على حق في أي أمر، وترى أن غيرك رفض هذا الحق وغطّى عليه فهو حينها كافر. فالرأسمالي الذي يرى أن الشيوعي على خطأ هو يقوم بتكفيره. والأستاذ الذي يشطب على إجابة تلميذه في الامتحان يقوم بتكفيره. التكفير ليس كلمة هلامية وضبابية وبعبعية. جوهر التكفير ادعاء أن غيرك رفض الحق أو ادعى دعوى مخالفة للحق. ففي كل علم تكفير، لأن مدعي العلم يرى أن رافض العلم لم يعرف العلم والواقع فيقوم بتكفيره. فهذا أمر بديهي وإن لم يستعمل لفظة "أنت كافر". آيات القرءآن لا "تدعو إلى التكفير". آيات القرءآن فيها رمي لبعض أصحاب مقولات معيّنة باطلة بالتكفير. فما معنى أن نترك هذه الآيات؟ هل تقصد أن كل أحد على حق؟ إذن لماذا تغضب على شخص وترميه بأنه داعشي وعلى باطل؟ هذا من ممارسة التكفير، بالمعنى الجوهري له.

أما الدعوة إلى القتل، فهي أيضاً قائمة بديهياً في كل جماعة إنسانية. ويبدأ هذا من قتل الجراثيم، إلى قتل الحيوانات للأكل، إلى قتل بعض أصناف الناس. فما معنى أنها "غير صالحة"؟ من أين تأتون بتاريخ الصلاحية؟ هل يوجد علبة مكتوب عليها تاريخ صلاحية الأفكار أم أنك تأخذه من مصدر ضبابي هو الثقافة الغربية. فإن كان من الثقافة الغربية، فالأمريكان إلى اليوم يمارسون القتل بحق بعض المجرمين، سواء بحرق دماغه وباطن جسمه بالصعق الكهربائي (إنسانية ؟) أو بإبرة قاتلة (لكنهم يمسحون محلّ غزّ الإبرة بالكحول حتى لا يلتهب !). فهل هذا يجعل القتل "صالح لهذا الزمان". وماذا عن كل حروب القوم، الألمان والفرنسيين ذبحوا ملايين من بعضهم البعض، والروس بعد ذلك، والقضية معلومة، قبل عقود قليلة عايشها جدّي وجدّك، فهل هذا يجعل الحروب صالحة والمجازر الجماعية والإبادة الكيماوية والنووية صالحة لهذا الزمان. من أين تأتي بتاريخ الصلاحية، حدد بعقل وواقعية. كتاب الله صريح "قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين" وهذه الآية أصل يقيّد كل آية أخرى. "في سبيل الله" القيد الأول، "الذين يقاتلونكم" القيد الثاني. فإذا توفّرت نية وصورة "في سبيل الله" في المسلمين، وتوفّرت "يقاتلونكم" "هم بدأوكم أوّل مرّة" في المعتدين، فقد وجب القتال. أي هذه الأمور ترى أن صلاحيته انتهت.

قال يضرب مثالًا لآية انتهى زمنها: مثال بسيط على ما قصدته....

{فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (5) سورة التوبة

هذه الآية الكريمة لو نزعتها من سياقها التاريخي الذي نزلت فيه وخصوصية سبب نزولها الذي نزلت لأجله سوف تفهمها خطأً وتقتل كل مسيحي مقيم في بلاد المسلمين أو خارج بلاد المسلمين لأنهم مشركين تماما كما تفعله داعش والمنظمات التكفيرية الإجرامية اليوم.

فقلت: أوّلًا لا يوجد أحد من المسلمين على مر التاريخ فهم من هذه الآية وجوب قتل كل غير مسلم. وأكبر دليل على ذلك أن غير المسلمين من اليهود واليسوعيين مثلًا لم يزالوا في بلاد المسلمين، من المغرب إلى الهند. ويكفيك أن تنظر في مصر. مصر تعاقبت عليها شتّى أنواع "الحكومات الإسلامية": عمر، علي، حسن، الأموية، العباسية، الفاطمية، المملوكية، العثمانية، إلى يومنا هذا. سنة، شيعة. ديني، علماني. قل ما شئت. وهم لا يزالون فيها على ممر القرون. وإن شاء أحد من أمراء المسلمين في الماضي أن يبيد كل غير مسلم في بلاده لفعل ولن يخشى حينها من تدخّل أمريكان ولا جمعية حقوق إنسان. المبالغة في ذكر هذه الايات هو شئ أصبح سخيفاً جدّاً ومبتذلًا.

ثانياً لا تحتاج إلى "السياق التاريخي" لفهم تلك الآية. اقرأ كتاب الله عموماً فإنه متّصل أوّله بآخره وأحكامه ومبادئه متكاملة، واقرأ لا أقلّ سورة التوبة ذاتها وستجد فيها بعد هذه الآية مباشرة "وهم بدأوكم أوّل مرّة". الآية تتحدث عن أناس بدأوا المسلمين بالقتال وقتلوا منهم، الآن ماذا نفعل مع هؤلاء؟ هؤلاء حكمهم الأصلي بحسب مبدأ العدل والقصاص هو القتل. لكن من رحمة الله أنه أعطاهم مخرجاً، وهو {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلّوا سبيلهم}. ولو كان حكمهم القتل حتماً لما ذكر هذا الاستثناء. والاستثناء رحمة وليس فرضاً لدين معيّن بالمعنى الشائع. لأن حكمهم الأصلي بسبب اعتدائهم الأوّلى هو القتل. حاربوا وقتلوا فيستحقوا القتل بالعدل. لكن كما أن بعض أولياء المقتولين والمتعرضين للاعتداء الجسماني يطلبون الدية أو الفدية، الله تعالى حكم هنا بعدم أخذ المال منهم، لكن ذكر التوبة والصلاة والزكاة. ويستطيع أي واحد منهم أن يعلن التوبة ويصلي، ثم في أوّل فرصة يهرب من بلاد المسلمين إن شاء وإن شعر بالقهر والقمع (كما يتصوّر من لم يفهم الايات ولا الوقائع في هذا الزمان). فبلاد المسلمين لم تكن روسيا الشيوعية ولا دولة الأخ الأكبر التي تخيّلها جورج أورويل بخياله السوداوي الخرافي. من أبسط الأمور الهرب من يد المسلمين في ذلك الزمان. الناس في ذلك الزمن رأوا باب التوبة المذكور في الآية كرحمة وفرصة جديدة وليس قمعاً وقهراً وإكراهاً على الدين (كيف والله يقول "لا إكراه في الدين"). ولذلك دخلوا فيه ولم يخرجوا منه ما دام النبي حيّاً. فهم الحكم القرءآني يغني عن توهم السياق التاريخي.

قال: أتفق معك كثيراً لكن لا أتفق معك أنه لم يحدث في تاريخ الإسلام أنْ فهم مسلم واحد معنى آية كريمة بشكل خاطئ .. وإلا ماذا تسمي الخوارج الذين كانوا يقومون الليل ويصومون النهار وكفّروا سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسفكوا دماء المسلمين حتى قاتلهم سيدنا علي وأراح البلاد والعباد من شرورهم (رغم أنه لم يُكفرهم).... وماذا تسمي الدواعش اليوم الذين طردوا الأزيديين من شمال العراق بعد أن سبوا كثيراً من نساءهم وقتلوا كثيراً من رجالهم رغم أن الأزيديين لم يبدأوهم بقتال فهم جالسين في أراضيهم آمنين.... أنا لا أنتقد الآيات القرآنية وإنما أنتقد الفهم الخاطئ لها والقتل غير المبرر بها .... ثم من قال لك أنني أبرر وأتفهم القتل الذي تمارسه الجيوش الغربية المغتصبة للأرض والعرض في دول الإسلام أو غير دول الإسلام حتى ؟!!

قلت: قلت (لا أتفق معك أنه لم يحدث في تاريخ الإسلام أن فهم مسلم واحد معنى آية كريمة بشكل خاطئ) أقول: من الجيد أنك لم تتفق مع هذه العبارة لأني لم أدّعيها أصلًا ! لاحظ قولك "آية كريمة"

بالتنكير، أي كل آية وأي آية قرءانية. أنا لم أدّع هذا. لكنّي ادعيت أن فهم آية سورة التوبة وما يتفرع عنها من عمل لم يفهمه المسلمون على مر عصورهم بما يظنّ الناس أنها تقصده، لاحظ عبارتي (لا يوجد أحد من المسلمين على مر التاريخ فهم من هذه الآية وجوب قتل كل غير مسلم.). فكلامي على مر التاريخ، واستشهدت له بحال غير المسلمين وواقعهم كما بيّنته. وبطبيعة الحال أقصد الجملة وليس كل فرد فرد، وقصدت بأحد من المسلمين أحد من دول المسلمين الذين كان بإمكانهم تنفيذ أحكام الشريعة، وضربت أمثلة من زمن عمر إلى زمننا هذا بمصر مثلًا. هذا أوّلًا. وثانياً حين يريد شخص أن ينتقد فهماً خاطئاً للقرءان عليه أن ينتقد هذا الفهم ولا يقول "هناك بعض الآيات في القرآن الكريم تدعو للتكفير والقتل..الخ". عبارتك تنتقد القرءآن وتجعل له تاريخ صلاحية، وكأن ما هو ظلم اليوم في مثل هذه القضايا الكبرى كحياة الإنسان وكرامته هي أمر يتغيّر بالزمن، فيصير ما هو ظلم أمس عدل اليوم بتلك الصورة، هذا أمر غريب وبعيد وغير معقول من أي وجه، وغير قرءاني بطبيعة الحال. نعم قد يجوز مثل ذلك في بعض التفاصيل وما له ظروف محددة تغيّرت، لكن لا ينطبق ذلك أبداً على مثل قضية عدالة قتل إنسان وإكراهه على دين، فالله كان ضدّ القتل والإكراه من يوم بدأ ابني ءادم بالنزاع إلى زمن النبي وإلى يوم الدين، بل من قبل خلق الإنسان حين قالت الملائكة ما قالت عن سفك الدماء. ثالثاً لم أقل بأنك تبرر قتل الجيوش الغربية، لكن سألتك عن مصدر فكرة تاريخ الصلاحية للأحكام الشرعية. فإن فكرة تاريخ الصلاحية هذه قد صارت أيضاً من العبارات المبتذلة إلى حد كبير جدّاً وصار كل مدعي للثقافة يكررها بلا تعقل ولا روية. فحين رأيتك تذكر فكرة تاريخ الصلاحية في باب التكفير والقتل سألتك عن مصدرها وما هو المعيار الذي تقيس به وما هو "الكالندر" تبعك.

أما الخوارج والدواعش، فهؤلاء مثلهم مثل أي مجرم عادي، له أسبابه الخاصة التي يبرر بها لوجدانه ارتكاب الجرائم، لكن هذا لا يهمّ في إقامة العدالة. القاتل يقتل، السارق يقطع، بالشروط والاستثناءات المعروفة وتفاصيل الأحكام ليس هذا محلّ ذكرها. فسواء ادعى الخارجي أو الداعشي أنه يقتل من أجل هذه الاية أو تلك، فحكمه واحد.

أما إن أردت شيئاً من التفصيل في قضية الخوارج أيام سيدنا علي عليه السلام. فبعض أن قتل علي إخوانهم في معركة النهروان، كانوا يعتبرون أنفسهم يقومون بالاقتصاص منه. فقتلوه على قاعدة العدل حسب اعتقادهم. وأما دواعش هذا الزمان، فوهابية يكفّرون المسلمين ويستبيحون دماءهم ما لم يرضخوا لهم، وليسوا بخير من أسلافهم ابن عبد الوهاب وجماعته مع آل سعود الذين ذبحوا المسلمين في جزيرة العرب على أساس أنهم من المشركين بعبادة القبور، هؤلاء أرادوا دولة، فلما حصلوا عليها هجد معظمهم وارتاحوا إلى المناصب والأوقاف والقضاء والوظائف الدينية إجمالًا، والذين أرادوا الاستمرار في القتل في أيام عبد العزيز قتلهم عبد العزيز كما هو معروف. هؤلاء يطلبون الدنيا، ولو حصلوا عليها لناموا وبطونهم كما ترى بطونهم اليوم، ملأى بالرز واللحم.

قال: حتى فهم هذه الآية وجد في التاريخ الإسلامي من فهمها خطأً وقتل كل من هو غير مسلم، وأباح قتلهم... إرجع لدولة الموحدين ستجد مدعي المهدوية (محمد بن تومرت) لم يقبل من مواطني دولته في المغرب إلّا الإسلام، على فكرة أنا وأياك نلتقي في نقاط كثيرة... وبالنسبة أن القرآن يدعو للتكفير هذا واقع في بعض الآيات فهو يفصل بين المؤمن والكافر فهذا ليس عيباً من منظور الله ....وما قصدته هو أن القرآن نفسه يريد أن يمايز بين الناس (منكم مؤمن ومنكم كافر) لكن لا أحد يعلم المؤمن من الكافر سوى الله ولا أحد يعلم مصير العباد يوم القيامة سوى الله.

قلت: سأرجع إلى تفصيل ما حدث في دولة الموحّدين لأرى إن شاء الله، وإن كان وجود هذا الاستثناء لا يخدش التعميم الذي ذكرته، لأن التعميم ليس بالضرورة أن يشمل كل أفراده من كل وجه، والأهمّ من ذلك هو أنني لم أكمل التعميم وكماله هو هذه النقطة (لن تجد أحداً رفض وجود غير المسلمين في بلده إلا ومنع وجود من يختلف معه من المسلمين أيضاً) وهذه النقطة العامّة لو تأملت ستجدها صادقة إلى حد كبير أو مطلق. اضطهاد غير المسلمين رافع اضطهاد المذاهب المخالفة للمضطهد من المسلمين. فإذا نظرت إلى ابن تومرت مثلًا، فمن جهة هو شاذ عن النمط العام للدول الإسلامية، ومن جهة أخرى وهي الأهمّ هي أنه اضطهد أصحاب المذاهب الأخرى من المسلمين أيضاً، وما فعله أصحابه ببعض العلماء ممن لم يعترفوا به معروف. ثم دولة الموحدين وصلت الأندلس، وكان في الأندلس يهود ولم يتم طرد اليهود من الأندلس إلا ويديهم في يد المسلمين بعد أن جاء غزو فرديناند وإيزابلا الصليبي. فحتى إن كان ابن تومرت في أوّل أمره تشدد في منع غير المسلمين، إلا أن المغرب لم يخل من غير المسلمين ولا إلى يومنا هذا. فالتعميم يصمد. هذا أوّلًا.

ثانياً بل توجد آيات في القرءان تشير إلى وجود التفريق ووعي الناس بالتفريق بين المؤمن والكافر. مثلًا "ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلًا": فعلى تفسيرك، يصير أي شخص يحكم أي شخص ويكون له سبيل عليه قد يكون مؤمناً وقد يكون كافراً ولن نستطيع معرفة معنى هذه الآية، وهذا واضح البطلان من سياق الآيات ومفهومها. مثال آخر، في سورة الممتحنة حيث يأمر الله امتحان النساء القادمات من بلاد الكفار، فقال تعالى "فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار"، وهذه صريحة في إمكانية حصول العلم بالمؤمنات والإيمان في الإنسان وتمييزه عن الكافر. وأمثلة أخرى كثيرة يطول المجال بذكرها. فلا من منظور الله ولا من منظور عباد الله يوجد "عيب" في التمييز بين المؤمن والكافر. فهذا جواب قولك "لا أحد يعلم المؤمن من الكافر سوى الله".

وأما قولك "لا أحد يعلم مصير العباد يوم القيامة سوى الله": فهذه أيضاً ليست على إطلاقها، فقد جعل الله أسباباً لدخول الجنّة ذكرها، وأسباباً لدخول النار ذكرها، فإذا كان الله صادقاً في كلامه فلابد من حصول العلم بذلك. ثم الله قال "تبت يدا أبي لهب وتبّ...سيصلى ناراً ذات لهب"، فها هو قد حصل العلم بمصير هذا العبد يوم القيامة، وكذلك عباد آخرين مثل قوم فرعون "يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار". فمن عمل عمل أولئك نار جزاءهم، "أكفّاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر". ثم إن التمييز بين المؤمن والكافر في الدنيا ليس الغرض منه تحديد المصير يوم القيامة، ولكن تحديد كيفية التعامل في بعض الأمور في الدنيا، فما معنى هذه العبارة التي يكثر من ذكرها بعض الناس "لا أحد يعلم مصير العباد يوم القيامة سوى الله"، ما علاقة هذا بالتمييز بين المؤمن والكافر على مستوى الدنيا ولإحداث التعاملات المناسبة بين الناس في بعض المجالات (وليس كلّها). الله قال "لعبد مؤمن خير من مشرك" في باب النكاح: أمرنا بنكاح العبد المؤمن والأمة المؤمنة، فبناء على تفسيرك لا نستطيع التمييز بين المؤمن وغير المؤمن، فهذا التشريع لا معنى له. معقول ؟ والأمثلة كثيرة ولا أطيل بها. فتأمل ولا تستعجل.

...

قال: على الغرب المتحضر أن يبعث لنا مندوبين منه كي يعلمونا الأخلاق ومبادئ العلم الحديث وإلاّ أصبحنا خطراً تدميرياً ليس على أنفسنا فحسب بل على الإنسانية جمعاء.

قلت: {الغرب المتحضر} يقصد الولايات الأمريكية التي مارست ولا زالت تمارس القمع ضد السود مثلاً ويتشكي من سوء "أخلاقها" ملايين السود منذ قرون إلى يومنا هذا؟ هذا مثال. ثم قد جاءنا ذلك {الغرب المتحضر} المبهم في العراق فأرانا أخلاقه الرائعة فلا يحتاجوا إلى إرسال أحد بعد ذلك فقد تعلّمنا. وأما

مبادئ العلم الحديث فلم تزل تُدرَّس في كثير من البلاد، وكثير من الناس عندنا يسافرون إليهم ليتعلّموها فلا حاجة لإرسال أحد. أخلاق أخلاق، من يوم ما قال محمد عبده كلمه البلهاء تلك "وجدت في الغرب الإسلام ولم أجد المسلمين" وقد طار أشباه المثقفين بهذه الكلمة. إن أردت أن تعرف مدى الأخلاق عندهم فاسمع لنقاد بلادهم وأخلاق بلادهم من عندهم وأهلهم، أي أخلاق شئت، السياسية أو الاجتماعية أو ما شئت. هؤلاء ليس عندهم من "الأخلاق" أكثر أو أقلّ مما عندنا، بل لعله أقلّ. لكن هؤلاء عندهم "قوانين". والقوانين هي التي تصنع "أخلاق" الناس إلى حد كبير. الأخلاق طوعية، القوانين إكراهية، والقوانين هي التي تجعلك تظنّ أن عندهم "أخلاق". أما لو نزعت القوانين، فعندهم من سوء الأخلاق مثل ما عندنا أو أكثر. (لم يلق إلى اليوم أحد منّا قنبلة نووية على أمّة أخرى).

قال: يوجد عندنا من الشرور ما هو أسوأ منهم بكثيييييير... قال الفيلسوف مالك بن نبي في كتابه القابلية للإستعمار (لولا أنّ خاصرة المسلمين ضعيفة لما تمكن الغرب من إحتلالهم واستعمارهم).

قلت: الضعف والقوة لم تكن موضوع الكلام. موضوع الكلام العبارة المبالغ فيها جدّاً والباطلة من كل وجه التي رددت عليها. نعم توجد عندنا شرور، وشرورنا غالبها علينا، لكن هم شرورهم غالبها على غيرهم، يحسنون في الداخل (وهذه أيضاً مع بعض الطبقات وليس مع كل الطبقات في مجتمعاتهم)، ويسيئون في الخارج. هذا لا يبرر ما عندنا، لكنه لا يجعل لهم تلك المنزلة الخرافية الربانية التي يزعمها لهم من فقدوا ليس فقط استقلالهم بل عقولهم ومعرفتهم بالتاريخ والواقع على البيعة.

قال: في كل الأحوال هم تعاملهم لبعضهم البعض وعدلهم فيما بينهم أفضل منا بكثير فنحن في حالة ذبح وقتل وتكفير نمارسه بشراهة بين أنفسنا.... يا ليتنا مثلهم من الناحية العلمية والعملية ولست أقصد العقائدية.

قلت: "تعاملهم لبعض البعض" يشير إلى الناحية الاجتماعية، "عدلهم فيما بينهم" يشير إلى الناحية القانونية، إذا أردت تقسيم كلامك حسب ما فهمته. أما الناحية الاجتماعية فكلّا ليسوا "أفضل بكثير"، أيا كان مقصودك من "هم" في ذلك الكلام المبهم. يوجد بيننا تعامل أفضل مما بينهم في نواحي، ويوجد بيننا مودة وأخوة وتقارب أكثر بكثير مما بينهم، وتستطيع أن تتبيّن ذلك حين تنظر في كيفية تآلف العرب والمسلمين من الطلاب مثلًا من شتى الجنسيات وبسرعة حين يتقابلون في الغربة مثلًا، ولا تجد مثل ذلك بينهم إلا قليلًا جداً وبتحفظ، وهذا مجرد مثال سريع. وأما الناحية القانونية، فلا أختلف معك فيها من بعض الوجوه نعم، لكن توجد حالات وحالات وتختلف بحسب الدول والبلاد وأنوا ع القضايا، وأنا من رجال القانون وأعرف هذا الجانب، وتوجد قضايا وأحكام في بعض البلدان الغربية لو أخبرتك بها لاقشعرّ جلدك. ويكفي أن تنظر-مرّة أخرى طالما أنك تذكر الحالات السيئة- إلى نوعية الأحكام التي تقع على السود في أمريكا أو نوعية التعامل الحكومي مع الهنود الأصليين في كندا وكيفية تفريقهم عن أهلهم لإحداث التغيير في الهوية الذي تريده الحكومة. فإن جمعنا كل الحالات وقارنّا مقارنة دقيقة، فستجد أن الفضل عندهم في العدالة موجود فعلًا على مجمل ما في بلادنا، أقصد إن أردت مقارنة الجملة بالجملة، لكن ذلك الفضل ليس بالدرجة الرهيبة التي تبيح التأليه.

وأما قولك "فنحن في حالة ذبح وقتل وتكفير نمارسه بشراهة بين أنفسنا": فهو مرفوض تمام الرفض عندي. وهو من المبالغات الشنيعة التي يقوم بها الكثير من الناس. نحن لسنا في حالة ذبح وقتل، لكن توجد بعض البلاد ومنذ فترة فيها ذبح وقتل. وقد حدث ويحدث مثل هذا في الغرب أيضاً سواء في فترات التبدّل والانتقال الفكري والسياسي، وقبل أيام فرغت من قراءة تاريخ الحركات الثورية في فرنسا وألمانيا

وروسيا في القرنين ١٨-١٩-٢٠ ولو نظرت في الدماء التي سفكت، والنفوس التي قتلت، لوجدت ما يحدث في بلادنا اليوم كأنه لعب أطفال. تفجير، وتكفير، وقتل، واغتيالات سياسية، وتعذيب في السجون، وقل ما شئت، فضلًا عن الحروب "العالمية". ثم انظر ما حدث في الحرب الأهلية الأمريكية، حين اختلفوا كما يختلف الناس عندنا الآن، على بعض الأمور السياسية والاقتصادية والدينية، فماذا حدث عندهم؟ أخذوها "بإنسانية" أم خرج إبراهيم لنكولن وجماعته من الفيدراليين وأحدثوا مذابح ومقاتل عظيمة في الجنوبيين الكونفدراليين. وإن شئت انظر في كل بلد أوروبية وستجد ما يشبه هذا، فضلًا عن تفاعلات الدول فيما بينها. فلا تبالغ. الناس عندنا عموماً لا يمارسون القتل "بشراهة" وكأنهم يحبّون ذلك ويشتهونه. بعض الناس، قلة قليلة جدّاً لا تكاد تذكر بالمقارنة مع البقية، تفعل ذلك. فلا تحمل ذلك على الأغلبية العظمى من العرب والمسلمين الذين يكرهون تلك الفئة ويرفضون أعمالها ولم تتلوث أيديهم بقطرة دم لا بريئة ولا مجرمة.

وأما قولك "مثلهم من الناحية العلمية والعملية": السبب في أننا "لسنا مثلهم" (وأكره هذا التمثيل وعقدة النقص هذه) لا يرجع فقط إلى عدم قدراتنا العقلية أو النفسية. أعداد هائلة جدّاً من العرب والمسلمين هم من العلماء (بالمعنى الطبيعي) سواء في الشرق أو الغرب، ولو أضرب أطباء أمريكا المسلمون والكنديون اليوم عن العمل لحدثت طامة ما لا من دون الله كاشفة عندهم. الموضوع طويل، وأهم ما أخبرك بك في هذا الباب أن سبب التميّز يرجع في أصله إلى قرارات سياسية، فبلادنا يُراد لها أن تكون سوقاً تستهلك ما يأتي من الغرب، وجامعاتها لا تساوى شيئاً كثيراً حتى نبتعث أولادنا إلى الغرب فيكسب المكاسب المالية والاقتصادية من جراء هذه البعثات. والقرار السياسي بيد حفنة من عملاء الغرب، كما هو معلوم ولا نحتاج إلى نظرية مؤامرة فالأمر اليوم على المكشوف. حكام بلادنا عملاء وموظفين عند الحكومات الغربية، فبعضهم عند الأمريكان وبعضهم عند الروس، كما كان العرب أيام الجاهلية بعضهم تابع للفرس وبعضهم تابع للروم، بشكل أو بآخر، وقلة قليلة لم تكن لها صلة بالاثنين (وهذا من فضل عرب الجاهلية على عرب اليوم !). فلا تنسب المصيبة لغير سببها، وإلا فلن تحلّها.

وقال آخر: وهل يتعلّم الغبي. اه والله ولو اكتشفنا ذكيا بيننا لطاردناه وحاربناه حتى هرب او انتحر.
قلت: أحد أسباب هذه المطاردة هو أن الناس عندنا لا يزالون يصفون أنفسهم بالغباء وانعدام الأهلية من كل وجه، فشئ طبيعي أن ننفر من الذكاء والأذكياء لأن الإنسان (والحيوان) يألف لشكله ومن هو على شاكلته عادة.
فقال الأول: لماذا تنعت من خالفك بالحيوان بشكل مبطن، أهذا هو الإسلام (الداعشي) الذي تمارسه؟! ولو قلت لا أقصد فإن ضرب المثل غير مناسب...وأنا أحترم رأيك وهذا رأيي وأنا مسؤول عنه ومرتاح له ولي حرية التفكير وحتى الكفر بالله لو أردت ذلك، لا تمارس علينا دور الوصي على عقائدنا.
قلت: لا علاقة لما قلته بما ذكرته أنت. كيف تتهمني بالإسلام "الداعشي" و "الوصاية على عقائدنا" وكلامي كلّه ضد ذلك من كل وجه. أم أنك تعلّمت هاتين الكلمتين ورحت ترمي بها كل من خالفك في شئ. أعد قراءة ما ذكرته. أنا لم أقل بأن من خالفني (حيوان). لكني كنت بصدد تبيين حقيقة طبيعية نفسية وهي أن الإنسان وأيضا الحيوان في هذا الجانب يشتركون، أقصد جنس الإنسان وجنس الحيوان عموماً، يشتركون في أنهم يألفون ويميلون إلى من يشبههم وينفرون عمّن خالفهم سواء في الشكل أو الشاكلة أي في الصورة أو العمل. وبنيت على ذلك أنه علينا أن لا نرمي أنفسنا وأمّتنا بالغباء والجهل بشكل مبالغ فيه، حتى لا تعتاد أنفسنا على هذا التصوّر، ثم بعد ذلك نبدأ فعلًا بمطاردة الأذكياء لأنهم

سيكونوا على غير شاكلتنا وطبيعتنا، فيحدث ما أراد صاحبك عدم حدوثه وهو مطاردة الأذكياء حتى يهربون أو ينتحرون. كلامي ليس فيه لا بالتصريح ولا بالتلميح أي طعن في إنسان وتشبيهه بالحيوان، وإن كان بعض الناس يشبهون الحيوانات فعلًا في عدم السماع والتعقل بل هم أضلّ سبيلًا. لكني في ذلك الكلام لم أشير إلى ذلك البتّة. كفاية رمي بالداعشية بطريقة عشوائية، وكأنها كلمة "بعبع" جديدة تخوّفون بها الأغبياء من أمثال من يستعملون تلك الطريقة الهمجية.

قال ثالث: الغرب يعملون باخلاق ومبادئ الاسلام وهم غير مسلمين لذلك ارتقو ونحن المسلمين ما زلنا نعمل ونتصرف باخلاق الجاهلية والغنصرية لذلك ضعفنا... اذا الحل بين ايدينا اذا اردنا.
فقال الأول: أحسنت كلام منطقي وواقعي.
فقلت: الكلام غير منطقي ولا واقعي. فإن الغرب نفسه لا يزال محشو بالعنصرية على سبيل المثال، وانظر فقط ماذا يحدث والمائة سنة الأخيرة في أمريكا على سبيل المثال للسود والهنود الأصليين واللاتين واليوم العرب. وإن شئت عرّج على كندا واسأل أحد السكان الأصليين الأحياء عن ماذا حدث لهم على أيدي أصحاب "الأخلاق الإسلامية" هناك ليخبروك. الآراء العامّة لابد أن تنظر نظرة عامّة، ولا تحكم بأنهم "أخلاقيين" فقط لأنك شاهدت برنامجاً تلفزيونياً أو سافرت هناك ووجدت معاملة حسنة بينما لم تفعل أنت أي شئ ليكشفوا لك عن وجههم الحقيقي. الأمثلة كثيرة لإثبات وجود الأخلاق "الجاهلية" و "العنصرية"، في الحاضر والماضي القريب والبعيد. وقد أشرت لك لبعض أمثلة العنصرية، والتي لا تزال المسألة الراهنة في أمريكا وأوروبا (صعود اليمين المتطرّف، حسب ما يسمّونه). وإن شئت، هات أي خلق من أخلاق "الجاهلية" وأنا أريك إيّاه عندهم بأمثلة واقعية صحيحية ومن مصادر مستقلّة عن تحليلي الشخصي. فلنكف إن كنا نعقل ولنا شخصية قوية عن هذا التأليه للغرب، فقد صار "موضة قديمة" إن شئت.
قال الثالث: شكرا لمرورك . انا لا االه الغرب والعياذ بالله ولا اقول انهم ملائكة او مثاليين بكل شيء. ومعلوم ان عندهم عنصرية وتمييز فهم بشر بالنهايه. ولكن مقارنة بالدول العربية من لديه اخلاق اكثر(لا تحدثني عن الملاهي الليلية والخمور فهي اختلاف ثقافات لا علاقة له بالاخلاق) ؟من لديه احترام لقيمة المواطن اكثر؟ من لديه عدل اكثر ؟ من ومن ستطول التساؤلات. اظن الاجابة واضحة وبفارق كبير جدا. هناك يقال وزير او مسؤول بسبب مخالفة سير ويسجن اخر بسبب رشوة لزوجته على شكل هدية لا تتجاوز قيمتها 50 دولار. هنالك الحكومة مسؤولة عن كل مواطن من علاج وتعليم وتوظيف ورفاهيه ودعم. طبعا هناك تباين بين الدول على مستوى الخدمات حسب امكانياتها.لهذا السبب تجد شبابنا على ابواب السفارات وتجد من يرمي نفسه في وسط المحيطات ليصل الى الغرب...ليس تحيزا ولا تأليه ولكنه واقع للأسف...رحم الله من قال «ان الله لينصر الامة الكافرة ان كانت عادلة ولا ينصر الامة المسلمة ان كانت ظالمة».
اما اذا اردنا الحديث عن التاريخ فانا اؤيدك تماما.... ولكن لا تنسى ان تعرج انت ايضا على تاريخنا الاسلامي فرغم الانجازات والفتوحات والتقدم فهو ايضا مليئ بالجرائم والانقلابات والدم والمؤامرات... ابتداءا من العصر الأموي حتى الآن.... فعلنا هذا ونحن مسلمون... ونلوم الغرب على جرائمهم وهم غير مسلمين!!!!!
وقال الأول: كلام الأخ (يقصدني) بعيد عن الواقع وكأنه لا يرى الويلات التي تعيشها الدول العربية من ظلم اجتماعي وقضائي وفساد والقائمة تطول... ومن قال لك أنني أأله الغرب هم بشر في النهاية

يصيبون ويخطئون ولكن عندما تقارنهم مع العرب يتفوقون علينا بسنوات ضوئية، هناك عندهم إذا ظلم الرئيس أي مواطن بإمكان المواطن مقاضاته أمام القانون وينصفوه.... مش عارف أنت في أي كوكب تعيش؟!!

فقلت: أنا لم أردّ إلا على المقالة الرئيسية التي تزعم أن الغرب له من العلو الأخلاقي ما يجعله مؤهلاً ليكون مندوباً ورسولًا مطلقاً لمكارم الأخلاق، أنا رددت على المقالة، ولم ألتفت إلى مقارنة حالنا مع الغرب ولا عن تاريخنا. أنا لم أدّعي بأن حاضرنا منير وماضينا يشرّف كل مستنير، من كل وجه وزاوية. فلماذا تردّون على شئ أنا لم أنقضه ولم أدّعيه أصلًا. عشوائية في عشوائية، سواء في الحديث أو في الردّ. ولماذا تفترض بأني سأقيّم بناء على الملاهي الليلة والخمور، لا تفترض أن كل من قال الله والقرءآن أنه سلفي وهابي في نظرته وتقييمه للأمور، لاحظت أنك مثل الأخ الآخر تسارعون إلى افتراض عقلية وشخصية من يتكلّم معكم (وعادة بأسوأ تصوّر) كأنكم تتكلّمون مع أشباح داخل أذهانكم لا مع أشخاص خارج وجودكم. ركّز على ما يقوله من يحاورك، وليس على ما تحسن أنت (أو تظن أنك تحسن) الرد عليه من أفكار ووقائع. هذا أوّلًا.

ثانياً، احترام قيمة المواطن، على سبيل المثال، حسناً، أرجع وأذكر السود المشؤومين في أمريكا ليس لأنه المثال الوحيد لكن هو الذي كررته وهو مثال سهل فهمه سريع إدراكه. اذهب واسأل الأسود الأمريكي وقل له مدى شعوره باحترام مواطنته. اذهب واسأل الهندي الكندي الأصلي عن مدى احترام مواطنته. لا تقل لي "احترام مواطن"، كل البلاد تحترم مواطنيها، ومن بعض الحيثيات الأخرى نعم يوجد فضل لبعض الحكومات الغربية على من سواها (أقول بعض وفي بعض الأحيان) ولكن هذا لا يأتي لأن لديهم حظّ أوفر من الإنسانية، لكن لأنه في تلك البلاد الشعب مسلّح أو يستطيع التظاهر وقلب الحكومة وأعضاء الحكومة يصلون إليها عادة بأصوات الشعب، فيحتاج الموظف الحكومي إن أراد الحفاظ على منصبه الذي يعتمد على شعبيته، أو إن أراد عدم التعرّض للعقوبة التي ينصّ عليها القانون، أن يعمل في إطار معيّن. فكلّا، لا يوجد بيننا وبينهم "سنوات ضوئية" ولا حتى سنوات مصباحية أو شمعية. يوجد بيننا وبينهم أن تقوم شعوبنا بالسلاح وبالقوّة وتنتظم في جماعات منظمة وتقيم لأنفسها نظاماً حاكماً نابعاً من إرادتها وحسب رؤيتها. مجرّد قولك أنهم "أفضل منّا" لا يعطيك أي قيمة زائدة، ولا يجعلك بمجرد ملاحظة هذا التفضيل من ذلك الوجه المحدد خير من بقية العرب والمسلمين. لا تقارن نفسك بأناس أنت لم تدرس واقعهم حقّ الدراسة ولا أنظمتهم ولا تاريخهم، فالمقارنة ستكون سطحية وعامّية وسخيفة جدّاً. هذا بالنسبة لاحترام قيمة المواطن، وأما العدل فقد ذكرته في مقام آخر فلا أعيده.

ثالثاً ولاحظ هنا الخلط الذي تقوم به من حيث لا تشعر، تقول بأن الحكومات الغربية أفضل من حكومات بلادنا لأن الحكومة هناك "مسؤولة عن كل مواطن من علاج وتعليم وتوظيف ورفاهية" أقول: هذا في بعض الحكومات الغربية وليس كلّها، والتي تميل إلى الاشتراكية في هذه الجوانب وتأخذ ضرائب عالية على الدخل من المواطنين، فهي لا تقيم جمعية خيرية، لكنها تأخذ ٤٠-٦٠٪ من دخل الشعب كضريبة جبرية قهرية، لتنفق على الشعب. في أمريكا مثلًا لا يوجد علاج شامل لكل فرد. والتعليم العام المجاني يقتصر على ما قبل الجامعي عادة، وهذا التعليم العام فاشل وساقط ويكفي أن تستمع لأقوال خبراء التعليم عندهم لتعرف ذلك ودعك منّي فيه. وهكذا في بقية البنود. في السعودية وبلاد الخليج ينال عموم الناس من الخدمات المجانية الحكومية-بدون ضرائب تشبه من بعيد ضرائب الغرب- مثل أو أكثر مما يناله عموم الشعوب الغربية. فالسعودي مثلًا يدرس حتى الدكتوراة على حساب الحكومة، ولديه علاج

حكومي مجاني، وحق التوظيف بقدر الموجود مكفول للجميع وحتى أن تفضيل السعودي على غيره حاصل، والترفيه صار كما تعلمون اليوم، وكل هذا وبدون ضرائب (ولا تقل لي ٥٪ على بعض السلع ضريبة لأن الشعب يستردّ أضعاف أضعافها من الحكومة بدون أي ضريبة أخرى معتبرة). فإن كنت تريد التحدث عن نيل الخدمات المجانية من الحكومة، وهو ما يشعر به عادة المصري أو السوري أو العراقي الذي يهاجر وهو مفلس إلى بعض البلاد الغربية (وليس كلّها) ويستقبلونه، ويرى أنه يأخذ خدمات مجانية ويظنّ أن الأمر هكذا بالنسبة لكل الشعب، هيهات، ما يأخذه هذا الغافل قد دفع قيمته أناس كثير في تلك البلد من عرق جبينهم، وفيهم بالمناسبة كثير يرفضون كل هذا الدعم للمهاجرين فالقضية ليست مسلّمة عندهم وصعود الأحزاب اليمينية في أوروبا وأمريكا كفيل بتبيان ذلك. وهذا كلّه في طرف، وكونك تجعل الحكومة المائلة للاشتراكية والشيوعية في كيفية تقديم الخدمات أفضل مطلقاً، والأمريكان يقفون فوق رأسك ويقول الكثير منهم بأن هذا النمط من الحكومة أقل في الفضل من الحكومة الرأسمالية التي لا تتدخّل في مثل هذه الأمور وتأخذ ضريبة عالية على الدخل لمثل هذه الحاجات والخدمات. الخلاصة: أنت تفضّل ما لا تفهمه، على ما لا تفهمه. وتفضّل شئ غير ثابت فضله ولا حتى عند الكثير من أهله.

رابعاً الشباب الذي يرمي نفسه في المحيط ليصل إلى الغرب، يرمي نفسه لأن وراءه حرب، أو لأنه مفلس في بلاده. وهذه مصيبة، والمصائب لها أحكامها الخاصة التي لا يجوز المفاضلة بناء عليها من أي وجه. وليس كل بلد "متقدمة" هي بلد "غربية" بالمعنى الشائع، فإن روسيا والصين واليابان متقدمة أيضاً من تلك الوجوه، لكن لا أحد يرمي نفسه في المحيط لينظر في وجه فلاديمير بوتين ولا جيجين بينغ الديكتاتور. والدول الغربية التي تستقبل بعض المهاجرين لا تستقبلهم لسواد عيونهم، وإلا لاستقبلتهم كلّهم فإن كلّهم لهم عيون سوداء مثل إخوانهم، ولا تفتح الباب على مصراعيه. هؤلاء يرضون بالمهاجرين مثل بقية البلاد، لا حبّا فيهم ولا احتراماً لعرقهم ولا دينهم، ولكن لسبب واحد فقط: زيادة عدد السكان حسب المعدلات المطلوبة. القوم عندهم نقص شديد في معدلات الزيادة السكانية المطلوبة، ويريدون هذه الدفعات الجديدة الجاهزة من السكان. هذا سبب. والسبب الآخر أن الشركات التجارية هناك، وهي رواء الأحزاب السياسية، تفضّل وجود عمالة رخيصة والمهاجرين عادة يعلمون بأي أجر أو بأجور متدنية جدّاً، ولذلك مثلًا الأمريكان مهما قال المتطرفون منهم يقبلون بوجود المكسيكان في بلادهم حتى إن هاجروا بطريقة غير مشروعة، فإن هؤلاء يقومون بأعمال كثيرة "وسخة" وبأجور زهيدة، بل إن كونهم غير مسجّلين رسمياً يجعلهم أقلّ قدرة على رفع دعاوى قضائية ومقاضاة أرباب العمل. فحتى هذه النقطة، أنت تنظر فقط من جانب واحد، وتترك الجوانب الحقيقية التي تكمن وراء القرار، ثم تفتخر كأنك شاعر يريد أن يمدح مقابل المال ولا يبالي بقول الحق أو الباطل.

خامساً لا رحم الله من قال "إن الله لينصر الأمة الكافرة إن كانت عادلة، ولا ينصر الأمّة المسلمة إن كانت ظالمة". فإن هذه الكلمة السخيفة الشائعة، وهي أخت كلمة محمد عبده التي ذكرتها سابقاً ومثلها في السخف لكنها أخطر، تفترض أنه يمكن أن توجد أمّة يجتمع فيها وصف "مسلمة" ووصف "ظالمة" في آن واحد. وهنا أساس الخلل في الرؤية. الحق أن كلمة "ظالمة" لا تجتمع مع كلمة "مسلمة" ،كما لا تجتمع كلمة "سمّ" مع كلمة "صحّة". "الظالمون هم الكافرون". "لا ينال عهدي الظالمين". والآيات والأحاديث كثيرة في الباب، والإشارة تكفي مَن يعقل عن الله ورسوله.

سادساً الإنسان يُلام على جرائمه ويحمَد على محاسنه، كائناً ما كان دينه وملّته. ومرّة أخرى جاز في ذهنك اجتماع وصف عمل مسلم ومسلم مع وصف الجرائم والانقلابات والدم والمؤامرات. الذين قاموا بهذه الأعمال، حين قاموا بها، لم يكونوا من المسلمين ولا انطلقوا من الإسلام. "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن". فنسبته للإسلام والمسلمين حينها باطلة. وأصل الخلل أننا نظن النسبة ثابة للشخص في كل أحواله وأعماله. والحق أن النسبة تتغير بتغيّر حال الشخص. ومجرّد نطق الشهادة لا يجعله مسلما ولا تجعل أعماله أعمال المسلمين. كل عمل حكمه يختلف بحسب طبيعة العمل، والعامل يشتق اسمه من عمله وتختلف أسماؤه باختلاف أعماله. ثم إن هذا خروج عن الموضوع، فأنا لم أذكر مخازي الغرب التاريخية والحاضرة لأني أريد تفضيل العرب عليه مثلًا، لماذا تنظرون دائماً بهذه العين المقارنة ولا تحسنون النظر إلى الشئ في نفسه والحكم عليه باستقلال، لا أقلّ في بادئ الأمر. أنا لم أذكر تلك المخازي إلا كردّ على دعاوى التأليه والمثالية الخرافية التي ينسبها البعض للغرب ويريد منه أن يصير معلّماً للأخلاق والعلوم العالية، وهذا الهراء بالمناسبة لو ذكرته لأكثر الغربيين أنفسهم (وخصوصاً المثقفين منهم) لضحكوا في وجهك ولاستسخفوا فكرك. هذا شئ لم يعد يقول به إلا بعض الجهلة في بلادنا، ممن لا يحسنون لا التعرّف ولا التعقّل ولا التكلّم. فحين يقول الأخ أن كلامي "بعيد عن الواقع وكأنه لا يرى الويلات التي تعيشها الدول العربية" أيضاً خارج عن لبّ الموضوع. أنا لم أتحدّث عن حال البلاد العربية، وأنا أدرى بها فإني عربي أعيش في بلاد عربية ومركز البلاد العربية وأعمل في حكومة عربية وأتعامل يومياً مع المشاكل الاجتماعية والقضائية في هذه البلاد العربية. أنا أعلم الخير والشرّ عندنا، والأمر سئ من بعض النواحي وجيّد من نواحي أخرى، فقد جرّبت العيش والتعامل مع الغرب ولي اطلاع شبه يومي على شؤونهم الاجتماعية والقضائية والقانونية والسياسية. أنا لم أقلّ أن الخير كلّه في طرف ولا الشرّ كلّه في طرف، هذه نظرة طفولية وغير واقعية بالفعل. لكن ما أقوله هو بطلان ذلك التفوّق الخرافي من كل وجه الذي يذكره الأخ. التفوّق في بعض المجالات موجود ولاشك، لكنه ليس في كل مجال من مجالات الحياة الإنسانية، ولا ذلك التفوّق راجع إلى "كل" أفراد ولا حتى أكثر أفراد تلك البلاد، وإنما هو شئ تقوم به النخب ومعها فئات من الشعب متنفذة ولها سيطرة على الوضع العام. وبالمناسبة، حتى في كثير من البلاد العربية والإسلامية تستطيع مقاضاة رجال الحكومة، فالأمر ليس بالسوء الذي تتصوّره. ومن جهة أخرى، الرئيس الأمريكي الآن متعرّض لأكثر من قضية وأدلى بأكثر من تصريح لو فعل عشرها غيره لكان في السجن، لكن لم تتم مقاضاته إلى الآن، فالأمر حتى من هذه الناحية ليس بتلك السهولة التي تذكرها. ونعم، بعض البلاد الغربية قد تحاسب الرئيس إذا سرق ٥٠$، لكنها لا تبالي بأن تبعث جيشها الممول بأموال الضرائب لسرقة مليارات الدولارات من بلادنا العربية ونهب النفط والموادة الطبيعية، فأرجو أصحاب النباهة أن لا يبالغوا بقصة الخمسين دولار هذه كثيراً.

الخلاصة: لا تستغرب أخي، أنا أعيش (لا أقلّ جسمي) في كوكب الأرض الذي تعيش عليه. لكن إن شاء الله عقلي لا يكون مملوء بالأمراض والعقد الذاتية حتى أصنع آلهة وتماثيل نعكف على تعظيمها وأنا أعرف أن الثعالب تبول على تلك التماثيل ليل نهار. (لا أدري إن فهمت الإشارة، لعلك لم).

قال الثالث: انا لا افترض اتجاه وفكر احد ...انا اناقش الفكرة وليس الشخص.... على العموم ... كلامك غير دقيق فانا لا اريد ان اناقش الارقام مع ان لدي الكثير ولا فائدة من الكلام عن الماضي لاننا لم نتعلم منه.... ولكن اسألك ... لو فتح باب الهجرة الى دول الغرب ومنح تسهيلات فكم شخص سيبقى وكم شخص سيهاجر.... ليس تنصلا من اصولنا وعاداتنا ودولنا ولكن بحثا عن حياة افضل لنشعر

بانسانيتنا...عندما كنا في قمة الحضارة والعلم في الاندلس... كان ملوك اوروبا يرسلون ابناءهم لتعلم العربية والدراسة هناك.... والآن ماذا؟ ليس عيبا ان نتعلم منهم الآن ما ينفعنا... ونبدأ من حيث انتهو هم.

في الخلاصة....ما زلت مصر على اننا نأله الغرب ونعتبرهم قدوة.... ياأخي نحن نقدر النجاح العدل الاحترام الحق مهما كان مصدره ونكره الظلم والعنصرية ووو مهما كان مصدرها... ولا يحب ان تربط كل هذه المفاهيم في الاسلام فقط لاننا مسلمون فهذه القيم موجودة قبل الاسلام. رحم الله الدكتور مصطفى محمود حين قال ذهبت الى الغرب فوجدت الاسلام ولم اجد المسلمين وفي الشرق وجدت مسلمين ولم اجد اسلام.... ولا عمم ولا تحدثني عن ماضيهم المظلم فحاضرنا وماضينا اسوء...

قلت: نحن لا نأخذ الحقائق والحقوق من كون غيرنا من الأمم أفضل أو أسوأ منّا. الحقائق من الحق، والحقوق من الحق. نحن ننظر في أنفسنا ونعقل الكتب الآفاقية والألسنية لربّنا ونفهم من حكمة خالقنا، ولا يهمّنا بعد ذلك أن اهتدى أو ضلّ غيرنا. هذا أساس الأحرار وقاعدة الأخيار. ثم بعد ذلك خذ وتعلّم ممن شئت ما شئت، لكن ما يحصل وما انتقدته ليس التعلّم من أحد، فالتعلّم من الجميع كان فكرة أصيلة في طريق نبينا وقرءاننا وهذا معلوم والأمم في تلك الأيّام كانت تقتصر على ما عندها وتعزل نفسها عن غيرها إلى أكبر أحد تقريباً.

وأما عن فتح باب الهجرة: فنعم العامّي والهمج الرعاع الذين همّهم فقط لقمة العيش من أينما جاءت، فهذا من حقّه أن يذهب إلى أفضل احتمال يجده. لكن أهل الفكر والتنوير لا يجوز أن يفكّروا فقط بالهروب إلى أفضل مرعى، بل لابد من التفكير في كيفية جعل هذه البلاد على أحسن شاكلة ممكنة. فالفرق بين ما أدعو إليه أنا وما تدعو إليه أنت، هو كالفرق بين إرادة الغنم وإرادة أهل الفهم.

وأما عن كون ماضينا وحاضرنا مظلم وأظلم منهم، فما عهدتك إلا عاطفي لا ترى أمامك بوضوح. ولعلك تعاني في نفسك من مشاكل وتريد أن تسحب ذلك على كل أحد وتلوم كل شئ على عادة ضعاف العوام. فالخلاصة التي أفهمها من توجّهك هذا، وكم له من نظير في كثير من البشر، هو أنكم استسلمتم وضعفكم شلّ إرادتكم، وعقولكم أوهى من أن تتحمّل التمييز والتدقيق في الواقع، وبالمناسبة هذا أحد أهم أسباب "الظلام" الذي في بلادنا، وجود كثير من الناس ممن لهم نفس هذه الطريقة. فقل لي ماذا سينتج عن مثل هذه العقلية غير الهروب من إصلاح الواقع أو محاولات التلفيق العمياء بين بعض الثقافات الغربية وثقافتنا الشخصية وجذورنا الفكرية. يعني سينتج إما فشل وإما فشل أكبر. هل فهمت لماذا أطيل النَّفَس في المباحثة معك. لأني أريد أن أصل إلى نقطة ونهاية ليس فيها فشل، فإذا بكم كتلة من الفشل تريد تبرير فشلها بادعاء أنها تتبع نور العقل. وعن أي احترام للحق تتحدث وأنت لم تحترم نفسك ولا أهلك ولا أمّتك ولا حاضرك ولا ماضيك ولا قدرتك ولا استقلاليتك. أي احترام هذا، كلّا يا أخي، هذا ليس اسمه احترام، تعال أنا أعلّمك اسمه، اسمه خنوع وركوع، شئ فعلته كل الأمم المهزومة على مر القرون، وفعله الأوروبيون أيضاً كما تعلم في قصة الأندلس التي ذكرتها مثلًا. الخنوع شئ والاستفادة شئ آخر. الاستفادة لا تكون إلا من أحرار لهم عقول مستقلة، الخنوع يناسب نفسية العبيد وقدراتهم المضمحلّة.

وأخيراً، لا ألومك على حالتك هذه، فإن الأمم لا تقوم برعاعها ولكن بنخبتها. والنخبة في الغرب كما في الشرق كما في المابين لا تتجاورز عادة ٥-١٠ ٪ من الأمّة. وناقشتكم لأرى إن كنتم من هذه النخبة، فإذا بكم من العامّة، ولا أحبّ الكلام مع العامّة، "سلام عليكم".

ملوحظة أخيرة: إن أحببت التكلّم بعقل واستقلال عن ذلك الخنوع، فباب التوبة والأوبة إلى الحرية مفتوح. اذكر ما شئت، وأنا معك إن شاء الله حتى تملّ. أما إن كنت ستعيد تلك الألفاظ غير المفهومة والمبهمة وغير الواقعية، فتكليفي ينتهي هنا.

...

قال رابع: من هو الغرب المتحضر ؟

هل هم من ينتصرون لحيوان ويقتلون الملايين؟

ام من يبكون على طفل غريق ويرسلون الطائرات والبوارج لتدمير الآمنين.

من صنع البارود والقنابل النووية ؟ المسلمين هم من فعل ذلك؟

الا تعلم ان خطة الصهيونية منذ نشات ما يسمى بدولت اسرائيل كانت تدمير الدول العربية المركزية وهي العراق ومصر و سوريا ومنع اقامة نظام عربي ديمقر اطي.

لماذا يتآمرون على تركيا الآن ؟

فقلت: لا يوجد أخي لا غرب متحضر ولا خلافه. هذا كلام مكرور مبهم لا معنى له، والذين يستعملونه لا يفهمونه، وهم يحملون أفكار مبهمة في أذهان ضعيفة لا تستطيع التمييز بين الأشياء. وعندهم عقدة نقص رهيبة تجاه أنفسهم، بالتالي لبلادهم وأمّتهم، ويحسبون أن شتم النفس وتعظيم الغير هو طريق الإصلاح، عملية سفيهة من كل وجه.

فقال الأول: هم سيئون معنا هذا شيء بديهي لأننا أعداؤهم وهم أعداؤنا فهذا شيء متوقع منهم... لكنهم رائعون مع بني جنسهم ومع بعضهم البعض ....ولكننا نحن الأمة العربية والإسلامية سيئون جدا لبعضنا البعض سواء في علاقة الفرد مع الفرد أو علاقة الدولة مع المجتمع ويوجد عندنا من التفكك والإنحلال الأخلاقي والإجتماعي والسياسي والإقتصادي بدرجة تفوقهم بمراحل... أنا قصدت أن يعلمونا هذه المبادئ الأخلاقية التي يتمسكون بها فيما بينهم والقوانين الناظمة العادلة بينهم.... وعلى فكرة الأخطاء البشرية والقتل بالجملة نتيجة أطماع سياسية لم تنجو منها أي أمة حتى الأمة الإسلامية والحروب الطاحنة بينها التي تبدأ من معركة صفين إلى يومنا الحاضر وما نراه في سوريا والعراق واليمن وليبيا والحبل على الجرار إن لم نستيقظ من غفلتنا.

فقلت: {رائعون مع بني جنسهم ومع بعضهم البعض} دمّ صاحب هذه العبارة خفيف جدّاً، مثل تفكيره وقيمة ملاحظاته عموماً. مستوى الوهم الذي في هذه العبارة أدخلني في حالة عجيبة من الضحك والحزن في آن واحد. ولا أعرف من أين أبدأ في ردّها، لكن أحسب أني ذكرت ما فيه الكفاية فيما مضى. وأما قصدك {هذه المبادى الأخلاقية التي يتمسكون بها فيما بينهم والقوانين الناظمة العادلة بينهم} فأقول لك يا أخي إن كنت لا تستطيع أن تعرف هذه القيم الأساسية وأسبابها الواقعية بنفسك مع بساطتها ووضوحها، فصدّقني لن ينفعك لا تعليم مُعلّم ولا مندوب مُفهِّم. المشكلة أنكم لا تزالون تظنون أنه توجد "وصفة سحرية" و "عقيدة صحيحة" (مثلكم مثل السلفية بالمناسبة، ولا غرابة فالحداثي هو الوجه الآخر للسلفي) بها يتم إصلاح كل شئ على المستوى السياسي والاجتماعي. لماذا تظنّ أنه لابد من تعظيم الآخر حتى تصلح النفس، من أين جئتم بهذه النفسية الاستعبادية والرؤية المناسبة للدهماء والأغبياء. ولا غرابة، فإن "إلجام العوام" عن الكلام كان من أهم أهدافه هو إسكات هذا النوع من السفاهات والتفاهات التي تضرّ الأمّة ولا تصلح في شئ.

...

كما أن اختلاف الرؤية يؤدي إلى اختلاف المناهج، كذلك اختلاف المناهج يؤدي إلى الاختلاف النتائج.

والشك في المنهج يعني الشك في نتيجته. فلا يمكن وجود منهج لطلب العلم مبني على الظنّ ومع ذلك تكون نتائجه من العلم اليقيني.

وإذا كان الاختلاف واقع في المنهج، وبنوده، وتفسيرها، فإذن يوجد أكثر من "علم" و "منهج علمي" واحد. كل اختلاف في المنهج العلمي يعني اختلاف في المنهج العلمي ذاته، مما يجعلها مناهج متعددة.

وبما أن الشك والترد والاختلاف موجود في فلسفة العلوم الغربية، فإذن لا يوجد عندهم "منهج علمي" بل مناهج علمية متعددة.

...

بعض وقائع الوجود تُستمدّ من المشاهدة، لكن نور تفسيرها يكون من العقل وليس من المشاهدة، ثم يظهر هذا النور في الوقائع وتلاحظه فيها بعد أن لم تكن تلاحظه فيها. ولو كان من نفس المشاهدة والمشاهدة مستوية بين المشاهدين لاستوت التفاسير واتحدت ولما اختُلِفَ فيها.

...

العلم ليس فقط أي "تفكير منظم". فالتفكير منه منظم ومنه غير منظم، وكلاهما يُنتج العلم بالوجود. قد تقول أنك تفضّل التفكير المنظم- أيا كان معنى التنظيم-لكن هذا لا يبيح لك احتكار تعريف العلم وقصره على التفكير المنظم، العلم كل ما طابق المعلوم، وحيث أنه من المقطوع به حدوث العلم من التفكير المنظم وغير المنظم، بل من التفكير بالمعنى البطئ التحليلي أو بالمعنى السريع اللاشعوري، أو الحدس والاستلهام الباطني، أو الشعور بلا أي فعل ذهني واعي، كل ذلك ينتج علماً بشئ من أشياء الوجود وعلاقاته، فإذن كل ذلك طريق للعلم ولابد أن ندخله في تعريف العلم بالمعنى الحقيقي الواسع له. منهجك في تحصيل العلم لا يعني "منهج العلم". منهجك احتمال من احتمالات متعددة معقولة وتنتج معلومات واقعية، فلا يحق لك إن أردت العدل اختزال مناهج العلم في منهجك. أنت تعرف أنك موجود بدون "تفكير منظم". فتأمل.

...

الحداثيون عندنا يحبّون السلفيين، لأنهم يقارنون أنفسهم بهم فتظهر صورتهم جيّدة أمام الناس. كمثل رجل كسيح مشوّه قبيح، حين يريد ترويج جماله بين الناس، ماذا يفعل؟ يقارن نفسه بمن هو أكسح منه وأشدّ تشوّهاً وأقبح منه هيئة. الحداثي بدون السلفي لا يستطيع الترويج لنفسه، ولذلك تراهم يذكرونهم في كل مناسبة ولامناسبة. ومن الخدع النفسانية المعروفة مقارنة نفسك بشئ حتى تبرز ما تريد إبرازه عن طريق اختيار القرين المناسب. والحداثيون عندنا لديهم موهبة-لعلها لاشعورية-في القيام بهذه الخدعة النفسانية.

...

أراني أحدهم صورة لبرج أيفيل وقال "منظر يشعرك بالارتياح، أعطيني سبب واحد مقنع يمنعك تروح لباريس".

فقلت: ما الذي يثير الارتياح من هذا المنظر الكريه والجهد الإسرافي السفيه الذي يذكّرنا بإضاعة الوقت والجهد والموارد أيام الفراعنة. وعندي ثلاثة أسباب لعدم الذهاب لباريس: عنصرية أهلها إن تكلّمت معهم بغير فرنسيتهم ولهجتهم أيضاً، ولا أريد أن أسمن من أكل الخبز، ورائحتهم عفنة والحمامات عندهم نادرة.

...

(المثنوي العربي)

تعبتُ ولم يبقَ فيّ روح،
غرقت في طوفانه كقوم نوح.
لأني تقيّدت وسلسلت نفسي،
بغايات وأقدار وهموم قومي.
أردت الإصلاح بآلة الأفكار،
أو السلاح كأني شقي جبّار.
ألم يقل المشايخ الأبرار،
بِع الدار واشترى الأذكار.
ذكر الحبيب هو الحلّ والحلال،
العُقَد بنات العقل والعقال.
ليس ثمّ طريق للأحرار،
سوى الذكر وإنشاد الأشعار.
مدار الأمر على طهارة القلب،
وما طهَّر القلب مثل الطَرَبْ.
ألم تر نهاية كل مشكلةٍ،
في جهالةٍ أو في غفلةٍ.
أفليس ذكر اسمه نور الأنوار،
أفليس مشاهدته شفاء الأشرار.
ألم تكن قُبلَته فيّاضة بالعلوم،
وماء شَفَتَيْه يهتدي كالنجوم.
فما بالك تطلب الكبير بالصغير،
وتبيع الذهب بالتبن الحقير.
ما حجب عنك أسنى الألطاف،
مثل العناد وانعدام الإنصاف.
وهل الظلم إلا ثمرة أكل الحرام،
وعكوف النفس على الأصنام.
لا أقول اللات والعزّى وأصنام الأولين،
لكن التفاتك إلى الخلق دون رب العالمين.
لو عاملت الله لم تعامل غيره أحداً،
لأخلصت له وحده ما عشت أبداً.
أي جميل المُحيّا وروح الحياة،
أنت الأول ونهاية النهايات.
اجعلني أراك وأشمّك وأشعر بك،
ألمسك أُقبّلك أضمّك أسجد لك بك.
أنت لي فاجعلني عبدك،

أنت وحدك فأرني وجهك.
أنفاس الحق نغمات الوجود،
الموجود راقص ففُكّ القيود.
استمع لكلامه في مصحف الناي،
ففي أصواته له ألف من الآي.
نفخ اسمه في أخسّ تراب،
فسجدت له جميع الأرباب.
حجب نوره عن بعض المستنيرين،
فهبط من العيا إلى أسفل سافلين.
لا تنظر إلى التراب ولا للنور،
اسمه السبب فاعقل السطور.
بدا برد سلامه لإبراهيم،
فآثر النار على التسليم.
لمس نوح بيد البسملة ذلك الطوفان،
فنجا منه وغرق بآرائهم ذوي الطغيان.
لا يغرّنك بقاء الطور قبل التجلّي،
فإنما حجب الحجاب فناءه الذاتي.
فشاهد موسى الفناء الذي كان عليه،
فالأمر كلّه حقيقة فيه به منه وإليه.
لطُفَ حتى قيل أنه في المسيح،
فكل عاشق صار عنه لا يُشيح.
تنزّه حتى جحده الجاحدون،
علا حتى خرج عن كل قانون.
أنّى للأذهان حصر سرّ كنهه،
أخو الجهالة لا ينفكّ عن جهله.
العقل والجهل في معرفته سَيّان،
لا يكشفه ولا يحجبه أي برهان.
القرب والبعد لا تُعرّج عليهما،
ومعراج محمد لم يُبَن عليهما.
إنما هو معراج آيات وكشف للآخرة،
معرفة الروح ألا فَدَعِ الفئة الساخرة.
في أحجار مكّة وقلب أبي لهب،
ترى بالعشق نور العظيم الرب.
هو في الإذخر وعلى القصواء،
كما هو في الكفر وخبر الأنبياء.

لا فرق بين الجمال والجلال،
ولا فرق بين النقص والكمال.
الكل حجاب على ذلك الواحد،
الكل لباب لقشرة ذلك الماجد.
لا تخلط الحجاب بالمحجوب،
ولا تنظر للحقائق بالمقلوب.
وجدانك ضعيف فيناسبه اللطيف،
فتحتجب عنه بك إن ورد الكثيف.
حين تنسى نفسك تراه في قِبلَتِك،
حين تشتغل بها تجهله في قرءانك.
"نهى النفس عن الهوى" أيها صديق،
هو محو للنفس بالكلّية بسيف الرفيق.
لا قبل ولا بعد،
لا فوق ولا تحت،
لا اليوم ولا غد،
لا حِلّ ولا سُحت.
دع الكل،
قل ثم قل،
"هو الله أحد"
"الله الصمد"
كن لا كن أيها السعيد،
قم الآن فبصرك حديد.
وغَنّ ما دمت في مسرح العالَم،
بأسرار الحق للعامّي والعالِم.
إذ وجود العالَم خراب المعرفة،
وخراب المعرفة دمار الحقيقة.
تحدّث عنه بكل لسان،
تحدّث إليه في كل آن.
فإنه السامع والمسموعات والكلام،
هو البحر والقبطان وذات الأعلام.
أنشد بجسمك إن عدمت الصوت،
أنشدت بحالك إن أردت الصمت.
العاشق نشيد على لسان الحق،
يغنّي به وله بآلات الخلق.
لا يمنعنّك حيرة حائر،

ولا انقلاب مؤمن لكافر.
فأمواج أسمائه فوق كل الأسماك،
ومحيط ذاته يُغرق جميع الأفلاك.
أُغنّي لك يا نظام العالَم وجماله،
لا ليفهم عنّي مَن أضلّته آماله.
الهواء يفهمني،
قلمي يسمعني.
أنفاسي تجيبني،
دمعي يُصدّقني.
أذني تصغي إليّ،
دمائي تطوف فِيّ.
سُيّاح عالَم النور في مجلسي،
جبرائيل مُنشدي،
إسرافيل ينفخ في ناي كلامي،
ميكائيل يكيل حقيقتي.
مَن أريد بعد ذلك أيها الناس،
هل أستبدل بالأطهار الأنجاس.
أي عزرائيلي أنت الحبيب فتعال،
أرجعنا إلى حضرة الحبيب المتعال.
ينفر منك مَن غطّاه غطاء الغطيط،
ومن ثقله المادّي لرحله تحته أطيط.
"إنّا لله" لم نزل ولا نزال،
"إليه راجعون" خلاصة غزل الغُزَّال.
هذا الكلام لا بداية له ولا نهاية،
فاسكت واقرأ على جنازتك آية.
فاسمه روحنا،
وكلامه حياتنا.
له الحمد في الأولى والآخرة،
والصلاة على الُدرّة الفاخرة.
...
اليقين يكثر عند الأغبياء،
والشك يكثر عند الأذكياء.
والأغبياء يسارعون بتنفيذ أفكارهم،
والأذكياء يترددون في تنفيذ أفكارهم.
الغباء مُدَمِّر،
والذكاء مُزهِر.

ولذلك العالَم فيه من الدمار،
أكثر مما فيه من الأفكار.

...
العقيدة حق بلا حقيقة،
الفلسفة حقيقة بلا حق،
الملّة هي الحق والحقيقة،
فاتبع الشريعة،
واستقم على الطريقة.

...
طلب النكاح،
أمر مباح،
أما التمحور حوله،
فسفالة وسفاح.

...
انعدام الشخصية أصل في كل أصحاب العصبية والتقليد المطلق للمذاهب الدينية والسياسية.

...
قيم طريقنا مركزها "أنا"، وفروعها أربعة: شمالها الصدق، وجنوبها الحق، وشرقها العدل، وغربها العقل.

...
مسألة في حرية الكلام: هل يجوز للأقليات التي تتأذى من بعض الكلمات التي يذكرها الآخرين، المطالبة بمنع تلك الكلمات بسلطة القانون، لأنها ضعيفة وليست من الأكثرية ذات القدرة.
أقول:-

أوّلًا إن كانت أي أقلية تملك القدرة على إقرار قانون يقيّد كيفية تكلّم الأغلبية، فهذه الأقلية ليست أقلية ضعيفة ولا مستضعفة، بل لولا أمنها من الهموم الكبيرة والمشاكل الحقيقية الأساسية لما تفرّغت للنظر في هذه الكلمة وتلك اللفظة التي "تؤذي أحاسيسهم النفسانية" على حد تعبيرهم.

ثانياً إن كانت هذه الأقلية تريد حماية "هويتها" و "قيمها" بواسطة تقييد الآخرين بالقانون قهراً، فإن غيرها من الأقليات أو الأغلبية لها هويات أيضاً وقيم عادة ما تقوم هذه الأقلية بمعاكستها ومضادتها، مثل أقلية الشواذ جنسياً أو الأقليات الدينية والمذهبية أو الأقليات العرقية بشكل أو بآخر. فإن كان يجوز لكل صاحب هوية وقيمة قمع كلام غيره لأنه مخالف له، فيجوز فعل نفس الشئ مع هذه الأقلية المطالبة بتقنين البيان ضدّها، فتتساقط الدعاوى المتعارضة بذلك.

ثالثاً إن كانت أقلية تنال الاضطهاد العملي أو السلوكي، وكان ذلك الاضطهاد يظهر بواسطة كلمات، فالسؤال هو: هل فرغت تلك الأقلية من محاربة أصل الاضطهاد العملي الذي هو أم الكلمة "المؤذية" التي يريدون منعها بالقانون، هل فرغت أم لا؟ إن كانت قد فرغت، فقد زال الأصل وبقي الظلّ، والعبرة بالأصل. وإن لم تفرغ، والأصل قائم، فلتنشغل بمقاومة الأصل ولا بمحاربة الظلّ. ومقاومة الأصل تكون بالنظر في الجذر، أي بالأسباب الفعلية التي أدّت إلى نشوء ذلك الأصل، الكلمات لا تكون أصلًا في هذا الباب، لكنها دائماً ثمرة وفرع وقيد لاحق، الأصل لا يكون إلا أفكاراً عن الوجود والقيم وهذه أيضاً لا فاعلية لها حتى يتم تنفيذها بقوّة السلاح. فكل اضطهاد يرجع إلى السلاح، والسلاح يدعم

رغبة أصحابه. ونقض السبب يكون بما يناقض السبب ومن نفس مستواه. شخص يستعبدك بتسديد سلاح إلى وجهك، ويقول لك أحياناً "اشتغل أيها العبد" مثلًا، فإن اشتغالك بمنعه من نطق كلمة "العبد" المهينة لك، دليل على سفاهتك. اعمل على إبعاد السلاح من وجهك، وحينها ستزول كلمة العبد بعد زوال حقيقتها، أو ستبقى أثراً بعد عين لشئ لا عين له ولا يتأثر من مثل ذلك إلى حد تقنين البيان إلا المرضى والمعتدين الذين يستحقّون ما ينالهم من كلمات بل وأسوأ منها.

رابعاً حتى لو زاد الاضطهاد الواقعي، وبقيت الكلمات التي تُذكّر بذلك الاضطهاد الغابر، فلو نظرت الأقلية لنفسها وسعت في فائدتها لعلمت أن بقاء تلك الكلمات من أحسن الخدمات لها ولقضيتها. ألا ترى اليهود مثلًا يحيون ذكرى الهولوكوست بعد عقود من حصوله، ويكتبون عنه ويصنعون الأفلام حوله، لماذا؟ حتى يُذكّروا الناس بحصوله، بالرغم من شناعته؟ لماذا؟ حتى يُذكّروا الناس بتلك المأساة لكي يحذروا هم وأجيالهم من بعدهم وبقية الناس من وقوع نفس الأسباب التي أدّت إلى ذلك الاضطهاد الأوّل حسب نظرتهم. الحاصل، بقاء الكلمة بعد زوال واقعها فائدة للأقلية ولا يضرّ بهاو طالما أنها تبقي عينها مفتوحة تجاه الأسباب الحقيقية التي يمكن أن تؤدي إلى حدوث ذلك الاضطهاد السلوكي مرّة أخرى وتبقي يدها مبسوطة وقادرة لردع من يحاول قهرها مرّة أخرى. فالكلمة المحتقرة للأقليات مِعلَم سياحي ينبغي إرشاد الناس إلى تأمله كل فترة كدعاية مجانية لقضيتك.

خامساً لو كان للأقلية تقنين بيان الأغلبية بحجّة أنها ضعيفة في المجتمع، فإن الأغلبية لها حق تقنين بيان الأقلية بل وسلوكها بحجّة أن الأغلبية هي التي يحق لها رسم صورة المجتمع وتقرير مصيره. فكما أن الأقلية لا تريد ذلك من الأغلبية، فكذلك ينبغي أن لا ترضا لنفسها بما يقيّد من الحرية العقلية والنفسية والكلامية للأغلبية وكل من يخالفهم في ذلك المعيار الذي جمعوا أنفسهم به في فئة سمّوها "أقلية".

الحاصل: كلّا، لا يجوز منع أي أحد من النطق بأي كلمة لا بحق الأغلبية ولا بحقّ الأقلية. ينبغي لكل فرد، أيا كانت فئته أو جماعته، الحفاظ على قدسية التبيين من أغلال القوانين.

...

ما تفعله لأنه قانون لا يجعلك أخلاقياً. ما تفعله مع عدم وجود قانون هو الذي يجعلك أخلاقياً. أي أخلاقك مستقلة عن القوانين، حسنها وسيئها. فالذي يسئ لأن القانون أكرهه مثل الذي يحسن لأن القانون أكرهه، كلاهما لا يستحقّ الوصف بالمسئ والمحسن . ألا ترى أن الله قال "إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان" فلم يسمّيه كافراً بالرغم من عمله بصورة عمل أهل الكفر. لأنه كان مكرهاً. وكذلك كل مكره. كلّما اتّسعت دائرة القوانين ضاقت دائرة الأخلاق. وحيث أن المصير في الآخرة بحسب الأخلاق، فالبلاد الأقرب لطريقة الأنبياء هي ذات القوانين الأقلّ تدخّلًا في حياتهم.

...

النفس تحكم على المتشابهين بنفس الحكم بالرغم من أنها لا ترى إلا الشخص الأوّل ثم تقيس من وما يشبهه عليه. إلا أن تراقب نفسك ويفتح الله لك باب فهم ما تفعله النفس لاشعورياً، فحينها قد تتحرر بصعوبة تزيد وتنقص بحسب عوامل مختلفة من أهمها مدى علمك بالله ومدى تجرّدك من الصور ومدى ممارستك لهذا التأمل والمراقبة والتجرّد.

في هذا السياق أذكر بأني قابلت شخصاً لم أرتح له أبداً من أوّل ما نظرت إليه وشعرت بشئ سوداوي منه، وإن كنت لم أر منه إلا كل خير ومعونة. فتبيّن لي لاحقاً حين كنت أجلس على كرسي الحلّاق والتلفاز خلفي وخرج على الشاشة ممثل في مسلسل قديم أمريكي رأيته في صغري-سوداوي-

أن هذا الشخص يشبه بطل الفيلم. قبل أن يحصل لي هذا الإدراك، حصل بيني وبين ذلك الشخص شجار واختلاف وعفوت عنه وتصالحنا بعد ذلك. لكن بقي في النفس منه شئ تجرّعته بمرارة وتناسيته. وذلك قبل شهور. لكن الليلة كنت في السوق، فرأيت شخصاً بمجرّد أن جاءت عيني عليه شعرت بغضب وبدأ يظهر لي خيال شجار معه، ولم أفهم سبب ذلك، وبقيت أتأمله خلسة كلّما مرّ من أمامي في السوق، هذا بالرغم من أنه رجل كبير في السنّ وكان يمسك سبحة ويذكر الله ومعه ما يظهر كأنهم أولاده يعينونه، فلم أفهم سبب ذلك الشعور الذي طرأ عليّ. فلما تأملته رأيت أنه يشبه ذلك الشخص الثاني الذي يشبه ذلك الشخص الأوّل. وشعرت مع الاثنين اللاحقين نفس الشعور الذي وجدته-ولا أزال أجده-كلما تذكرت ذلك الفيلم السوداوي الذي رأيته في صغري، وإن كان الفيلم كوميدي بشكل ما وليس مرعباً بالمعنى الشائع.

فلاحظ كيف أن النفس لا تفهم الزمان وقد لا تتغيّر ولو بعد عشرين سنة فتنفعل للشئ الواحد اليوم كما كانت تنفعل له قبل عشرين سنة. ثم لا تكتفي بذلك، بل تحكم على الشبيه بالحكم الذي حكمت به على شبيهه وإن كان لا علاقة واقعية حقيقية فعلية له به، فالقياس من أدوات تفكير النفس وليس العقل، العقل يحكم بالحقيقة والنفس تحكم بالتشابه، ولذلك أهل الحقيقة لا يقولون بالقياس إجمالًا، و "العلّة" في قياس النفس هي التشابه ولو من قريب ولو من وجه ولو بصفة ما تكون هي الغالبة على الشخص الأوّل الذي اقترن بالشعور والانفعال الخاص، وكلّما كان الانفعال في مرحلة عمرية أبكر كلّما كان الانفعال أشدّ وأبعد عن المعقولية لأن الطفولية أبعد عن المعقولية والعقلانية والنورانية-وهذه ومن سوءات الطفولة ومصائبها ولذلك ينبغي التخلّص منها بأسرع وأقرب وقت وأحسن طريق ممكن.

نعوذ بنور الله من جهالة النفس وغفلاتها، وأحكامها الجائرة وإضلالها. "إن النفس لأمّارة بالسوء إلا ما رحم ربّي".

...

قلت مرّة: شهوة النيك أو تفريغ المني هي شهوة غاشية . تغشى الوجود السفلي للإنسان , و تظلله كالغمامة . حتى إذا فرّغ هذه الشحنة من المني انقشعت هذه الغمامة فيشعر بأنه إنسان آخر غير الإنسان الذي كان حين غشيته غمامة المني .

فقال أحدهم: ايه اللي انت كاتبة ده دي الملافظ سعد.

وقال آخر: غشمت.

وانفعل غيرهم لذكري لكلمة "النيك".

فرددت عليهم: قد نشرت في هذا المكان أكثر من عشرين ألف مقولة ومقالة، فيها من كل أنواع العلوم والفنون تقريباً، فلم أجد أحد منكم علّق بإيجاب معزز أو نقد مُفَتِّح مُفرِّح. حتى إذا جاء ذكر النيك هاج البعض. السعد في التفكير والنقد. أما الألفاظ فقد قال من هو خير منّا مثلها. وها هو ابن عبّاس يقول في سفره إلى حجّ بيت الله الحرام- تجد الرواية في الطبري في ذيل آية "ولا رفث" وهي صحيحة واعتمدوا عليها في أكثر من باب من العلم والأدب: عن أبي حصين بن قيس، قال أصعدت مع ابن عباس في الحاج، وكنت له خليلًا، فلما كان بعدما أحرمنا قال ابن عباس، فأخذ بذنب بعيره، فجعل يلويه، وهو يرتجز ويقول وَهُنَّ يَمْشِيَن بِنا هَمِيسَا إنْ تَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسَا

قال فقلت أترفث وأنت محرم؟ قال إنما الرفث ما قيل عند النساء.

أقول: فذكر كلمة النيك وهو ذاهب إلى الحجّ. وهذا المكان مفتوح للجميع رجالًا ونساءاً، وكما أن كتاب الطبري الموضوع بين أيدي الرجال والنساء قد ذكر هذا البيت الشعري الذي يقول فيه حبر الأمّة "ننك لميساً" فاعتبر أن هذا الموضع مثله.
أما عن سبب استعمالي لهذه اللفظة، فهو لأنها-كما قال شيخ الإسلام النووي في تهذيب الأسماء واللغات- هي أصرح كلمة في الجماع. أما لفظة "نكاح" فإنها تحتمل العقد والفعل. وأما "الجماع" فإنها مبهمة ولا تؤدي الغرض الذي أريد تبيينه.
المريض في نفسه فقط مَن يتحرّج من استعمال الألفاظ التي لها دلالات معقولة وواضحة. والشعور بالصدمة من سماع مثل هذه الألفاظ وقراءتها هو عندي من الأمراض والحرج الذي ينبغي إزالته. وهو شئ بالمناسبة لم يعرفه لا أبو بكر الذي شتم شخصاً في حضرة النبي فقال "امصص بظر اللات". ولا علي بن أبي طالب الذي قال "من يطل أير أبيه" في مثل ضربه. ولا ابن عبّاس الذي يذكر نيك لميس. ولا شيخ الإسلام والمجتهد المطلق جلال الدين السيوطي الذي له كتاب اسمه "نواضر الأيك في معرفة النيك". ولم يقل له أحد وهو العلّامة الفهّامة في اللغة والفقه والحديث والتصوف: يا شيخنا الألفاظ سعد فما هذه الألفاظ القبيحة في عناوين الكتب. فمن احتمل وعرف مثل ذلك عند كل أولئك العظماء، فلا يتعالى عليهم وهو لا يصل إلى أطراف أقدامهم. كانوا يستعملون كلمة "النيك" ولا يفكّرون به ليل نهار، ولا يشغلهم ويجعلهم يعيشون كالمهوسيين. أما في هذا الزمان الأغبر، فكثير من "الأدباء" أيضاً لعله يتحرّج عن ذكر مثل هذه الكلمات الصريحة وحياته ونفسه وذهنه مشغول بالنيك والنياكة كأنه من الجاهليين. فتأملوا إخواني وإن كانت لكم تعليقات على ما نقوله فاطلبوا الفهم قبل الاعتراض فليس فيكم مَن هو مؤهل للحكم على ما نقوله بهذا الاستعلاء الفكري والأدبي. اسألوا حتى نخبركم، فإذا أخبرناكم فانقدوا إن شئتم وهو أحبّ إلينا من القبول السريع بغير وعي. وبعد ذلك، يفتح الله ما يشاء لمن يشاء وهو الحكيم العليم.
فقال الثاني منهم: وكان الإنسان أكثر شئ جدلًا.
فقلت: هذه الاية ليست قدحاً في الإنسان، لكنها في وصف طبيعته وحقيقته الواسعة. الجدل تداخل شيئين فما أكثر في بعضها. والإنسان "أكثر شئ جدلًا" لأنه خليفة الله، والله هو الظاهر والباطن (وهذا من الجدل)، وهو الأول والآخر (وهذا من الجدل). وهلمّ جرّاً. وحقيقة الإنسان تشمل كل حقائق الموجودات، ففيه نور الملائكة ونار الجن وتراب البهائم وما أشبه من كل مخلوق في كل مراتب الوجود. "وفيك انطوى العالَم الأكبر". ولذلك كان الإنسان "أكثر شئ جدلًا" حتى في ناحية اللغة والتخاصم. لأن عقله يستطيع أن ينظر من أكثر من جهة وأكثر من زاوية لنفس الحقيقة والمعنى، وتختلف مراتب نظره بحسب مدى سعة نور وعيه وعقله. ولو كان الجدل بحد ذاته مذموماً، لما أمر الله به نبيّه الذي كان على خلق عظيم فقال "وجادلهم بالتي هي أحسن"، بل لما وجدنا الله تعالى يجادل في كتابه خصومه، ولما وجدنا الرسل تجادل، وهذا نوح موصوف بأنه مجادل "يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا". الحاصل: ليس كل ضعيف لا يحسن الردّ على فكرة له الرجوع إلى اَية "كان الإنسان أكثر شئ جدلًا" ليستر عورته العقلية، وخلوّه من البضاعة التفكّرية. هذه الآية من أعظم الآيات في وصف الإنسان، وقد نعتبرها في مدحه أيضاً من وجه.
فقال: لو قال لك زوج ابنتك أو زوج اختك أنا نكت أختك او ابنتك اليوم هل تعيب عليه.

فقلت: قد أعيب عليه، وقد أعيب عليه لو قال لي "نكحت ابنتك ونكحت أختك اليوم" أيضاً. وكما لو قال لي "ذهبت إلى الحمام لأشخ وأخرا اليوم". وجوابي على الكل واحد: لا علاقي لي بهذه الأمور. فلماذا تخبرني بها. وأما إن أراد التكلّم بنية عادية ونبرة عادية ليسألني عن شئ، فحينها سأنفعل له بحسب مقصده وغايته من ذلك الكلام.

وأنا أسألك: لو قال أحد بحضرتك أو بحضرة شيخك ورجل كبير في السنّ محترم عندك لشخص آخر "امصص بظر فلانة" فهل كنت ستحترم هذا الشخص؟ فإن قلت لي نعم، أقول لك احسب هذه بتلك. وإن قلت لي لا لن أحترمه، فأبي بكر الصديق عندك استعمل ذلك في حضرة رسول الله وسيد الخلق عظمة وأدباً.

فقال: قد تفيد الاحتمال إذن الأمر مميع عندك.

فقلت: لا يوجد مشكلة في استعمال "قد" في المواضع التي تحتمل أكثر من حالة بحسب اختلاف الظروف. "مميع" ليست عيباً إلا في الأمر الذي لا يحتمل إلا حكماً واحداً وفعلًا واحداً. لكن إن قال أحد لك "امصص بظر فلانة"، فإن ردّة فعلك ستختلف لهذه الكلمة إن كان الذي قالها لك يريد أن يشرح لك فكرة عن ردّة فعلك لو أراد أن يشتمك ويعيّرك بشئ. فهل هذا يعني أن الأمر "مميع"عندك؟ نعم ولا. نعم لأن المتكلّم يختلف بحسب اختلاف ظروفه وحالته ومنزلته منك ومقصده من كلامه. وهذا بديهي وكلّنا نعرفه ونمارسه. فنحن نقبل من القريب ما لا نقبل من البعيد. ونقبل من القريب في حالة وظرف ما لا نقبله من نفس القريب في حالة وظرف آخر. فأين الغرابة إذن.

ولم تجبني على مسألتي، أم أنك لا تحبّ الجواب عن ما لا تحبّ نتيجته.

فقال: لا تأخذ بعض كلام لصحابى يعرف ما يقول وتبرر به خطأك.

فقلت: أنت تراه خطأ، وهو ليس بخطأ لا عند الله ولا عند رسوله ولا عند أهل العلم. فهل أنت حين سألتني وكتبت كلمة "نكت أختك" تكون قد أخطأت لأنك كتبت هذه اللفظة؟ فإن قلت نعم، فأنت قد أخطأت مع سبق الإصرار والتعمد وذنبك أعظم. وإن قلت لا لأني أردت إيصال فكرة لك فاضطررت إلى استعمالها. فأقول: وأنا كذلك كتبتها من أجل إيصال فكرة ومعلومة ولا حياء في العلم. هذا أوّلًا. وثانياً لعلك ممن يعبدون الصحابة ولا يفهمونهم، الصحابي قال لفظة، وأنا سألتك عن قول اللفظة، ولم أتكلّم عن مقصدها (ولا يوجد مقصد سرّي فيها فهي واضحة ويفهمها الجاهل). أنا استعملت لفظة تراها أنت مشينة، حسنا. الصحابي العظيم استعمل كلمة تعلم أنت أيضاً (لكنك لا تريد أن تقرّ) بأنها مشينة. "امصص بظر" أشدّ بكثير من "نيك". وقد جئتك بحجج من كبار الصحابة في القرن الأول إلى كبار العلماء في القرن العاشر (السيوطي وعنوان كتابه) فلم تحسن أن تردّ بشئ. هل استعمال اللفظة بحد ذاتها سئ ودائماً؟ نعم أم لا. فإن نعم لماذا استعمل مثلها وأشدّ منها كل أولئك العظماء من السلف والخلف، ولماذا كتبتها أنت في سؤالك لي. وإن لا، فبرر ما مضى من أدلة. "نبئوني بعلم إن كنتم صادقين".

فقال منسحباً من المناظرة: أشكرك واشكر علمك وسعة ثقافتك السلام عليكم.

فقلت: أحسنت. هكذا فافعل دائماً، لكن لا تعترض على من لا تعرف فيما لا تعرف بعد الآن إن شاء الله. وعليكم السلام.

تتميم: ذكرت لفظة "النيك" في أوّل المقالة، وكلمة "النكاح" آخرها، لأن أوّل المقالة يتحدث عن الفعل المعروف فقط من حيثيته الجسمانية، لكن آخر المقالة يتحدث عن النكاح كما ورد في الشرع وهو مفهوم يشمل المعنى الروحاني والعقد الاجتماعي والنيك البدني.

ملحوظة: قد علمت بأن هذا المعترض منتسب للطائفة التي تسمي نفسها الإخوان المسلمين. وهذه عادتهم. فقد اعتدت من هؤلاء ومن الوهابية أن لا يكملوا حواراً يعرفون أنهم سيخسرون فيه. الدين عندهم غلبة وليس معرفة، محاربة وليس محاورة، سياسة وليس طريقة. وبئس الدين والمتدين.

...

بعد أن أرسلت مقالة {خطاب للأغوات} لأحد الأحباب، أرسل لي رسالة فيها: ملاحظة بسيطة لاني أعرفك تحب البحث عن الكمال في العمل :

أعتقد استخدام السب " أبله " مثلًا .. يعطي المنقود أعلى من حجمو وبذات في حالة المقالة المنقودة هذه وكاتبها .. حيث ما سب النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام أحد غير يهود خيبر في خيانتهم في الحرب ..

فالسب لا يكون الا لكبير

وهذا الكاتب ومقالته صغار كما أشرت .

رب يزييدك ويسعدك في الدارين .

أخوك .

فأجبته:

حبيبي أسعدك الله وفتح لك طرق العلم والعمل.

بالنسبة للملاحظة المشكورة: سبب استعمالي لمثل هذه الألفاظ التي هي عندي من باب الوصف الضروري وليس السبّ العامّي، هو أني لم أجد ما هو خير منها.

١-لأنني لا أعلم اسم الكاتب الحقيقي فلم أستطع تسميته في كل مرّة أذكره فيها فأقول "قال محمد البوادي" مثلًا.

٢-ولأنني حتى لوعلمت اسمه الحقيقي فلن يطاوعني قلبي أن أقول "محمد" العظيم مقترناً مع هذا الكلام السفيه. ولم أرغب بتشويه عائلة "البوادي" بتكرار اسمها في هذا السياق فنأخذ العائلة بجريرة فرد مستقل عنها.

٣-ولأنني لم أجد قلبي يطاوعني بأن أشير إليه كثيراً باسم "الكاتب" لأن الكاتب عندنا من أسماء الله "كتب ربكم على نفسه" وهو من الأسماء والمقامات الإنسانية العظيمة بل هي العظمى، فأشرت إليه أحياناً به لكنني لم أستطع المداومة على ذلك حتى لا تتشوّه صنعة الكتابة الشريفة بهذا الهراء المكتوب.

٤-ولذلك ما وجدت أمامي إلا طريقة القرءآن حين يريد أن يصف قائل عبارة بصفة عقله ونفسه بغض النظر عن شخصه، فقال تعالى مثلًا في سورة البقرة "سيقول السفهاء من الناس ما ولّاهم عن قبلتم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب". لاحظ أنه لم يقل: سيقول اليهود. أو سيقول فلان وعلان. لكن وصفهم بما يناسب مستوى عقولهم ونفوسهم-وليس سبّاً بالمعنى العامّي للسبّ-"سيقول السفهاء". وكذلك قلت أنا في مواضع بحسب ما ظهرت لي: مرّة أبله ومرّة غافل وما أشبه.

إن شاء الله يكون في هذا تفسيراً كافياً للمسلك الذي سلكته في الكتابة، والسلام عليك وعلى أهلك وأحبابك.

ملحوظة: زدت الأعداد حين نقلت إجابتي إلى هذا الكتاب، لأنني رأيت أنها تبيّن الجواب والاحتمالات بطريقة أوضح، وكنت أتمنّى لو خطر لي هذا الخاطر أثناء كتابة الرسالة، لكن لعل وجود الأرقام في

رسالة يذهب عفويتها وسرعتها، وحيث أن مقام الكتب مقام التأمل والبطئ عادة فلا بأس من إدراجها هنا. ثم ليُعلَم أني لم أصحح إملاء صاحب الرسالة فهو كتبها هكذا، وإن كنت غالباً أفضّل تصحيح الإملاء بحسب شروط الكتابة لكن أحياناً أحبّ تركها كما هي لأكثر من فائدة منها أن يُعلَم أني لا أُخاطب فقط "العلماء" و أصحاب الصنعة، ولا أجيب بالأجوبة "العلمي" و "النخبوية" من كان على تلك الشاكلة فقط، بل الكل عندي أجيبه إلى حد ما بالطريقة نفسها لأني إن أجبت بجواب عالي فالعالي سيفهمه والداني إن شاء لله يصعد إليه والله يضع القبول ونور الفهم في كلامنا وينفع به جميع أحبابنا وأعداءنا.

...

التأمل في المقطع الوصايا الإلهية من سورة الأنعام ككل يكشف عن أن المُخاطَب بهذه الوصايا هم الرجال العقلاء القادرون على إحداث عكس الوصايا. فالشرك لا يحدث من الأطفال. والإحسان للوالدين المقصود الأساسي منه ما شرحه في آية أخرى "بالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر" فالكلام عن رجل يستطيع التكفّل بوالديه ويرعاهما. وقتل الأولاد من الواضح أن المخاطب به الرجال (أي الذكر والأنثى منهم على نمط "رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه" التي تحتمل العموم) ممن له أولاد ويقدر على قتلهم، ويملك السعي في الرزق أو التصرّف فيه. قتل النفس بغير حق لا فائدة من مخاطبة مَن لا يقدر على قتل النفس أصلا أو من لا يقدر على قتلها بغير حق، فالكلام فيه على القادرين على إحداث القتل بحق وبغير حق ولهم الاختيار في ذلك. وقرب مال اليتيم دليل على أن المُخاطَب له حق رعاية اليتيم فهو ولي كبير. فإجمالا نستشف من الآيات أنها تُكلِّم القادر على عكسها.

...

(تفسير تعدد الأقوال الفقهية)

١- الدليل الشرعي إما أن يحتمل ويقتضي نشوء أكثر من قول أو لا. إن يحتمل، فالله يريد تلك الأقوال المتعددة لأنه حكيم ولا يريد العبث.

وإن لا يحتمل، فإما أن صيغة الدليل محكمة أو لا. فإن كانت محكمة، فالخلل في العلماء الذين خالفوا ما يحتمله ذات الدليل وإن كانت غير محكمة، فهذا طعن في بيان الله، والله منزّه عن ذلك.

٢-على القول باحتمال الأدلة في ذاتها بالتالي إرادة الله لتلك الأقوال المتعددة. يوجد تفسيران:

الأول أن تعدد الأقوال يكشف عن خبايا الناس. وهو من الابتلاء في قوله "ليبلوكم أيّكم أحسن عملًا". ولو كان القول واحداً، لما امتاز الناس من حيث اتباعهم لهذا القول الواحد ولاتبعوه لأنه القول وليس لأنهم يريدونه ويختارونه من بين احتمالات متعددة.

الثاني أن كل قول من تلك الأقوال له مجال يعمل فيه. وحين تتحقق ظروف كل قول يجب العمل به دون سواه. وظروف كل قول تظهر بتحقيق أسانيده والأفكار التي قام عليها والغايات التي قصدها.

٣-على القول بعدم احتمال الأدلة في ذاتها. توجد مسالك.

المسلك الأوّل المخالف لما يحتمله الدليل في ذاته إما بذل وسعه فلم يصل للحق، وإما لم يبذل وسعه. الأوّل نسميه مجتهد، والآخر مقصّر. فإن بذل وسعه فلم يصل إلى الحق، فهو عند الله لا شئ عليه لأن الله لا يكلّف نفساً إلا وسعها وما آتاها. وإن لم يبذل وسعه ليصل إلى الحق، فهو مقصّر ومحاسب على

ذلك. فالمصيب من أصاب أحد الأقوال التي أرادها الله ببيانه. ومَن سوى ذلك مخطئ. وعند الناس، حيث لا يتبيّ للناس ما أتاه الله لكل إنسان من قدرات عقلية ونفسية فضلًا عن غيرها من الظروف الخارجية والأدوات التحصيلية، فالواجب ترك الناس لما اختاروه لأنفسهم وعدم مؤاخذتهم بعقوبة من هذا الوجه.

المسلك الثاني إنما خالف ما يقتضيه الدليل الذين خرجوا عن طريق فهم الدليل، وطريق فهمه لا إما أن يكون تحصيل نص أو تحصيل حالة قلب أو الاتصال بإنسان حاضر. أما تحصيل نصّ فلا وجه له لأن الدليل نص وكلامنا عن الاختلاف في فهم النصوص. أما تحصيل حالة قلب فالمقصود بها عمل باطني يؤدي بالإنسان إلى حصول نور في قلبه من لدن الله وملائكته وأوليائه ورسله والأئمة الذين نصبهم لذلك وما أشبه ذلك من أمور الباطن، وحينها يُصيب في فهم الدليل ولا يخطؤه. ونسمّي هذا الاحتمال الاستقامة على الطريقة، أو الطريقة للاختصار. فعلى ذلك، يكون سلوك الطريقة واجب على كل فرد. أما الاتصال بإنسان حاضر فنقصد به إمام من لدن الله حي حاضر في الطبيعة يذهب إليه ويستفيه ويتعلّم منه الطالب مثلما يستفي شيخه ومفتي البلاد وما شاكل ذلك. ولتصحيح هذا المسلك، لابد لهذا الإمام من حجّة تميّزه وتؤيد منصبه. والحجّة إما نصّ ككلام عربي نازل بواسطة رسول للعرب وإما إعلام إلهي مباشر للطلبة كوحي الله للحواريين وإما إخبار من ثبت أنه من عند الله كإخبار نبي بني إسرائيل عن اصطفاء الله لطالوت. وحيث أن الخلاف إنما هو في فهم النص، ولا نبي بالمعنى الخاص للناس بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يبقى رلا الإعلام الإلهي المباشر في كل قلب صادق يريد الله ومعرفة أمره "والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين" و "من يؤمن بالله يهد قلبه". فختم دورة النبوة هو افتتاح لملكة القلب. ومن هنا ما ورد عن "نور يقذفه الله في القلب" و "بالعقل يعرف الصادق على الله فيُصدِّق" و "استفتِ قلبك". وهذه كلّها فروع لآية "مِن يؤمن بالله يهد قلبه".

يتخلّص مما سبق أنك ستجد في الناس أقوال مختلفة في تفسير وجود الأقوال المختلفة تتلخص في ثلاثة أقوال:

القول الأوّل ادعاء أن الأدلة من وضع البشر. والبشر يختلفون في الوضع والفهم لاختلاف الأذهان أو اختلاف الأغراض. وهذا القول يناسب الملاحدة.

القول الثاني أن الأدلة من وضع الله، لكن العلماء اختلفوا على أقوال أرادها الله إما كشفاً لضمائر الناس وإما لأن الواقع له وجوه متعددة ووضع الله لكل وجه قول يناسبه.

القول الثالث أن الأدلة من وضع الله، ولم يرد الاختلاف ولا التعدد، لكن الذي خالفوا الحق إما لم يحصّلوا الحالة القلبية المناسبة وإما لم يتعلّموا من الإمام المنصوب لإيضاح الدلائل بغض النظر عن حالة قلوبهم ومستوى تزكيتهم.

تكملة: لو أراد الله وضع نصوص لا تحتمل لاستطاع. كما أننا نرى الإنسان يكتب حكماً فلا يختلف الناس في فهمه. ومن أبرز الأمثلة على ذلك أقوال المذاهب الفقهية ذاتها. فإن قول الشافعي يتميّز عن قول ابن حنبل في مسألة، فيعلم الناس مقصود الشافعي ومقصود ابن حنبل وموضع الاختلاف بينهما. يقول هذا واجب ويشرح معنى الواجب ثم يقول في مسألة "الحكم واجب" فلا يختلف عليه أحد. ويقول غيره بغير هذا القول مع تعريف مصطلحاته بدقة وتحديد المسألة محل الكلام بتفصيل ووضوح، فلا يقع اختلاف في الفهم وإن وقع في التطبيق، لا أقلّ بين العلماء. ومثال آخر ما تجده في القوانين إجمالًا،

نعم بعضها يقع فيه اختلاف لخلل في الصياغة أو لاختلاف شروط الواقعة وعدم التمكن من تحقيق رؤية واضحة بخصوصها لمعرفة مدى انطباق النص عليها، لكن في عموم القوانين الحكم واضح مثلًا "سنّ قيادة السيارة العادية هو ١٨ سنة" ثم يتم شرح معنى "العادية" وتمييزها عن الشاحنة مثلًا، وشرح معنى "سنة" وبأي تقويم يؤخذ، وشرح كل ما يحتمل الإبهام ببيان كاف شاف، فيتّضح الأمر. ولا يُعقَل أن الله تعالى أراد وضع أحكام ولم يتقن ويحسن وضع الأدلّة الموصلة لعباده إليها. اللهم إلا أن نقول بأن تلك الأدلة كانت لقوم مبيّنة ومفهومة لهم، ثم وقع الاختلاف لاختلاف الأقوام ومرور الزمان وتغيّر الأحوال، فتسقط الشريعة بسقوط الأدلة، وهذا قول آخر لم نذكره من قبل بالتفصيل.

الحاصل: إما أن الله أراد هذه الأدلة وأراد ما يفهمه الناس منها، وإما لم يرد الأدلة، وإما الناس ليسوا هم الناس المخاطبين بتلك الأدلة. فإن قلنا بالأول وجب قبول الاختلاف. وإما قلنا بالثاني فهو الكفر بالشريعة. وإن قلنا بالثالث فهو الإيمان بالشريعة من حيث المبدأ لكن سقوط هذه الشريعة التي بين أيدينا.

ذكرت هذه الاحتمالات حتى يعي كل إنسان موقفه وما يلزمه عنه. والمقالة تحتمل مزيد من البيان لكن هذا الكتاب غايته الاختصار والتخليص من حيث المبدأ. وهذه فاتحة فعليك بالنظر.

...

إن احتاج رجال السياسة إلى طاعة الناس, فأحسن ما تجدهم وقت الحرب وأسوأ ما تجدهم وقت السلم.

أما إن استطاع رجال السياسة إكراه الناس, فأحسن ما تجدهم وقت السلم وأسوأ ما تجدهم وقت الحرب, وهم في الحالتين من السوء بمكان.

...

أحياناً أُفسد خطّي عمداً حتى لا يفهم أحد ما كتبته. كذلك أحياناً الخاصّة يفسدون العامّة في وقت عدم الحاجة إلى عقلهم وقوّة إرادتهم, لكن يأتي وقت ويندمون على ذلك الفعل...كما أندم حين أكتب فكرة بخط شديد الفساد حتى أني نفسي أعجز عن قراءته أو تذكر ما أردت به.

...

احذر من كلام السياسيين وقت الضعف ومن تصديق كلامهم على ظاهره حين يكلّمون الناس عموماً ووقت الحاجة إليهم خصوصاً. فإن توماس باين المؤسس الفكري لأمريكا كتب قبل الاستقلال والسيطرة على الملك بأن الغاية من أمريكا هي فقط أن تكون صديقة للكل البشرية ومسالمة وتعاملها مع جميع أجناس البشر مبني على التجارة المتبادلة معها وإرادة الحرية لها. فتأمل أين صارت أمريكا وكيف صار يفكّر من كانوا مع توماس باين أنفسهم بعد الاستقلال بالملك عن بريطانيا وإلى يوم الناس هذا. هذا بالنسبة لرؤيتهم الخارجية. أما بالنسبة لرؤيتهم الداخلية فكان توماس باين يحمّس العامّة على الانضمام للميليشا التي يتزعمها أحبابه ويقول لهم بأن كل واحد من الناس في أمريكا سيصبح غنيا وسيملك القدرة لأن يكون سعيداً في حال حدث الاستقلال. اذهب واسأل الأمريكان بعد ذلك عن مدى الثراء والهناء الذي يشعرون به. احذر من كلام السياسيين المتعلّمين المتفلسفين خصوصاً من جهة وتأمله من جهة. احذره من جهة تصديق واقعيته وأنهم سيقومون به وبما يؤدي إليه, لكن تأمل فيه وانتفع به من حيث الغايات الجميلة التي يرسمونها ويريدونها وحاكمهم إليها إن زاغوا عنها.

...
ما تعرّضت بعد بلوغي سنّ الرشد (حسب التعريف الشائع) لأي ضرب من أي شخص إلا من اثنين، مرّة أيام الجاهلية-في أواخرها- ومرّة في الإسلام-قبل سنتين تقريباً. وفي كل مرّة كنت المظلوم المُعتدى عليه ولست البادئ بالعدوان. وفي كل مرّة كانت مجرّد ضربة واحدة، التي في أيام الجاهلية كانت ضربة غادر من الخلف على مؤخرة رأسي، والتي في أيام الأسلام كانت ضربة على يدي اليمنى ثم لكمته على صدره فضربني برأسه على رأسي من الأمام. يعني رأسي قد تعرّض للعدوان من الخلف أيّام الجاهلية ومن الأمام أيّام الإسلام. لكن، وما ظهر ليلة أمس بعد كل تلك الفترة وأنا أتساءل على الحكمة من هذه الحادثة، تبيّن لي أنّي في الحالتين قد قصّرت في شئ لو كنت فعلته لما حدثت سلسلة الأحداث التي تلت ذلك ومنها حادثة الضرب، مع أن التقصير لا يجعل الضرب مشروعاً بل هو عدوان على كل وجه، لكن من باب محاسبة النفس ولومها بحق تبيّن لي أني قصّرت في التي في أيّام الجاهلية وفي التي بعد سلوك الطريقة الإلهية. ومن هنا تعلّمت أنه لا يصيبني ظلم إلا بعد تقصير منّي ولو من وجه، وهذا الوجه هو الحلقة التي لو كنت كسرتها لما حصلت سلسلة الأحداث التي منها ذلك الظلم. صدق الله "وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون". ومن الحكمة التي أظهرها الله لي فصرت أحبّ الذي اعتدى عليّ أيام الإسلام والتي أعقبت أوّلًا الاعتداء وثانياً عملية طويلة مزعجة مرهقة من رفع دعوى عليه في الدوائر الحكومية الكسولة العاجزة الفوضوية والتي كانت حتى انتهاء الأمر بعفوي عنه وحدوث الصلح سلسلة من الآلام المعنوية والقرف والاشمئزاز بأسوأ المعاني التي اختبرتها إلى الآن في حياتي. فكنت أتساءل عن علّة هذين الأمرين. والحمد لله جاءني الجواب ليلة أمس: وذلك أنّي قبل بضعة سنوات وفي نفس الفترة تقريباً قمت بأمرين لم أزل أكتب عنهما-على ما أذكر- وأتكلّم عنهما والأهم من ذلك أني ألوم نفسي عليهما وأسأل الله أن لا يعاقبني عليهما في الآخرة وأن يكفّر عنّي. الحادثة الأولى مفادها أني أخشى من القطط-لا أقلّ كنت، زوجتي الآن تعالجني بالجبر من ذلك وقد بدأت في التشافي ولله الحمد. وفي إحدى الليالي، وأنا جالس في مجلس الفيلا، فجأة وجدت أمامي قطّة دخلت من حوش البيت إلى الداخل ووقفت أمامي، فمن شدة الرعب الذي شعرت به قمت مغضباً وأخذت بندقية "سكتون" (خرز حديدي صغير لكنه حقيقي وقاسي)، وقررت أن أنهي هذا الرعب الذي تسببه لي القطط القابعة خارج بيتنا وفي الحوش وتجعلني أتلفّت إليها وأبتعد عنها كلّما دخلت وخرجت، طفح الكيل، فأخذت البندقية وخرجت بغير وعي راشد وبحثت عن القطة وأطلقت عليها طلقة أغلب الظنّ أنها أصابتها وفي اللحظة التي غرزت الطلقة جسمها شعرت بهذه الطلقة تغرز في قلبي، ففرّت القطة ولم أرها بعد ذلك، لم أر صورتها الظاهرية لكن صورتها الخيالية في نفسي من ذلك اليوم، وكنت كلّما تذكّرتها تألمت واستغفرت ودعوت الله أن يكفّر عنّي وأن يزيل عنها الألم وأن لا يعذّبني بذلك، وكثيراً ما بكيت وبعدها بسنوات. والعجيب والذي لم ألتفت إليه حتى هذه اللحظة أني لم أشعر بعد حدوث الصلح في ذلك الشجار وبعد المعاناة التي عانيتها حتى وصلنا إلى مرحلة تقرير الحكم في السير في الدعوى فعلياً والذي أخذ أكثر من سنة وأشهر من شتّى أنواع الآلام القلبية والنفسية، بعد ذلك الصلح لم أشعر بعدها بأي شئ تجاه تلك القطّة وشعرت بأن الألم خرج من قلبي. وأفهمني ربّي في المناجاة أمس بأن ذلك الألم الذي مررت به بسبب الشجار وما أعقبه هو تكفير للألم الذي سببته للقطة، وأُلقي في نفسي أن تلك القطة عاشت بآلام تلك الطلقة نفس المدة التي عشت أنا بها في آلام تلك المرحلة. هذه الحادثة الأولى. الحادثة الأخرى أن خادمة في بيتنا قد أدخلت خلسة في إحدى الليالي صديقها ليضاجعها على ما يبدو في البيت، فاكتشف أخي الأكبر منّي صدفة أنه دخل البيت وكان مع أصحابه وكنت في البيت، وكانت أختى

الوحيدة الأصغر منّي في البيت وكانت قد شهدت دخول سارق إلى البيت قبل ذلك وأصابها الرعب إلى حد ما بسبب ذلك المشهد حيث دخل إلى غرفتها وهي نائمة ليبحث فرأته وألجمت نفسها حتى لا يشعر بها فأخذ ما أخذه من غرفتها وخرج. فلما بحثنا عنه وأمسكنا به، لم أتحمّل تصوّر ما قد كان سيحدث لأختي لو رأته، بالإضافة لأني-حتى لا أخادع نفسي- كنت في مزاج غاضب أو غير مرتاح في تلك الساعة تحديداً من سوء حظّه (وحظّي قبله)، فلما أمسكوا به جريت نحوه وصفعته على وجهه، وكانت المرّة الوحيدة في حياتي (والأخيرة إن شاء الله) التي أمسّ فيها وجه ابن ءادم المُكرَّم. وبعد ذلك فعل أخي وأصحابه به ما فعلوه من إبلاغ شرطة وتسليمهم، وحتى هذه ندمت على أني لم أوقفهم فيها فقد كان من الأولى في نفسي تركهم ليذهبوا لكن الفريق الأخير رأى خطورة تركهم حتى لا يفعلوا مثل ذلك في بيت آخر ولا نعلم ما قد تكون العواقب عليهم أو على أهل ذلك البيت حينها، وغلبوا على أمرهم. لكنّي كنت كذلك لسنوات بعدها أستغفر وأتألم كلّما تذكّرت ما حدث لهم وأتخيّل ما قد يحدث لهم، والأهمّ من ذلك أني ألوم نفسي على تلك الصفعة على وجهه، وكذلك من العجيب أني بعد أن تعرّضت لتلك الضربة على جبهتي برأس ذلك المعتدي لم أعد أشعر بتلك الآلام أو أتذكّرها، وفي ليلة أمس وبدون سابق تفكّر أُلقي في نفسي أن تلك الضربة مقابل تلك الصفعة. فضحكت من الفرح وحمدت الله أن أُغلق حساب تلك المصائب التي فعلتها وندمت عليها أشدّ الندم، إيذاء حيوان وإيذاء إنسان. اللهم لا تجعلني ظالما ولا تجعلني مظلوماً وأحيني سليما وتوفّني شهيداً فأنت خير حافظاً وأنت أرحم الراحمين. فأن تكون ظالماً من الكفر بالله، وأن تكون مظلوماً من العجز، والنبي قال لابن عباس "استعن بالله ولا تعجز"، فجمع بين السلامة من الظالمية والمظلومية، إذ قوله "استعن بالله" يتضمن الإيمان بالله بجانبه العلمي والعملي، وذلك ينقض فكرة الظالمية. وقوله "ولا تعجز" ينقض فكرة المظلومية. وأنا لا أريد أخذ حق أحد ولا أخذ حقّي من أحد. نسأل الله النجاة من سجن الطبيعة إلى فسحة الجنّة بسلامة فلا ندخل النار بسبب ظلمنا لأحد، ولا يدخل أحد من إخواننا من بني ءادم النار بسبب ظلمه لنا.

...

قرأ أحد الإخونجية (الذي ذكرته سابقاً) وعلّق على إحدى المقالات فقال: أنت لا تحسن الصياغة.

فقلت: إن كان لديك قول مفصّل فاذكره، وأنت غير مؤهل للحكم العام على شئ (بناء على تجربة المجادلة الماضية معك التي فررت منها على نمط الوهابية والإخونجية الذي عرفناه ومجرناه).

ثم مالي أراك تعرّج فقط على المقالات التي فيها ذكر للنساء والنكاح خصوصاً؟ يبدو أنك تعاني من مرض ما، وأنصحك بمراقبة نفسك ومراجعة من قد يرشدك (ولا تذهب إلى "مرشك الأعلى" الذي لن يغني عنك شيئاً).

فقال: ألغيت معرفتك ولا يسعدني كلامك.

فقلت: مدينة العلم تنفي خبثها.

لو أسعدك كلامي، فأنا أشهد على نفسي بالضلالة. فإنما يسعد بالشئ من يشبهه، ولو أسعد كلامي الوهابية والإخونجية فحتماً أنا متعرّض لنوع من أنواع اللعنة الإلهية.

...

آيات الإلهيات والكونيات وأنفسيات في القرءان فيها مقاصد الشريعة وأصول تأسيسها وفهمها وغايتها. ويمكن استنباط أحكام شرعية منها وستجد ما يشهد لهذه الأحكام في مواضع أخرى من كتاب الله وكلام نبيه وأوليائه عليهم السلام.

مثلًا: {والضحى. والليل إذا سجى. ما ودّعك ربّك وما قلى}. الظاهر أن الآيات علمية وليست حكمية. لكن لو تأملت ستجد فيها ما يؤسس لبعض أحكام الشريعة والطريقة. لأن العلاقة بين الضحى والليل وبين التوديع هي أن الوحي جاء ثم انقطع، فضرب الله مثلًا للوحي الروحي بالشمس وعلاقة نورها بالأرض، فالشمس هي الروح مصدر الوحي، والأرض هي قلب النبي. فالله يقول للنبي: كما أنني خلقت في الآفاق شمساً مرّة تكون في مقام {الضحى} (وهو الإضاءة مع البرودة، ومنه قول موسى "وأن يُحشَر الناس ضحا" حتى يروا الاية ولا تؤذيهم الشمس كشمس الظهيرة الحارّة فتشتت انتباههم)، ومرّة تنتقل إلى مقام {والليل إذا سجى} بالنسبة للأرض، كذلك الوحي مرّة يأتيك ومرّة يتوقّف من وجه. أي الوحي مع النبي مثل الشمس مع الأرض، مرّة نهار ومرّة ليل، وهو تمام اليوم، ثم يدور الأمر على هذا النسق. حسناً، فما علاقة هذا بالشريعة والطريقة؟ الجواب مثلًا: حين قال النبي "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"، فقد يردّ البعض: على الناس طلب معيشتها والنظر في أمر دنياها، وطلب العلم يحتاج لتفرّغ تام. أقول: مثل هؤلاء بالنسبة للآية محلّ الكلام كمثل مَن يقول "والضحى". ويقف، ولا يريد الاعتراف بوجود "الليل إذا سجى". أي يريدون اشتغالًا بالعلم فقط وكأن العالَم ليس فيه إلا النهار دون الليل. وهذا مردود بحسب الآية. وحجّتنا هي: كما أن الله قال لنبيّه "والضحى والليل إذا سجى" على ما قررناه سابقاً وقال بذلك التفسير بعض العلماء من قبل وشهدوا له، كذلك نقول نحن بأن الإنسان عليه أن يجمع في يومه بين طلب المعرفة وطلب المعيشة، فيكون طلبه للمعرفة من قبيل {والضحى} وطلبه للمعيشة من قبيل {والليل إذا سجى}.
وعلى هذا النمط.

...

قال: ما الفرق بين الأوزان الشعرية والأوزان الصرفية؟
قلت: الشعرية تنظر إلى السكون والحركة، بينما الصرفية تنظر إلى الحرف والسكون والحركة. فتفعيلة "فعولن" مثلًا الشعرية، إنما تنظر إلى حركة وسكون كل حرف بغض النظر هو صورة الحرف. أما تفعيلة "تفعلون" و "يفعلون" الصرفية، فإنها وإن كان لها نفس الوزن بالنسبة للوزن الشعري لأن التاء محركة والياء محركة فهما سيّان بالنسبة للوزن الشعري، لكن اختلاف التاء عن الياء، أو حتى أحياناً اختلاف نوع الحركة على نفس الحرف مثل يَفعل و يُفعَل، يؤدي إلى اختلاف الوزن الصرفي والمعنى الناشئ عنه.
قال: ولماذا لا ينظر الشعر إلى الحروف أيضاً؟
قلت: هكذا وضعوه، وهو نوع من اختزال الأنواع في جنسها وجعلها متساوية بحكم اتحادها في الجنسية، فالضمة حركة والفتحة حركة، فكلاهما حركة فيُحسبان كحركة ولا يلتَفَت إلى كون الأولى ضمة والأخرى حركة. وهذا يسهّل الوزن ويجعله مفهوماً وأيسر في القياس عليه. لكن ليس بالضرورة وجود نوع واحد من الوزن الشعري.
قال: فهل يمكن وجود نوع آخر، وما هو؟
قلت: نعم. لأن كل حرف له خاصّية معيّنة، توالي الحروف يؤدي إلى اختلاف التأثير في النفس. فبالنسبة للوزن الشائع تكون ضَغَطَ، مساوية لـ لَمَسَ، لكن الواضح الفرق بين الحروف وإن كانت كلّها متحركة. وهذا من طبائع الحروف الذي تكلّم عليه علماء الحروف، وأسرارها وتأثيراتها. ولذلك حين تقرأ القرءان مثلاً تجد له تأثيراً لا تجده لغيره، وأهمّ أسباب ذلك كيفية توالي الحروف بالإضافة إلى الوزن. فإن الكلام حروف ووزن. فيمكن دراسة القرءان ومختلف كلام العرب العالي كالشعر العالي للكبار، ثم النظر في كيفية توالي الحروف وما الحروف التي تتصل ببعضها مع مراعاة الحركات والسكنات بطبيعة

الحال. الوزن الذي أقترحه يجمع بين الحرف والحركة. بعد تحديد خاصّية كل حرف وتأثيره، ويمكن أن نجمع الحروف التي تشترك في خاصّية ما في مجموعة، ثم تُعطى كل مجموعة اسماً أو رمزاً، وقد نختزل تلك الحروف في تلك الخاصّية كأن نقول الحروف الحارّة مع بعض والحروف الباردة مع بعض وعلى هذا النمط في فكرة الطبائع الأربع التي قال بها بعض العلماء من الأوائل، ثم ننظر في كل حرف بحسب مدى حرارته وبرودته ويبوسته ورطوبته، وعلى هذا الأساس نستطيع وزن الحروف بالطبائع والحركات على السواء. مع مراعاة التسلسل، فإن اتباع الحار للبارد ليس مثل اتباع البارد للحار، فإذا وجدنا كلمة من ثلاثة أحرف، الأول حار والثاني بارد والثالث بارد، ووجدنا كلمة أخرى من ثلاثة أحرف، الأول بارد والثاني حار والثالث بارد، فلابد من التفريق بينهما، وتستطيع أن تجد هذا الفرق حتى أثناء تذوقك للطعام الحار والبارد المادي، فجرّبت أن تأكل شيئاً حارّاً ثم شيئاً بارداً، وجرّب بعد ذلك حين يزول التأثير من لسانك العكس، وستجد فرقاً سواء من حيث تأثير الحرارة والبرودة، أو من حيث الشعور العام الناتج من حصول الاثنين في فمك ومعدتك. وكذلك في حروف الكلمات. الخلاصة: يمكن إقامة وزن جديد للكلام بالنظر في طبائع الحروف مع النظر في تشكيل الحروف. فإن كان الوزن الحالي ينظر فقط إلى التشكيل، فالوزن الجديد يراعي الطبائع مع التشكيل. وقد توضع طرق أخرى في الوزن. وكلّما قلّ الاختزال وتمت مراعاة الكلمة بكل حيثياتها، كلّما كان الوزن أدقّ ونتائجه أشرف.

...

من إنصاف المتنبي قوله (أبالغمرات توعدنا النصارى – ونحن نجومها وهي البروجُ). وذلك حين ذكر الروم الذين كانوا في حرب مع سيف الدولة. فلم يشر إلى فريق سيف الدولة بأنه نجوم ويصف خصومه من الروم بأنهم تراب مثلًا أي شيء غير مضيء وغير سماويو بل أشار إليهم بأنهم (البروج) وهذا في حد ذاته مدح لهم وإن كان أقلّ من مدحه لفريق سيف الدولة بأنه النجوم. وقد أنصفهم هذا الإنصاف وهم في حرب معهم وهو يصف الأمور أثناء حدوثها. وهذا شاهد على كون الشاعر ليس مجرّد متكلّم يحشد كل الكلمات الحسنة على الجهة التي يرد مدحها والتكسب منها وكل الكلمات السيئة على الطرف المقابل والخصم. لا أقل هكذا حال الشاعر المحسن المتقن عمله.

وعكس هذا المثال تماماً تجد له نظائر كثيرة خصوصاً في هذا الزمان وتجده يكثر عند الأحزاب الدينية والسياسية بالأخصّ. فإن هؤلاء ليس فقط لا عقل لهم لكن لا احترام لهم لأنفسهم ولكلماتهم ولمدى وعي قرائهم والمستمعين إليهم. فيقولون أي شيء في أي شيء, ويظنون أنه كلّما زادوا من ذكر الكلمات التي ظاهرها الحسن في طرف صاحبهم وأفكارهم كلّما كان ذلك دالاًّ على حسنهم الواقعي أو أن من ينجذب لفرقتهم بعد سماع ذلك الهراء منهم سيكون فيه خير أو سيكون خيره أكثر من شرّه. ومن الأمثلة التي تنفع كدواء مُسهّل للمعدة أو للاستفراغ, بيت قاله واحد من عبيد الملك السعودي والوهابي عبدالعزيز, وهو هذا (أبصرت ما سطّر التاريخ مجتمعاً – عن الصحابة وعن الإسلام في رجلِ). والرجل هنا هو عبدالعزيز آل سعود.

الحاصل: الشاعر ليس كل من يزن الأبيات بالحركات والسكنات, وإن كان ما أنتجه شعر حسب الصورة. ولو كان مجرد انتاج صورة لغوية لها حركات وسكنات معينة يجعلها شعراً, فإذن لابد أن يكون كل من ينتج صورة لغوية لها نفس تسلسل الحركات والسكنات القرءانية قرءاناً إلهياً, وكم من إنسان يستطيع انتاج مثل ذلك وقد فعل بعض علماء الإسلام ذلك منذ القديم. فإن قوله تعالى "اذهب إلى فرعون إنه طغى" على بحر الرجز. وقوله "إنا أعطيناك الكوثر" على بحر آخر من الستة عشر. تسلسل

الحركات والسكنات واحد, فهل هذا يجعله قرءاناً. نعم, يشبه بعض القرءان من حيث الصورة, لكنه ليس قرءاناً بحسب النظرة الكاملة التي تأخذ الكل وتحيط بالكل. كذلك ليس كل من وزن بيتاً فقد صار شاعراً ولو فعله من باب الصنعة واستكثر منه, أي نحن لا نعتبره شاعراً كما أننا لا نقول "مغني" أو "كاتب" على كل من مط صوته أو خربش قلمه. يوجد نور خاص لا نشعر به إلا عند بعض من يصنع صورة الشعر, وهذا النور هو الذي به نسمّي الشخص شاعراً بالمعنى الأكبر لذلك.

...

قول المتنبي مادحاً رجلًا (فأوحدته وما في قلبه قلقٌ – وأغضبته وما في لفظه قذَعُ) هذا من الكمالات التي لا أزال أعمل على التحقق بها والله المستعان.

(فأوحدته) الوحدة من مفهوم البيت تدل على أنها تنقسم إلى قسمين: قسم ينشئ القلق في قلب صاحبها, وقسم آخر لا ينشيء ذلك القلق. والسؤال: لماذا؟ ما الذي يجعل بعض القلوب تجد القلق بسبب الوحدة والبعض الآخر لا يجدها؟ قد يرجع ذلك إلى اهتمام بالغير فيقلق عليه, وقد يرجع إلى ملل من النفس فيقلق بسبب عدم وجدان غيره من الناس ليشتغل به. وحتى لا تحد القلق, لابد من قطع القلب عن كل الغير, وبالنسبة للغير الذين تهتم لهم مثل الزوج والأولاد فحينها لابد من أن تؤسسهم على تعلم الفردية ومراعاة مسؤولياتهم بأنفسهم والقيام بها لأنفسهم إن اضطر الأمر, وكذلك بحسن تعاملك مع الناس حتى يهتموا بأهلك في حال حصل لك شيء قطعك عنهم, والأهم من كل ذلك أن تترك لهم الله ورسوله كلّما فارقتهم, فإن القلب لا يفهم الاطمئنان بغير الله. وأما الملل من النفس فيرجع إلى عدم عمل العقل والخيال وشهود الكثرة في ذاتك وانطواء العوالم كلّها في حقيقتك وانفتاحك على الله تعالى والعالم الأعلى, فحينها تكون الوحدة سبب راحة القلب لا فقط أنها ليست سبباً لحصول القلق فيه. فحقيقة قول المتنبي (فأوحدته وما في قلبه قلق) تدل على أن هذا المتوحد من أهل الواحد سبحانه. وحين يتوحد الواحد مع الواحد يجد قلبه في اطمئنان حقيقي وراسخ. وهو مقام عظيم, يفهم ألفاظه أكثر الناس ولا يتحقق به إلا أقلّهم, نسأل الله أن يجعلنا منهم فإنه لا يفتح باب الواحد إلا الواحد.

(وأغضبته وما في لفظه قذع) هذه صعبة. فإن الغضب يُتَرجَم بالأفعال وبالأقوال. فأن يغضب ويفعل العدوان أمر سيء, وهذه فهمناها. لكن أن يغضب ولا يتلفظ حتى بالقذع لا صغيره ولا كبيره, فهذه تحتاج إلى رؤية خاصة لأسباب الغضب حتى لا يتوجّه إليهم بلفظ مقذع. لأن الغاضب في البيت لن يسكت, بل سيتلفظ, (وما في لفظه) أي تلفظ لكن (ما في لفظه قذع). فهو يتلفظ أثناء غضبه, ومع ذلك ما في لفظه قذع. والقذع فيه ثلاث معان متصلة: الفحش والإيلام والمنع. فإن كان يستحق الوصف الفاحش فليس قذعاً لكنه وصف لواقع, وإن كان يسبب الألم للغير بلا فائدة أكبر ترتجى من ذلك الألم من قبيل تنبيه المُخاطب إلى غلطه وحاله فلا يكون قذعاً, وإن كان يترك سبب الغضب ليرجع عن فعله وحاله ويترك له المجال للتغيير ولا يصده ويمنعه من ذلك ولا يخبره بأنه سيرفضه مهما كان وأيا كان حاله فليس بقذع. وكل ذلك موجود في القرءان. فإن وصف فاحشة الآخر موجودة, بل قال لوط لقومه "أتأتون الفاحشة" فهو رمي لهم بالفاحشة. وتسبيب الألم في النفس بوصف نقصها يطفح به القرءان من قبيل قول موسى لفرعون "إني لأظنك يا فرعون مثبوراً" و قول أصحاب القرية في يس لقومهم "بل أنتم قوم مسرفون". وترك المجال للعودة هو طريقة القرءان فإنه فتح باب التوبة للكل ودعا إليها مهما وصفهم "إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف". وهكذا تجد الغاضب عادة حين يتلفظ يجعل وصفه مشتملًا على الانتقاص والبتّ والجزم الذي لا عودة فيه ولا يقبل من الآخر التفاهم والتراجع. ومن هنا شرف الممدوح في البيت

(وأغضبته وما في لفظه قذع) فهو حليم في عين غضبه, مفتتح في عين انغلاقه, عليم حكيم في انتقاصه.

...

قال: كيف تقرأ الأحاديث والروايات؟

قلت: الرواية متن وسند. أوّل ما أركز عليه المتن. فإن وجدته لا يعارض شيئاً من القرءان حسب ما فتح لي, قبلته. وإن وجدته يحتمل المعارضة والموافقة من وجهين, أخذت بالوجه الموافق ورددت الوجه المعارض مع التبيين. وإن وجدته لا يحتمل إلا معارضة القرءان, رددته مع التبيين, ثم أبحث عن مختلف رواياته لعل واحدة منها ترد أو تحتمل الرد على ذلك الوجه المعارض وتكشف وجهاً موافقاً لكتاب الله, فإن وجدته قلت بتلك الرواية ورددت غيرها. وإن لم أجد رواية أخرى لنفس الحديث لها وجه موافق للقرءان, نظرت في السند, وأبدأ بالأبعد فالأبعد من النبي صلى الله عليه وسلم حسب التسلسل, وأنظر في تراجمهم وآخذ أسوأ ما قيل فيهم ومما قد يبيح التشكيك في روايتهم, وأعتبر هذا التشكيك مخرجاً من قبول الرواية حسب صنعة الحديث وإن كانت مرفوضة حسب المعيار الأكبر بل الأوحد الذي هو مخالفة كتاب الله. ثم أعرض كل ذلك العمل على الذين يقبلون صحة الرواية والوجه المعارض للقرءان حسب فهمي وما فتح لي, فإن استطاعوا حلّ الإشكال الذي وضعته قبلت الرواية مع حفظ حلّهم وبعد النظر فيه فالحمد لله, وإن لم يستطيعوا فالحمد لله قد نفينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس منه حسب علمنا ونظرنا, ولا أزال منفتحاً في عمق قلبي على ما يصحح لي الرواية ولو من وجه, فإني أحب الفوز مباشرة وغير مباشرة بكل كلمة, ورفض الرواية على بصيرة فيه فوز غير مباشر, أما معرفة وجه صحيح فيها هو فوز مباشر وغنيمة ذاتية.

قال: هل من مثال لذلك؟

قلت: نعم. قرأت رواية تتعلق بباب الكلام من الشريعة (هكذا سمّيته) أو عدم تقنين البيان كما اصطلحت عليه. وهي (من قال في الإسلام شعراً مُقذعاً فلسانه هدر). فلما نظرت في معنى هدر كما ورد في الكثير من الأحاديث فإن المقصود به هو عدم التغريم على إتلافه, وهذه نظرة سريعة لم أحققها بعد. فهذا وجه في فهم الرواية وهو أنها تبيح إتلاف لسان ذلك الشاعر لمجرد القول. نعم, الرواية لا تأمر أحداً بإتلاف لسان ذلك القائل, وكذلك الهدر قد يكون معناه أنه صار بلا قيمة عند الله أو شيء من ذلك القبيل, والمهم أنه لا يوجد أمر للحاكم بإتلاف لسان ذلك القائل, وهذا يكفينا في باب عدم تقنين البيان من حيث الجملة. فلا يكون الحديث معارضاً لما ثبت لدينا بمئات الأدلة من كتاب الله تعالى بل وبشواهد من السنة والأثر بعد ذلك. لكن هب أن شخصاً فهم من الرواية أنه يحق له إتلاف لسان ذلك القائل, وحين يُعرض على الحاكم بالشرع يحتج بهذا الحديث لدفع التغريم والقصاص عن نفسه. ولذلك لابد من رد هذا الوجه من الرواية. وحيث أن المتن ظاهر المعنى من حيث إهداره للسان ذلك القائل, والهدر مثل أهدر دمه مفهوم في مصطلح الروايات, فحينها ننتقل إلى النظر في مختلف الروايات ثم السند.

قال: فهل له رواية أخرى؟

قلت: روايته الوحيدة حسب اطلاعي هي الواردة في مسند البزار, الحديث رقم 3774. ولذلك لا مفر من قبول صورة الرواية. وورد في عقب الرواية في المسند "وهذا الحديث لا نعلم رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ إلا بريدة". وهذا يشعر بوجود رواية أخرى لكن بلفظ آخر, إلا أني لم أقع عليها, فلست ممن تفرغ للحديث وعلومه وكلامي فيه ليس بشيء إلا بالحد الذي يرتاح له ذهني حين أجد حديثاً

يخالف ما فهمته من كتاب الله تعالى والأصول التي أقيم عليها ديني وأمري. ولا أذكر شيئاً في الباب إلا وهو ظاهر إلى حد ما وسهل المأخذ وواضح بالقدر الكافي لتصحيح الدليل ولو من حيث الجملة.

قال: فماذا عن سنده؟

قلت: فيها أربع رجال. عمرو بن موسى السامي, أبو هلال الراسبي محمد بن سليم, عبدالله بن بريدة, بريدة الصحابي. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: فهل وقع طعن في عمرو السامي؟

قلت: نعم . مما ذكره ابن حجر في لسان الميزان. قال ابن عدي (ضعيف يسرق الحديث). (الضعيف على رواياته بيّن). و (غفل ابن حبان فذكره في الثقات وقال : ربما أخطأ). وهذا يكفينا للتشكيك فيه إجمالاً.

قال: فماذا عن الراسبي؟

قال: أورده ابن حبان في كتاب المجروحين, ومما ذكره (كان يحيى القطان لا يحدث عنه). (كان يخطئ كثيراً) (فوقع المناكير في حديثه من سوء حفظه). عن (يحيى بن معين يقول كان أبو هلال الراسبي ليس بصاحب كتاب وهو ضعيف الحديث) وذكر أن من رأيه فيه هو (ترك ما انفرد من الأخبار التي خالف فيها الثقات) أقول: فإن كان الترك هو العمل بمخالفته الثقات فالترك أولى بمخالفة الآيات.

قال: فعبدالله؟

قلت: مما أورده الذهبي في السير (قال أبو بكر الأثرم قلت لأبي عبدالله :ابنا بريدة؟ قال: أما سليمان فليس في نفسي منه شيء, وأما عبدالله ! ثم سكت. ثم قال: كان وكيع يقول: كانوا لسليمان بن بريدة أحمد منهم لعبدالله أو ما هذا معناه). وكان عبدالله قاضياً بمرو. أقول: والقضاء منصب سلطة, وليس من المستغرب كره رجال السلطة للكلام خصوصاً المقذع منه. فإن كنت لا أتهمه بوضع الحديث لكنها قرينة على قيمة الرواية ككل بحسب النظر إلى رواتها.

قال: أما بريدة فلا شيء عليه فهو صحابي أليس كذلك؟

قلت: قد كان يبغض علياً وجاهر بذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم. وبغض علي من النفاق كما نص النبي صلى الله عليه وسلم, إلا أنه حسب الروايات قد تاب عن ذلك. وحضر مجلس معاوية في أيامه وأكل على مائدته التي كان معاوية يشرب الخمر عليها. فلو شئنا لقلنا, والمقدمات ثابتة في ما ينقلونه من روايات. لكن لا نحتاج الصعود إلى رتبة بريدة ولا حتى ابنه عبدالله للتشكيك في مجمل الرواية من حيث سندها. إذ يكفي أن الأول ضعف والثاني مجروح تقع المناكير في حديثه وبعض كبار المحدثين لم يحدث عنه فنحن لا نحدث عنه أيضاً هذا الحديث ونعتبره مما يستنكره صاحب العلم بكتاب الله وطريقة النبي صلى الله عليه وسلم.

قال: لنرجع إلى المتن, ما معنى "مقذع"؟

قلت: ذكر في العمدة أن شاعراً حبسه عمر بن الخطاب لشعر قاله خرج فقال له عمر "إياك والهجاء المقذع" قال "ما المقذع يا أمير المؤمنين" قال "المقذع أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف وتبني شعراً على مدح قوم وذم لمن تعاديهم". أقول: فبناء على قول عمر, من حيث المبدأ, يكون في القرءان كلاماً مقذعاً وفي الحديث بل إن عمر نفسه قد مارس هذا القذع في ديوان ماله حين فضّل بعض الناس على بعض. فهل قول الله "لقد فضلنا بعض النبيين على بعض" ومدحه للمؤمنين وذمه للكافرين والمنافقين, ومدحه للمجاهد من المؤمنين وتفضله على القاعد منهم, هل كل ذلك من الكلام المقذع الذي

يستوجب السجن أو إهدار اللسان. لو كان كذلك, لوجب على قريش إهدار لسان كل ناطق بالقرءان. فالمتن مرفوض لأفكاره لا لرجال سنده, فإذا أضفت إليه ما ذكرناه عن السند تمّ الأمر واستقام من كل وجه.

...
قال: هل من نصيحة لأكون كاتباً جيداً؟
قلت: إن احتجت إلى نصيحة لتكون كاتباً جيداً فلن تكون أبداً كاتباً جيّداً.

...
السعادة كلّها في قوله تعالى (في شغل فاكهون). السعادة ليست في نيل شيء أو تحقيق هدف. لكنها في الشغل الذي تتفكه به. وشرطه أن لا يكون له حد ينتهي إليه أو تخشى من بلوغه, وأن تجد لذّته أثناء فعله وتشهد تجليات كبيرة منها كل فترة. السعادة ليست حالة بعد عمل, لكنها حالة أثناء عمل وبعد عمل ويستمر العمل في دورة لا تنتهي ولا بداية لها في الحقيقة لأن بداية العمل السعيد هو عين الحق تعالى. أبرز صورها القراءة والكتابة.

...
لا أشعر أني قرأت إلا إن كتبت. ولاأشعر أني فكّرت إلا إن كتبت وغالباً لا أعرف ما أفكر فيه إلا بعد كتابته كما لا أجد اللذة الظاهرة لحقيقة أعرفها إلا بعد قولها.

...
في كتب الأدب التي وضعها علماءنا رضوان الله عليهم الكثير من العلوم والأسرار والأفكار في شتّى المجالات، لكن مَن ينظر بجدّية ولا يعتبرها مجرّد "تسلية" أو "إنشاءات لغوية".

مما وقعت عليه أثناء قراءة كتاب الأغاني للأصفهاني، في ذكر عدي بن زيد، نصوص فيها على الأقلّ ثلاث فوائد: الأولى بيان حال العرب في الجاهلية وصلته بحال العرب اليوم. الثانية كيفية تفاعل العرب حين يقعون تحت سيطرة القريب أو سيطرة الغريب. الثالثة وهي حسب اطلاعي أوّل نصّ في تأسيس شئ يشبه الملكية الدستورية وفصل منصب الملك عن رئيس الوزراء ومؤسسه عربي.

أما الأولى، فقال {إن النعمان النصري اللخمي هلك، فاختلف أهل الحيرة فيمن يُملّكونه إلى أن يعقد كسرى الأمر لرجل يُنصبّه}. أقول: العرب من حيث فرديتهم واعتزازهم بأنفسهم ما كانوا يعرفون الحكم الملكي. لكن هو شئ أخذوه من الغرباء، في هذه الحالة كسرى. وكما كان الوضع في الجاهلية، كسرى مثلًا ينصّب ملكاً عربياً ليحكم العرب وغايته هي ضبط العرب وكانت أحد أسئلة كسرى لمن ينصّبه هي كما ورد في نفس الكتاب {أتكفيني العرب؟} ولابد أن يقول المُرَشَّح للمُلك {نعم} حتى يختاره وينصّبه. فالغاية هي تسليط العربي على العربي، ومن القديم كما ترى.

أما الثانية، فقال {فكان عديّ أوّل من كتب بالعربية في ديوان كسرى، فرغب أهل الحيرة إلى عديّ ورهبوه...فكان عديّ إذا دخل على المنذر قام جميع من عنده حتى يقعد عديّ، فعلا له بذلك صيت عظيم} أقول: هكذا صارت حال عدي بعد أن خرج في بعثة تعليمية لبلاد كسرى، وتعلّم لغتهم وصار يشتغل عندهم، فحين عاد إلى بلاد العرب التي يسكنها، صار العرب هناك (وليس كل العرب بطبيعة الحال فالكلام مقيّد في سياقه)، يهابونه ويعظّمونه. فهذا الصنف من العرب، عرب الحيرة، خضعوا وخنعوا لكسرى، ومن آثار هذا الخنوع تعظيم من يشتغل لكسرى وعند كسرى وله صلة بالثقافة الفارسية المهيمنة عليهم. فقط استبدل الكسروية بروسيا أو أمريكا أو فرنسا أو انجلترا، واستبدل اللغة الفارسية باللغة الانجليزية أو الفرنسية، وستجد نفس ذلك الانفعال يحصل اليوم بدرجة أو بأخرى.

أما الثالثة، وهي المفضّلة لديّ، وهي بداية الملكية الدستورية والتي تكشف شيئاً عن طباع العرب مهما انهزموا وخنعوا من جهة فإن العزة والفردية لا تزال فيهم ولو كانت في كمون وضمور شديد. قال الراوي {وفسد أمر الحيرة وعديّ بدمشق حتى أصلح أبوه بينهم. لأن أهل الحيرة حين كان عليهم المنذر أرادوا قتله لأنه كان لا يعدل فيهم وكان يأخذ من أموالهم ما يُعجبه. فلما تيقّن أن أهل الحيرة قد أجمعوا على قتله، بعث إلى زيد بن حماد بن زيد بن أيوب، وكان قبله على الحيرة، فقال له "يا زيد أنت خليفة أبي، وقد بلغني ما أجمعَ عليه أهل الحيرة، فلا حاجة لي في مُلككم، دونكموه ملّكوه مَن شئتم". فقال زيد "إن الأمر ليس إليّ، ولكنّي أسبر لك هذا الأمر ولا آلوك نصحاً". فلما أصبح غدا إليه الناس فحيّوه تحية الملك وقالوا له "ألا تبعث إلى عبدك الظالم-يعنون المنذر-فتُريح منه رعيّتك". فقال لهم "أوَلا خير من ذلك". قالوا "أشر علينا". قال "تدعونه على حاله فإنه من أهل بيت مُلك، وأنا آتيه فأخبره أن أهل الحيرة قد اختاروا رجلًا يكون أمر الحيرة إليه إلا أن يكون غزو أو قتال، فلك اسمُ المُلك وليس إليك سوى ذلك من الأمور". قالوا "رأيك أفضل". فأتى المنذر فأخبره بما قالوا، فقَبِلَ ذلك وفَرِحَ، وقال "إن لك يا زيدُ نعمة لا أكفرها ما عرفتُ حقّ سبد" وسبد صنم كان لأهل الحيرة. فولّى أهل الحيرة زيداً على كل شئ سوى اسم الملك فإنهم أقرّوه للمنذر. وفي ذلك يقول عديّ: نحن كنّا قد علمتم قبلكم-عُمُد البيت وأوتاد الإصارِ.}

أقول: قبل التعليق على هذا النصّ الشريف، لابد من الدعوة إلى إبرازه ودراسته وتخليده في الناس ونشره في كل مكان وخصوصاً بين العرب اليوم. لأن فيه المخرج والحلّ الذي يبحثون عنه، والحلّ الوحيد تقريباً.

أ- المنذر ملك عربي نصّبه كسرى الفارسي على أهل الحيرة العرب. فهو "عميل أجنبي" لكن على المكشوف. وما كان أهل الحيرة يقبلون به لمجرّد أن كسرى اختاره، لكن لأنهم يخافون من كسرى وجيشه. وهذا الخوف المادي هو الذي ستره زيد بن حمّاد حين أراد تهدئة عرب الحيرة واثنائهم عن قتله، {تدعونه على حاله فإنه من أهل بيت مُلك}. كالعادة حين يخجل الإنسان من شئ يستره ويذكر ألفاظ لا حقيقة لها لتغطيته، وعادة ما تكون هذه الألفاظ برّاقة في بادئ الأمر وتشعر كأن لها معنى لكن لا معنى لها. فما معنى {أهل بيت ملك} بالضبط؟ وكأنهم نالوا ذلك بالفطرة أو بالحقيقة الذاتية. الواقع-كما هو مذكور في التاريخ ومعلوم لعرب الحيرة قطعاً-أن هذا الرجل إنما هو عبد لكسرى اصطفاه ليضبط له العرب ويحمي مصالح كسرى في المنطقة. وهذا كان مفهوماً لهم بالتأكيد، ولذلك حين قال لهم "تدعونه على حاله" وعلل ذلك بأنه "من أهل بيت ملك" كان المفهوم أن كسرى سيقلب الدنيا على رأسكم إذا مسستموه بسوء. ولذلك قبلوا حتى بذلك الحلّ الشكلي الذي لا داعي له في الحقيقة إلا من بعض الوجوه سنذكرها بعد قليل إن شاء الله. فعلينا الانتباه مما يحدث للّغة من إفساد وتورية وحشو، إذ ما ذاك إلا إخفاء لحقائق مرّة ومرفوضة ولا يُريد المفسد للّغة كشفها وشعور الناس بحقيقتها إذ الناس تتفاعل مع حقيقة الكلمات الدالة على الوقائع أكثر مما تتفاعل مع الوقائع ذاتها. الكلمة حجاب الواقع ونوره.

ب-عرب الحيرة أرادوا قتل المنذر. لماذا؟ لسببين: الأول {لم يكن يعدل فيهم} وهذا يشمل السياسة والقضاء. الثاني {وكان يأخذ من أموالهم ما يعجبه} وهذا يشمل المالية والطبقية إذ لولا التميّز عنهم وشعوره بأنه غيرهم لما فعل ذلك بهم. الظلم والسرقة. ولماذا كان المنذر يبيح لنفسه الظلم والسرقة ولا يخشى من عاقبتهما؟ لأنه عبد كسرى، وعبد القوي قوي، ويشعر بأن كسرى في ظهره وسيسنده والناس ستخاف منه لأنه عميل كسرى وحليفه ونائبه وقل ما شئت. فالظاهر أنه ملك محترم، لكن الواقع أنه ملك على العرب إلا أنه مجرد كلب عند الغرب والغريب. فيترك العدل ولا يبالي، ويسرق الأموال ولا يبالي،

ويفعل {ما يعجبه} وهذه كلمة مهمة جدّاً، {ما يعجبه} تدلّ على الشخصية في الحكم والأهواء، فالملك ليس ملكاً منظّماً وموضوعياً ويقوم على أحكام مجرّدة تنطبق على جميع الناس. كلّا. هو حكم يرجع إلى مزاج الحاكم. مُلك الأمزجة لا مُلك الأنظمة. وهنا ظهرت طباع العربي التي مهما انكتمت لابد من وجودها وظهورها عاجلًا أم آجلًا. فاجتمعوا وأجمعوا على قتله.

ج-السؤال المهم جدّاً: ما هو الحلّ مع هذا الصنف من الملوك؟ الحلّ واضح: العمل على قتلهم. أي اتحاد الناس كما اجتمع أهل الحيرة، والإجماع على قرار واحد، ثم هذا الإجماع على معاقبة الملك سيؤدي حتماً إلى ما وصل إليه المنذر الذي كان يظلم ويسرق كما يعجبه ولا يبالي بالناس، وهو أن يفرح على مجرّد بقاء حياته، وقبل ذلك سيتنازل عن الملك أو سيقبل بحلول أخرى تناسب الناس. لا يوجد إنسان يترك العدل وينهب أموال الناس ويوجد شئ يمكن أن يردعه سوى الخوف على حياته. عرب الحيرة فهموا ذلك، ولذلك لم يقولوا: نرسل إلى كسرى ليأتينا بوال غيره، لأن كسرى لا يبالي بهم أصلاً ويحتقرهم أشدّ احتقار ويراهم مثل الحيوانات والسباع لا أكثر. الفرق بين عرب الأمس واليوم في هذه الحالة، أن عرب الأمس سباع وعرب اليوم نعاج، إلى حد كبير. فعرب الأمس كان عندهم الجرأة الكافية للعمل على قتل الظالم السارق المتحكم بالهوى والعميل للأجنبي. ولما شعر باجتماعهم وإجماعهم على قتله، رضخ وتنازل عن الملك {فلا حاجة لي في ملككم، دونكموه ملّكوه من شئتم}. المفتاح هنا هو اجتماع عرب الحيرة. ولذلك من سياسة الملوك القادمين هي العمل على عدم نشوء مثل ذلك الاجتماع من الأساس. فاجتماع الناس بحدّ ذاته سيصير جريمة، وسيصير مصدر ريبة، حتى لو اجتمعوا للتكلّم عن الطبخ لابد من وجود عين عليهم تتأكّد من نوع المأكولات التي يتحدّثون عنها. المفتاح الآخر هو العنف، لا يردع الملوك إلا العنف، ولا يردع الرؤساء الفاسدين الظالمين إلا العنف. ولذلك في سياسة الموك الجدد الذي تعلّموا الدرس من الماضي سيصير تكريه العنف للناس أساس مطلق، وسيصير طريق الإصلاح الواحد والوحيد هو إما بالدعاء وإما بالألفاظ الخاوية من القوة والحقيقة، مما يعني لا إصلاح. المنذر كان سيخسر ملكه بسبب اجتماع العرب وقوّة العرب. لذلك لابد من القيام بأمرين لضمان عدم قيام العرب على ملوك الأمزجة والعملاء والظلمة: تفريق العرب حتى الواحد عن أخيه إن استطاعوا، وخصاء العرب حتى لو شاهدوا نساءهم يغتصبون وأولادهم يُقتَلون وأموالهم تُنتَهَب ،وهذه هي الحالة المثلى التي تُرتجى للعرب.

د-{فولّى أهل الحيرة زيداً على كل شئ، سوى اسم الملك فإنهم أقرّوه للمنذر}. فالاتفاق، أو الدستور إن شئت، الذي وضعه زيد نتج عن شورى فعلية بين الناس. {قالوا أشر علينا، قال تدعونه..}. تفاعل شوري حقيقي بين الناس. {وأنا آتيه فأخبره أن أهل الحيرة قد اختاروا رجلًا} هنا "الديمقراطية" إن شئت، أي اختيار الناس لمن يدير أمورهم. أهل الحيرة قد اختاروا، وليس فلان الغريب أو علان القريب، ولا حتى زيد نفسه. أهل الحيرة، إجمالًا ، وليس واحداً منهم. ومضمون الاتفاق هو {أمر الحيرة} إلى الذي اختاره أهل الحيرة، و {غزو أو قتال} للمنذر وهو حالة استثنائية، ويبقى {اسم الملك} للمنذر، {وليس إليك سوى ذلك من الأمور} مطلقاً. فالمنذر له اسم الملك في السلم فقط، وله القيادة العسكرية في الحرب. وبذلك يستفيدون من بقاء الصلة مع كسرى من حيث عدم خروجهم على مَن نصّبه، ومن حيث انتفاعهم بالإمدادات الكسروية في حال الحرب وهيبة انتسابهم ملكهم إلى كسرى فيخشاهم الناس لذلك، فإن كلب الملِك له حظّ من هيبة الملك مهما قلّ. زيد هو الحاكم لكل الأمور أي رئيس الوزراء إن شئت، وكيفية

تنصيبه هي اختيار أهل البلد له. المنذر له اسم الملك وصلاحيات معيّنة وقت الحرب وذلك باتفاق بينه وبين أهل البلد قام بالتوسّط فيه رجل يقبله المنذر ويقبله أهل البلد.

إذن: أهل البلد هددوا بالعنف بسبب أعمال الملك، فخاف الملك على نفسه فرضي بعقد اتفاق مع الأهالي بحيث يكون له اسم الملك فقط وبعض الصلاحيات في الحرب وهي صلاحيات في مصلحة أهل البلد ووافقوا عليها أثناء الاتفاق. وأما سائر الأمور فهي بيد شخص اختاره أهل البلد.

هذه قصّة تحويل الملكية من مطلقة إلى دستورية وانتخابية، وهي مرحلة ضرورية لتحويل الأمر إلى الشورى الحقيقية التامّة مع ترك الأسماء التي بلا مسمّيات والمناصب التي يضطرّ الناس إلى التسليم بها لعجزهم وفقرهم وهوانهم على الناس. وفي ذلك ذكرى لأولي الألباب.

...

أنشد المتنبي في المديح (تمشي الكرام على آثار غيرهم-وأنت تخلق ما تأتي وتبتدعُ).

أقول:

أ-يوجد فرق بين الخلق والإبتداع. (أنت تخلق..وتبتدع). الخلق استعمال شيء لصنع شيء آخر منه. الإبتداع صنع شيء لا من شيء كان قبله. مثال ذلك: يوجد حديث نبوي. هذا شيء. أهل الآثار وهم الكرام في البيت يأخذون ما فهمه غيرهم من هذا الحديث ويمشون عليه. أهل الخلق يأخذون هذا الحديث ويستخرجون منه معنى جديد. أهل الابتداع لا يأخذون بالحديث لكن ينظرون في مصدر النور المتعالي والعقل المجرد ويبتدعون حديثاً جديداً. هذا تأويل. وعليه, يكون فضل الخالق والمبتدع على غيره أنه مستقل بعقله وفهمه ومصدر عمله, فمصدر عمله من باطنه لا أثر غيره.

ب-إثبات معنى الخلق للإنسان. (وأنت تخلق). وهذا ليس بجديد كلّياً لكنه شاهد من الشعر الأصيل, لأن القرءان ذكره من قبل في عيسى "أخلق لكم من الطين كهيئة الطير". لاحظ أن الخلق "من الطين" ومن هنا قلنا أن الخلق يكون من شيء, ولن تجد في القرءان إلا أن الخلق يكون من شيء كان قبله. ولذلك استنكرت الآية على الذين ينفون ذلك فقالت "أم خُلِقوا من غير شيء". هذا خلق المؤمنين. وأثبت القرءان الخلق للكافرين, كما قال إبراهيم لقومه "وتخلقون إفكاً". ونحن نذكر هذا المعنى لأنه يوجد بعض الجهلة, من السلفية خصوصاً, ممن يظنون أن الخلق ليس إلا لله تعالى ولا تجوز نسبته لغيره. والحقيقة أن الخلق لله تعالى بالأصالة ولمن دونه بالإفاضة من لدنه سبحانه. ففي الحقيقة الخلق لا يكون لغير الله, لأن كل من يخلق هو مجلى من مجالى اسم الله, فالخالق واحد في صور العالَم الكثيرة. ولذلك قال "تبارك الله أحسن الخالقين" ولولا وجود الخالقين الكثر لما قال "أحسن الخالقين". فهو الأحسن لأنه المصدر والأتم, ومن دونه ظلال جزئية ومحدودة بالنسبة لكماله المطلق. ومثل ذلك بقية الصفات الوجودية.

ج-تفضيل الخلق والابتداع على اتباع الأثر. هذا المعنى الذي يظن الجهلة في هذا الزمان أنه قد ابتدعوه ولم يسبقهم إليه أحد من "القدماء", باطل بشهادة هذا البيت. يزعم هؤلاء أن القدماء كانوا لا يرون الفضيلة إلا في اتباع آثار غيرهم, وأنهم اليوم قد اكتشفوا معنى الاستقلال والخلق والابتداع وجعلوا الفضل في ذلك. مع الأسف, المتنبي ببيته هذا والذي ساقه مساق المديح يبطل وهمهم هذا. إلا أن للمتنبي عليهم فضل من ناحية أخرى وهي جمعه بين الاثنين. فهم يجعلون المعركة بهذه الصورة: أيهما هو الصواب الاتباع أم الابتداع. وكأن الصواب في واحد من الاثنين فقط. المتبني يقول, كمحققي الإسلام عموماً, بالجمع بين المكارم, مع وجود الدرجات فيما بينها, وهو الحقيقة التي لا يخلو منها أحد حتى الحداثي الذي يزعم أنه لا يتبع أحداً بل يستقل بكل شيء تجده يتبع غيره وفي كثير من الأمور

ويقلّد الغربي والشرقي ولا أقلّ يتبع في استعمال اللغة من سبقه إذ هو لم يبتدع اللغة ولا النمط العام من طرائق التعبير والنحو والصرف وهذا أقلّ ما يقال. فضلًا عن اتباعهم لآثار غيرهم في القوانين والعادات أو كثير جداً منها. كلا, ليس الصواب في "هذا أو ذاك". ولذلك قال المتنبي (تمشي الكرام) فسماهم الكرام (على آثار غيرهم). فهذا طريق كريم مقبول, طبعاً بحسب مَن هو الغير وعلى أي أساس مشى عليه. لكن يوجد ما هو أعلى منه درجة وهو (وأنت تخلق ما تأتي وتبتدعُ). بهذا التسلسل: آثار, خلق, ابتداع. تسلسل الفضل هو نفس التسلسل الذي وردت فيه الكلمات, من الأدنى إلى الأعلى, وهذا من العجائب العقلية والشعرية. بيت في قمّة السلاسة والإتقان حسب صنعة الشعر ومع ذلك ذكر الحقائق المتعلقة بالقضية من كل وجه مهم وبالترتيب الصحيح. الحاصل: الكمال ثلاث درجات, الأول اتباع آثار الكرام قبلك. الثاني خلق طريقة من شيء وجد قبلك. الثالث وهو الأشرف ابتداع شيء لم يوجد من قبلك له أصل ولا فرع. فالكريم يمشي على الفروع, والخالق يُفرّع على الأصول, والمبتدع يضع الأصول والفروع.

...

قال المتنبي (مَن كان فوق محل الشمس موضعه-فليس يرفعه شيء ولا يضعُ)

أقول:

أ-(محل الشمس) تشير في الحقيقة إلى المكانة لا المكان. ويوجد ربط بين مفهوم المحل كمكان وكمكانة. والرابط الرمزي أن المكانة تظهر بالمكان. بالمعنى أن الذي ينزل في محلّ أقرب إلى خيمة شيخ القبيلة, أو في حي سكني معين, أو أقرب إلى مصدر الماء والأماكن الجميلة في الطبيعة, يكون ذا مكانة أكبر ممن سواه. والمكانة في هذا السياق الطبيعي هي القوة والثروة حسن الهيئة والمعرفة والديانة, لأن مكانة الناس تتحدد بناء على هذه الأمور الخمسة. وقال النبي في الصلاة أن يقف وراءه الأعلم فالأعلم أو كما قال عليه السلام, فمن كان أشرف كان محلّه أقرب إلى الإمام ومنه فضل الصف الأول. فكما ترى, يوجد نوع من الاتحاد بين المكانة والمكان, والكلمة التي تجمع بين مفهوم المكانة والمكان هي كلمة "المحل". تقول: محلة كذا بمعنى المكان. وتقول: فلان من علان بمحل عظيم, تقصد المكانة. فالمكان مجاز للمكانة.

ب-حين نقول "مجاز" لا يرد علينا إشكال الغافل-وعادة هم من المجسّمة الذين لهم غرض في تفسيراتهم وليس غرضهم معرفة الأمر على ما هو عليه-وصورة الإشكال: نحن لا نعرف أي كلمة حقيقة وأي كلمة مجاز بحسب اللغة لأن اللغة وردتنا ككل واحد ولا يوجد تاريخ أو تعريف يحدد أيهما حقيقة وأيهما مجاز فاللغة كلّها حقيقة. وحلّ الإشكال: المجاز ما كان أنزل, والحقيقة ما كان أعلى. التنزيل مجاز, التأويل حقيقة. وبيانه: الموجودات على مراتب, من أشدّها لطفاً في الأعلى إلى أشدّها كثافة في الأدنى. فالله تعالى هو العلي المتعال الأعلى, ويوجد أيضاً مرتبة اسمها "أسفل سافلين".الوجود مفتوح من فوق مغلق من تحت, لأن الفوق لانهاية له, أما التحت فيستحيل أن يبلغ حد العدم فلا يكون إلا وجود ذو نور ضعيف. وبناء على ذلك, إذا أخذنا بالقسمة الرباعية المشهورة وهي اعتبار من الاعتبارات الممكنة وهي صحيحة, وهي أن الوجود على أربع مراتب:عالم الربوبية وعالم العقل وعالم النفس وعالم الطبيعة. فكل عالم أدنى هو "مجاز" بالنسبة للعالم الأعلى الذي هو "حقيقة". والربوبية هي حقيقة الحقائق "الله هو الحق المبين". لاحظ أنه قال "الله هو الحق", كما قال عن الطبيعة أنها حق في قول يوسف حين تجلّت رؤياه في الطبيعة بعد سجود إخوته له "قد جعلها ربيّ حقّاً". فالله حق والطبيعة حق, لكن لا شرك, لأن الله هو الحق بالأصالة والتعالي والطبيعة حق بالإفاضة والتجلي الإلهي. وهكذا الأمر في العقل والنفس لكن بنحو أشرف وأكمل مما هو في الطبيعة, ولذلك قال عن الآخرة وهي من عالم البقاء الروحي "الآخرة

خير وأبقى" كما قال عن مال الدنيا بأنه خير "إنه لحب الخير لشديد" و "إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين". فإذن, كل ما كان أدنى كان مجازاً لحقيقة أعلى, "وأن إلى ربك المنتهى".
ج-وعلى ذلك يكون قول الشاعر (فوق محل الشمس) معناه فوق مقام وكمال الشمس. وما هو كمال الشمس؟ أشار لذلك في الشطر الآخر (فليس يرفعه شيء ولا يضع). فالشمس هنا المقصود بها أعلى موجود في عالم الصيرورة والتغير, وهو العالَم. لأن كل ما كان في العالَم احتمل الرفع والوضع, حتى في الآخرة "خافضة رافعة". "ثقلت موازينه...خفت موازينه". فما هو الشيء الذي (فوق محل الشمس)؟ هو ما كان وراء العالَم. أي السر البرزخي الجامع بين الحق والخلق, أو هو وجه الحق للخلق. فالممدوح هنا قد تحقق بهذا السر, وهو السر الذي منه نطق الحلاج "أنا الحق". فإن صار في هذا المقام, وهو فيه وإن لم يعيه, وهو عين ذاته وإن لم يشعر به, حينها يصير موصوفاً بـ(فليس يرفعه شيء ولا يضع).
الحاصل: بيت المتنبي هذا هو خلاصة الكمال وإليه يطمح الرجال.

...

قال المتنبي (إن السلاح جميع الناس تحمله-وليس كل ذوات المخلب السبعُ)
أقول:
الشطر الأول يدل على التسليح العام الذي ندعو إليه. (إن السلاح جميع الناس تحمله). وهذا البيت لا يتحقق إلا حيث يكون جميع الناس تحمل السلاح أو يتم دعوتها لحمل السلاح.
الشطر الآخر يدل على واقعية المسلمين العارفين. (وليس كل ذوات المخلب السبع), فهم وإن كانوا يستعملون السلاح إلا أنهم يعرفون أنهم بذلك الاستعمال يصيرون مثل السباع, الحيوانات المفترسة, وهو نزول عن الأكمل. فهم لا يستعملون السلاح ويبررون ذلك لأنفسهم لعدم احتمال ضمائرهم لذلك النزول فيجعلونه من صلب الإنسانية والأحسن والأتم, بل بعضهم مثل اليهود الضعاف يجعلون ربّهم (رجل حرب) كما ورد في كتابهم (الرب رجل حرب). استعمال السلاح يجعلنا من السباع, لكن التطرف المقابل هو رفض استعمال السلاح وهو الذي يقوم به كثير من اليسوعيين وهم الطرف المقابل المتطرف لليهودية, فيزعمون أن استعمال السلاح من العنف والعنف ضد الكمال فإذن لا نستعمل السلاح مطلقاً, فكيف تكون النتيجة؟ النتيجة أنهم يصيرون كالبهائم في يد صاحب السلاح ! يعني لم يرغبوا في مرتبة الحيوانية مطلقاً, فانتقلوا من السبعية إلى البهائمية. وهو سقوط في سقوط, إذ السبع أشرف من البهيمة. ولذلك تجد اليسوعي نفسه حين يريد أن يمدح بعض أصحاب الكتب التي يسمونها الأناجيل يقولون عنه "الأسد". الفكرة أنه لا التطرف في استعمال السلاح ولا التطرف في رفض استعمال السلاح هو الحل الأسلم والأكمل. الأكمل عدم استعمال السلاح ما استطاع الإنسان لذلك سبيلًا, وعليه اتخاذ كل السبل لتحصيل ذلك كما أرشد القرءان بالتفصيل, ومن ذلك أن تكون مسلّحاً وأمّتك كلّها من حملة السلاح "ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين لم تعلموهم" أي ترهبونهم حتى لا يحاربونكم, فيحصل السلام المطلوب بدون استعمال للسلاح بل بمجرد عرضه ومعرفة العدو والآخر بوجوده.
فإذا حققنا الشطر الأول من البيت (إن السلاح جميع الناس تحمله) فالنتيجة ستكون هي أكمل حد ممكن من السلام في هذا العالَم. نعم, سنضطر إلى التحوّل إلى سباع واستعمال السلاح أحياناً, لكن أن نكون سبعاً خير من أن نكون بهيمة, فإن بعد السبعية يأتي السلام بالحرية الإنسانية, لكن البهائمية حالة دائمة. فالسلاح مثل الدواء, تستعمله لإزالة الداء. أما رفض الدواء فهو بقاء في الداء. لكن حين نستعمل السلاح لا نبرر ذلك لأنفسنا بأننا على الحالة الأكمل والأتم من كل وجه, وأن السلاح ليس

مخالب سبع بل هو نور وخير وجمال, كلا, هذا تبرير فاسد وخوف من تسمية الواقع باسمه وإعطاء كل شيء حقه.

...

حجّتان لعدم تقنين البيان:

الأولى أنك لن تكتشف عقلك إلا بعد أن تتعرض للعقول المتناقضة والمتضاربة فيما بينها, وكلّما ازداد تعرضك لها ونظرك في كلامها ستقترب أكثر من عقلك وفرديتك. مثل ذلك: لو كنت مسجوناً ولا يُعرض عليك كل يوم إلا الجزر, فأنت من باب الضرورة ستأكل الجزر وستعتاد عليه وتظن أن شهوتك الحقيقية فيه. وهذا مثل من يعيش في ظل تقنين البيان ولا يعرض عليه إلا بعض ثمار العقول. أما لو تحررت ووضعت أمامك كل أنواع الثمار والأطعمة المتناقضة في طبائعها, حينها لن يقيدك في اختيارك الواقع الخارجي بل سينبع اختيارك من طبعك ومزاجك الخاص, لأن الخارج متناقض فلا يبقى لحل التناقض إلا الرجوع إلى مبدأ غير الخارج وليس إلا عقلك الباطن. كثرة الكلام من كل لون وشكل ومهما تناقض خير من غير ذلك. وهذا أحد أسباب كثرة إيراد القرءان لكلام الكافرين والمنافقين, بالرغم من أنه يريد من الإنسان أن يكون من المؤمنين. حين ترى الكل, ستعرف من أنت.

الثانية أن المشاكل العنيفة تبدأ حين ينتهي الكلام. طالما أن الناس تتكلّم فيمكن إيجاد حل للمشكلة عاجلًا أم آجلًا, وسيحدث اتصال وتفاهم بدرجة أو بأخرى, ولا أقل ستتضح أسباب المشكلة وجذورها ويمكن التفاهم حول آثار ترك الكلام واستعمال العنف, وبشرح ذلك بالكلام سيتخيّل الناس الآثار وقد يفضّلون اختيار السلم على الحرب, والصفاء على كدر المشاكل. فالعنف يبدأ حين ينتهي الكلام, والكلام هو الباب الذي يسدّ العنف. حتى الكلام الشديد والقاسي خير من تركه, لأن الفعل الشديد والأقسى من القول الشديد والقاسي. والدعوة إلى العنف ألطف من تفعيل العنف وارتكابه. فانظر من حيث شئت, الكلام أحسن وسيلة لحل المشاكل, لدرء المشاكل, لإيقاف المشاكل. فإذا حصل ومنعنا بعض الناس من الكلام أو التكلّم كما يحبون ويشتهون, فالطاقة التي كانت ستظهر بالكلمة ستظهر الآن بالفعل العنيف عادة, ولات حين مناص.

ملحوظة: استلهمت الحجة الأولى من كلام لعبدالله الغذامي السعودي من كتابه "حكاية الحداثة في المملكة العربية السعودية". وإن لم يكن كلامه يفيد ما ذكرته, لكنه ذكر شيئاً بخصوص العرب في زمن عبدالعزيز آل سعود استلهمت منه لب الفكرة ثم فصّلتها كما تراه أعلاه. واستلهمت الحجة الثانية من كلام لتوباك شكور الأمريكي المغني الشاب المشهور في مقابلة له مع قناة "بي إي تي". وكان المقابل يسأله عن سبب حمله للسلاح فقال في وسط كلامه الكثير والسريع جملة أخذتها وبنيت عليها وفصّلتها وهي حسب ترجمتي لها "إذا كنّا نتكلّم , فلا مشكلة". ثم انتقل إلى أمر آخر ولم يفصّل, أما أنا فأخذتها وفصّلتها كما تراه أعلاه. فإن قلت: وما الجامع بين الغذامي وشكور؟ قلت: أوّلًا لا يهمني الجامع الشخصي لكن أنا آخذ الكلام والعبرة المفيدة من أي شخص. ثانياً كلاهما مثقف, وشكور كان قارئاً ومثقفاً من ناحية أمّه تحديداً. ثالثاً كلاهما من أصحاب الكلمة والكتّاب وهو جامع جوهري. مع العلم أن شكور أكثر صدقاً وعقلًا من الغذامي, وأحد أهم أسباب ذلك كون الغذامي مضطر إلى النفاق أحياناً ليجامل أسياده في المملكة السعودية, ولذلك يكثر من الهراء في كتابه "حكاية الحداثة" بالأخص حين يتحدث عن عبدالعزيز وملوك السعودية, ولعله يأتي يوم إن شاء الله وننقد ذلك الكتاب بالتفصيل فإن فيه أمور مهمة ونافعة جدّاً. فالاعتراض لا ينبغي أن يكون "لماذا جمعت بين الغذامي المثقف وشكور المغني الشعبي". لكن لو كان ثمة اعتراض فلابد أن يكون على هذه الشاكلة "لماذا جمعت بين شكور

المتكلم الصادق وبين الغذامي الذي هو دون ذلك بكثير" وحينها أرجع في الجواب إلى النقطة الأولى والثانية من جوابي.

...

كل أمر من آمر لمأمور يعتمد على شيء لبعث المأمور للقيام به. هذا الشيء إما أن يكون معلومة أو يكون عقوبة أو يكون مزيجاً من الاثنين. إن كان معلومة, فهو الأمر الطوعي. إن كان عقوبة أو مزيجاً من الاثنين فهو الأمر الإكراهي لأن العقوبة تكره فتكون المعلومة غير مفيدة للإرادة إذ ستعتمد على العقوبة كمركز للنظر في الأمر.

على هذا الأساس, انظر في كل أمر من كل آمر. وقم بتحليل معلوماته وعقوباته.

في الأمر: انظر في سلطة الآمر وما مصدرها, وانظر في نطاق المأمورين والمخاطبين بذلك الأمر, وانظر في حدود الأمر ذاته وماهيته التفصيلية.

في المعلومات: انظر مدى صدقها, وإن كانت صادقة فانظر مدى ارتباطها بمضمون الأمر وتحقيقها للغاية التي يقصدها.

في العقوبات: انظر في سلطة المُعاقب هل هي حقيقة, ومدى قدرته على إيقاعها, وإن كنت تتحمل هذه العقوبة أم لا, وهل تريد المخاطرة بوقوع العقوبة أم لا, وانظر في مدى تناسب العقوبة مع عصيان الأمر من حيث العدالة والمناسبة.

كل دراسة للشريعة والقانون والأعراف والعادات وقل ما شئت من صور الأمر ترجع إلى التحليل والنظر في الوجوه الثلاثة للأمر التي قررناها.

...

عن سورة القمر: كلّها معلومات لإقناع النبي بالقيام بأمر واحد فقط وهو "فتولّ عنهم". هذه الأحرف الثمانية لكي يتم تنفيذها تحتاج إلى تلك السورة بطولها.

...

(عن حرية الكلام)

المعاقبة على الكلمة، موت الأمّة.

كل كلمة فيها حياة للأمّة. فإن موت فكرة يعني بعث فكرة، قتل فكرة يعني وجود القوّة وتقوية الأمّة.

حين ننظر في نقد الآخرين لنا، فإنّنا لن نعدم الخير. لو كان نقدهم فيه حقّ انتفعنا بالحق والحق نافع للمحسنين، ولو كان نقدهم كلّه باطل انتفعنا بمعرفة قوّتنا وإحكام أمرنا وفي هذه المعرفة زيادة إيمان للمهتدين. كلّما تركنا خصومنا ليتكلّموا بأسوأ وأشدّ وأقسى ما يستطيعون، كلّما كنّا أقدر على الترقّي في كل الأمور. بتخويف غيرنا نحن نظلم أنفسنا قبل ظلم غيرنا. الأنانية توجب ترك الآخر ليشتمنا وينقدنا ويردّ علينا بكل ما يشاء.

في طريق كل مهتدي توجد عقبات، وفي طريق كل راغب في الترقّي عقبات، وكثير من العقبات نحن لا ندركها لاستغراقنا في مذهب ولا يدركها إلا لآخر كما أنك لا ترى الوسخ على وجهك إلا بمرآة أو إخبار غيرك، فإن وضعنا العقوبات لن يجرؤ أحد على إخبارنا بالعقبات، فنبقى حيث نحن بل نتراجع ونرتدّ على آثارنا.

المعاقبة على الكلمة مثل الموت، سيصيب الجميع، سواء واضعه أو الذي يظنّ أن فيه خيراً له أو المقهور تحته. هذا القانون مثل المشنقة، وستخنق الجميع على السواء، عاجلًا أم آجلًا، بدرجة أو بأخرى، ألا ترى واضعي قوانين الكلام هم أنفسهم يحذرون من التكلّم في أمور معيّنة خشية من الناس

وجماهيرهم والعوام. واضع قانون الكلام كرجل يريد شنق غيره فيلفّ طرف الحبل حول رقبة غيره والطرف الآخر حول رقبته ولا يستطيع خنق الآخر إلا بخنق نفسه. قانون الكلام مثل الصليب، يضعه الواضعون ليصلبوا خصومهم، لكن ما لا يلتفتون إليه أن هذا الصليب مصنوع من عظامهم وحباله من شرايينهم. قانون الكلام مثل الغاز السام والمجتمع هو غرفة الغاز، والمشكلة الوحيدة أن غرفة التحكّم في زاوية غرفة الغاز ذاتها، فلا يستطيع أرباب التحكم إطلاق الغاز إلا بتسميم أنفسهم وأهلهم وأحبابهم وأتباعهم من الحاضرين والقادمين أيضاً.

القوي لا تؤثّر فيه كلمة، لأن الكلمة خبر وأمر. الخبر يقوم على الكشف والبرهان فلا يستطيع الخبر المجرّد من الحجّة التأثير فيه وأما إن كان للخبر حجّة فهو أولى الناس بها. الأمر يقوم على الخبر والعلاقة بينهما، ولا يستطيع أحد خداعه بأمر إن شاء. فعليه الوجهين، القوي لا يضعفه كلام الآخرين. ولابد من تعليم الجميع حتى يصيروا أقوياء بهذا المعنى. والحقيقة أن كل شخص قوي بهذا المعنى، لكنهم يكونون كذلك في أمور دون أمور، والواجب جعلهم كذلك في كل الأمور أو لا أقلّ في الأمور المهمة والخطيرة.

إن كنتم في بلاد تعاقب على بعض أنواع الكلام، في هذا الزمان تحديداً، فعليكم باستعمال جميع وسائل التواصل مع الآخرين لحفظ كلامكم. فتكلّموا مع القريب منكم ومن تثقون به، وادعوه ليتكلّم هو الآخرين بمثل ذلك مع من يثق بهم، وسلسلة الثقات يمكن أن تمتد لتبلغ مبلغاً عظيماً وتحفظ الكلام والأفكار على مرّ الأجيال. لا توفّروا وسيلة حفظ وإيصال للكلام الممنوع وغيره. الكلمة مثل المال، وأحياناً يضطر الإنسان إلى دفن ماله ليكتشفه الناس لاحقاً، ودفن الكلمات هو بكتابتها ونشرها ولو بغير اسمك ولو بإيداعها عشوائياً في مواضع مختلفة ولا تدري من قد يُهدى إليها. اكتبوا القصص والروايات الخيالية والنكت واخفوا أفكاركم الأساسية فيها. اتّخذوا كل سبيل مشروع لحفظ أفكاركم.

دماء الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين التي سفكت، ودموعهم التي انكسبت، وأموالهم التي صودرت، وصرخاتهم التي انفجرت، بسبب كلام قالوه أو كتاب نشروه، سيجد كل أنصار تقنين البيان جزءاً من وزر تلك الدماء المقدّسة فوق رؤوسهم وعلى أيديهم يوم يقوم الناس لرب العالمين. سيسمعون كلاماً في ذلك اليوم يجعلهم يتمنّون لو خُلقوا قردة أو خنازير ولا يكونوا قد نصروا بأقوالهم وتأييدهم تلك القوانين الجائرة والعقوبات الظالمة على الكلمة البريئة—وكل كلمة بريئة في هذا العالَم بالنسبة للقوانين.

قوّة الأمة بحسب مدى احتمالها للكلام المناقض لها. كلّما ازدادت قوّتها ازداد قبولها لشتّى أنواع الكلام، وكلّما ازداد ضعفها كلّما ازدادت قيود التعبير اللفظي فيها حتى يبلغ الأمر بها إلى جعل الأصالة للخرس والاستثناء للنطق وحينها تكون صارت في الدركات السفلى لجهنّم.

إذا وجدت نفسك تكره كلام الآخرين الموجّه لك، أيا كان، فاعلم أنك لست فرداً بعد. توجد أسباب تجعلك تكره كلامهم وتريد معاقبتهم عليه، هذه الأسباب كلّها مناقضة لمبدأ الفردية، من قبيل طلب رضاهم حتى ترضى عن نفسك أو الاعتماد عليهم في المال لكونك تستجديهم أو لضعفك وحقارتك الواقعية أو المتوهمة. الفرد يقبل كلام كل أحد. لكن كيفية تعامله مع هذا الكلام تختلف. الفرد لا يطلب تقنين بيان أحد.

لاحظ اللذة التي تجدها حين تستمع إلى الحجج الناقضة للخصم، ولاحظ مدى وعيك وازدياد قوّتك بعد المناظرة الصحيحة. كيف تتذوق ذلك ثم تطلب تقنين البيان أو ترضاه.

إذا تغيّرت ظروف الناس، تغيّر كلامهم النابع من ظروفهم. إذا تغيّرت مقاماتهم، تغيّرت كلماتهم. إذا تغيّر زمانهم، تغيّر كلامهم. لكن في كل تغيّر، يوجد أناس يرفضون الاعتراف بواقعيته، بالتالي سيرفضون الكلمات الدالّة عليه. أعداء الواقع هؤلاء، سيسعون في معاقبة من ينطبق بالكلمات الدالّة على الواقع الجديد. وثقل الواقع سيسحقهم عاجلًا أم آجلًا، وسيجعل وجوههم مسودّة ما داموا أحياء بل وبعد موتهم عند الله وعند الناس. ولابد من حفظ أسماء هؤلاء وما قالوه، أظهروه للناس في المناسبات وذكّروهم به، وإيّاكم ونسيانه. كل حادثة جلبت تقنيناً للبيان أو أنزلت عقوبة بمتكلّم لابد من جمعها وحفظها ودراستها ونشرها على أوسع نطاق. الإنسان حيوان ناطق، قتل حيوانيته بقتل بدنه، قتل ناطقيته بمعاقبته على كلامه. احفظوا أسماء وأقوال المجرمين الذين يعاقبون على الكلمات كما تحفظون أسماء مجرمي الحرب والسفاكين الذين يُنهون الحياة.

التغيير يمرّ بثلاث مراحل: العقل ثم القول ثم الفعل. العقل لا يستطيع أحد تقييده في ذاته من ذاته، وإن استطاع التأثير عليه من خارجه، لكن العاقل في ذاته لا يستطيع أحد تقييده. القول بعضه لا يمكن تقييده كأن تقول ولا تنشر في النطاق الذي يطّلع عليه الرقباء من الظالمين، وهذا الوجه لابد من استغلاله إلى أبعد حدّ دائماً. وبعضه الآخر يمكن تقييده، وهو الداخل في نطاق القانون والقائمين عليه. ثم الفعل يقصد به إما تفعيل مضمون القول وهو بإدراك الآخر له في عقله وذاته وهو فهم القول العلمي والمتعلق بأمور فوق الفعل الطبيعي الجسماني، وإما تفعيل مضمون القول ذي البُعد الطبيعي كتغيير القوانين أو السياسات أو القرارات أو التطبيقات والتقنيات وما أشبه. الفهم في ذاته لا قيد عليه، لكن التفعيل بالمعنى الثاني يمكن تقييده بالتقنين والمنع القهري أو الإمكانات الطبيعية والظروف القاهرة. وعلى ذلك، يكون القول برزخ بين العقل من فوق والفعل من تحت. وهو الواصل بين العقل والفعل. ومن هنا لابد من فتح أبوابه على مصراعيه، حتى يمرّ كل شئ من لدن العقل ويتنزّل إلى عالم الطبيعة والفعل، ثم بعد الفهم قد يحصل التطبيق وقد تحصيل المعاقبة على الفاعل المعتدي الظالم. أما القول نفسه فلابد من إطلاقه. ولذلك تجد الأفراد والمجتمعات كلّما كان القول أكثر انفتاحاً فيها كلّما كانت تغييرها وعادة نحو الأحسن أسرع وأكثر وأعظم. والعكس بالعكس، كلّما ازدادت قيود الكلام وشدّة العقوبات عليه كلّما كان الجمود المرفوض والجهل أكثر وأيسر في الانتشار. نعم، فتح أبواب القول لا يعني العظمة التلقائية لا للفرد ولا للمجتمع. لكن كل فرد ومجتمع سيتحمل بنفسه مسؤولية ما يأخذ به حينها. فإن توفّر الطعام الصحّي لا يعني حدوث الصحة في الناس، فقد يختار الناس الطعام غير الصحّي. نحن نتحدّث عن وجود الاختيار للاتجاه نحو الأحسن والأسلم والأدقّ، وهذا لا يتوفّر في أكبر عدد ممكن من المجالات كما يتوفّر في المجتمعات ذات الحرية أو القيود الأقلّ في القول. وهذه قاعدة تستطيع التحقق منها عبر التاريخ كلّه والواقع (مثال أمريكا المعاصرة مع كل عيوبها ونواقصها حتى باب الكلام خصوصاً في بداية أمرها : هي ذات القيود الكلامية الأقلّ، وذات العظمة الحضارية الأجلّ).

الحاصل: معيار الإنسانية هو حرية الكلمة. وجوداً وعدماً، صعوداً وهبوطاً، جوهراً وصورة.

...

بعض الناس يربّيه الله مباشرة "وعلّم ءادم الأسماء"، وبعض الناس يربّيه الملائكة "علّمه شديد القوى"، وبعض الناس يربّيه الأنبياء والأولياء في عالم الغيب "فلا تك في مرية من لقائه"، وبعض الناس يربّيه روح القرءآن "إن هذا القرءآن يهدي"، وبعض الناس يربّيه رجال عالم الشهادة "لتخرج الناس من الظلمات إلى النور". فالحاصل: "لكل قوم هاد". لكن هذا الهادي على درجات وتجليات، تبدأ من الهادي الحقيقي الوحيد سبحانه، ثم أشعة شمس هدايته تتعدد بتعدد الموجودات، فبعض الناس يربّيه الهادي

سبحانه بواسطة المخلوقات الطبيعية "أن بورك من في النار" "قالت نملة". الأمر واسع، ومن تعلّق قلبه بالله سخّر الله له أهل الغيب والشهادة بحسب درجته واستطاعته وما يناسبه لإيصاله للمقصود. ومَن كان مخذولًا والعياذ بالله، لم ينفعه حضوره في حضرة سيّد أهل القُرب وسيُقال له "تبّت يدا أبي لهب وتبّ".

قال: الشاذ يحفظ و لا يقاس عليه، اما ان نجعل من الخبر الشاذ وسيلة لقطع الطريق فهذا هو الخطر العظيم، و عموما المستغني عن مشايخ زمانه كالمستغني عن النبي في زمانه، و هو الذي قال لو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي.

قلت: أوّلًا الشاذ ليس دائماً "لا يقاس عليه". بل أحياناً يقاس عليه حين تعرف سببه وحقيقته. ومن أبسط الأمثلة على ذلك وجود الرسل. فإن وجودهم شاذ، وإمكانية بعث الله لرسول أمر شاذ في تاريخ البشرية. فالبشر بالمليارات لكن الرسل الأصول بالمئات. فلو كان كل شاذ لا يُلتَفَت إليه ولا يعتبر لوجب إنكار الرسل. ما ذكر الله تلك الحقائق في القرءان حتى لا نقيس عليها، وحتى نرفضها ونرفض من يأخذ بها. ثانياً لم يكن في كلامي دعوة إلى إنكار مشايخ الزمان، فقد قلت "بعض الناس يربّيه رجال عالم الشهادة" ومثّلت لذلك بقول الله لنبيّه "لتخرج الناس" ومفهومها عين ما ذكرته بأن منزلتهم تشبه منزلة النبي في زمانه من وجه. فكلامي ليس قطعاً للطريق، لكنه تكميل للطريق وفتح لآفاقه كما بيّنها الحق سبحانه. ثالثاً وجود النبي ونوره لم ينقطع بانتهاء حضوره الصوري الأرضي الخاص، فبعض الناس قد يبدو للغافل أنه بغير شيخ لكن في الحقيقة شيخه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلا ينبغي المسارعة في الإنكار على المسلمين. رابعاً على الحقيقة لا يوجد مسلم ينكر مشايخ زمانه ووسائل الهداية الإلهية جملة واحدة، هذا فرض لا واقع له، ولن تجد مسلماً واحداً إلا وهو يأخذ ببعض الوسائل التي ذكرها الله تعالى في كتابه وبيّنتها في كلامي الأوّل. وأما الظنّ بأن من يأخذ على غير يد شيخه هو، هو بمنزلة من لا شيخ له، فما هو إلا صلب اليهودية التي قال الله فيها "ويكفرون بما وراءه وهو الحق من ربهم". الحق أوسع من حصره ببعض الوسائل، والوسيلة أوسع من حصرها ببعض المشايخ، والمشايخ أوسع من حصرهم في طائفة معيّنة. "والله واسع عليم".

قال آخر جواباً عن ذلك: هي دعوى من أراد الانسلاخ عن أشياخ عصره لأهواء نفسه -ولا أقصد أحدًا بعينه-، ومن ادعاها فليقم الحجة على دعواه والله الهادي لنا ولكم.

قلت: ليس كل من لم ينتسب لشيخ بعينه فهو مدّعي بالهوى، فقد قال الشيخ الأكبر ابن عربي بأن "الأفراد" لا يدخلون حتى دائرة قطب الزمان وليس فقط هذا الشيخ أو ذاك من رجال عالم الشهادة. فبناء على قولكم، يصير حتى هؤلاء الأفراد العظام من أتباع هوى النفس، فالحذر الحذر. وأما تقديم الحجّة على الدعوى، فليس كل إنسان مكلّف بتقديم حجّة ترضي غيره عن ما يراه لنفسه أو حتى لو أخبر غيره به، تقديم الحجّة ليس شرطاً في كل باب خصوصاً في مثل هذه الأمور، فقد قال الله عن نبيّه "أفتمارونه على ما يرى"، وما تقوله أخي يدخل تحت جوهر هذه الآية، فأنت ترى أنه تجب ممارة كل إنسان على ما يرى، مطلقاً. وقد قال النبي في بعض المواضع "لا حجّة بيننا وبينكم" وآل به الأمر في مواضع أخرى إلى أن يرى المباهلة هي الحجّة الوحيدة. الخلاصة: ليس كل مدّعي هو مدّعي بالهوى، وليس كل صاحب دعوى في كل باب مُلزم بأن يقدّم لغيره حجج تناسب عقولهم وأحوالهم وإلا كان مبطلاً في نفسه. المقولتان لا دليل عليهما لا في قرءآن ولا في عرفان ولا في برهان. وأما إن قلتم: على ذلك سيدّعي كل شخص ما يشاء من مقامات علوية وغيبية ويضلّ الناس. أقول: هذا لا وجه للخوف منه، لأن

المدّعي إن قال أمراً فعليه تقديم الحجّة الكافية إن أراد إلزام غيره به، من كتاب أو سنّة. أما إن كان النور الذي يفهم به الكتاب والسنّة قد جاءه من غيب أو شهادة، فتلك قضية أخرى منفصلة عن هذه. فليس كل من له شيخ يُقبَل منه كل شئ، وليس كل من لا شيخ ظاهري بشري بالمعنى الخاص له لا يُقبَل منه أي شئ، كلاهما غير ثابت في الطريقة القرءانية المحمدية. وإنما هو أمر يقوله من أقوال الغلاة ممن يريد جعل الإسلام كنيسة، أو لا يحتمل أن يكون غيره على ما هو عليه بحسب الصورة. الإنصاف وسيلة تنزّل الألطاف. فعلينا بالإنصاف.

...

قال: شيخي أخبرني أن أتلو الحصون لأتخلّص من وساوس الشيطان.

قلت: الحصون تفيد عادة في الغفلة عن وساوس الشيطان، أما التخلّص من هذه الوساوس فيحتاج فوق الحصون إلى مجادلة الشيطان. تحتاج إلى النظر في ما يوسوس به، اقبله مبدئياً وتأمل فيه، وانظر في مضمونه ولا تخف. حين تحلّ الإشكالات الموجودة في الوسوسة، ستتخلّص نهائياً منها. وإن استطعت أن تجعل عين تلك الوسوسة سبباً للخير، فسيهرب منك الشيطان. اجعلها سبباً للخير بأن تنظر في مضمونها العلمي والعملي. ولذلك ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن شيطانه أسلم، وورد أن الفقيه أشدّ على الشيطان من ألف عابد، إذ بنور الوحي والعقل والفقه تستطيع أن تجادل شيطانك وتجعله إما يُسلم وإما يهرب منك لأنك تأخذ شرّه وتقلبه خيراً كما فعل سليمان "والشياطين كل بناء وغوّاص" فالشيطان يأتي ليهدم، وإن كنت سليماني القوّة تستطيع جعله يبني لك ووسوسته كالغوص في بحر المعرفة ويأتيك بالمواد الخام من البحر فانظر فيه واصنع به الأمور الجميلة. الهرب من الشيطان ضعف، والخوف من الشيطان ضعف. مواجهته ومجادلته هي القوّة. الوسوسة نعمة في ثوب نقمة.

...

قال بعض من قرأ كلامي: منشوراتك علميه وأردت ان اتعرف بك لذلك.

فقلت: يُعرَف الإنسان بروحه أو بجسمه. أما جسمي فلا ينفعك في شئ. أما روحي فهي ظاهرة في منشوراتي، فأنت تعرفني بقدر ما عقلت من كلامي.

قال: كلامك يدل على أنك متفلسف. تخلط في كثير من الامور الفلسفة معى التصوف الإسلامي.

قلت: القرءآن دلّنا على ثلاث طرق لمعرفة الأمور، وكل واحدة من الثلاثة مرتبطة أو يمكن أن ترتبط بالبقية، وصار لكل واحدة اسم خاص بعد ذلك وعلماء تعمّقوا فيها وأسسوا لها. الطريق الأوّل المكاشفة، وهو المعروف بالتصوف. الطريق الثاني التفكير، وهو المعروف بالفلسفة. الطريق الثالث الوحي، وهو المعروف بشيئين لوجود طريقان فيه أي النقل وعلم الكلام. والإنسان الكامل هو الذي يجمع الطرق كلّها. فقد يعرف الحقيقة بالكشف، ثم يفتح له مصدرها في الكتاب والسنة، ثم تأتيه الحجج الفكرية التي تدلّ عليها. هذا ترتيب، وقد يأتي للبعض الآخر الترتيب على صورة مختلفة. لكن الكمال هو الثلاثة، أي العرفان والقرءان والبرهان.

...

قال (ضمن ما قال): اذا آدم و حواء اخطأوا في الجنة فعاقبهم الله بالهبوط الى الأرض فما ذنب مليارات البشر لكي يعاقبهم الله على ذنب لم يقترفوه....لا و فوق كل هذا بعث لنا ابليس لكي يوسوس لنا من اجل ارتكاب المعاصي و الذنوب يعني فوق الموتة عصة قبر. لماذا لم يعاقب آدم و حواء فقط؟

قلت: سؤالك وتعليقاتك فيها معطيات وافتراضات.

المعطيات المهمة ثلاثة: (١) أنت تؤمن بالله إجمالًا لكنك لا تؤمن بالأديان. (٢) تقبل إجمالًا قصّة آدم والهبوط، وهذه القصّة وإن وردت في كل الملل تقريباً بصور متقاربة لكن بين الملل اختلافات في تفاصيل القصّة وهي تفاصيل مهمة أحياناً، والظاهر من سؤالك وكيفية نقاشك أنك أخذت ذلك الاعتراض من الملاحدة الغربيين الذين أخذوا بالقصّة على صورتها في التراث اليهودي-اليسوعي، وتحديداً اليسوعي، ومن هنا تركيزك على جانب "الذنب" وإلصاقه بعموم الناس وهي فكرة الخطيئة الأصلية في الملّة اليسوعية، إلا أنك في تعليقات أخرى تشير إلى النصّ القرآني ولذلك سنجيب بناء على القرءان، وحيث أنه من الضروري قبل تفسير النص أن نأخذ النصّ بكلّيته فلا تستطيع أن ترفض تكملة معنى القصّة من ذات النصّ الذي أخذتها منه وهذا ليس إحالة على التراث بالمعنى الأعمى لكنه تكميل للقصّة التي أخذتها أنت من ذلك النصّ. (٣) ترضى بحجّة العقل، إلا أنك لا تفصّل ما المقصود بالضبط من تلك الحجّية وأفهم أنك تقصد تناسق الأفكار واتفاق التفسير مع نصّ القصّة، وَ كذلك من المثل الذي ضربته وهو أثناء شرحك لمعنى العدل والظلم وما ذكرته من كون ظلم الجدّ لا يوجب في قضية العدل محاسبة الأولاد بذلك الظلم إذ لم يرتكبوه، بالتالي تقبل مبدأ قياس فعل الله على فعل العباد في الاحتجاج وتعتبره من "العقل".

الافتراضات: (١) العدل أن لا تعاقب غير المجرم نفسه مطلقاً. (٢) وسوسة إبليس شرّ مطلق للإنسان والغاية منه جعله يرتكب المعاصي والذنوب (٣) ما وقع لآدم وحواء هو عقوبة إلهية.

في ضوء ذلك أجيبك بما يلي: كل افتراضاتك باطلة، وبما أن الافتراضات التي قام عليها السؤال باطلة، فالسؤال باطل.

بيان ذلك:-

الافتراض الأوّل: العدل أن لا تعاقب غير المجرم نفسه مطلقاً. هذا باطل. والدليل عليه ما يحدث في الطبيعة. فأنت تقبل بناء على المعطى الأول الإيمان بالله، والله هو خالق هذا العالَم وما يحدث في الطبيعة والأسباب الطبيعية. فحتى إن لم تؤمن بالنصوص الدينية، لكنك تؤمن بالله وأنه خالق الطبيعة. حسناً، انظر في الطبيعة. ستجد أن الشخص قد يظلم لكن تجد أثر ذلك الظلم يمتدّ لغيره حتى ممن لم يشارك في ارتكاب ذلك الظلم. مثلًا، أمّ حامل بولد بريئ، تقوم الأمّ بالتدخين وتعاطي المخدرات وسوء التغذية والسهر، فيخرج الولد مريضاً أو مشوّهاً. هذا مثال بيولوجي. مثال اجتماعي، بنت ترتكب حماقة وتعربد وتمارس الدعارة، فتتشوّه سمعة أهلها بين الناس بالرغم من استنكارهم لفعلها ورفضهم لها وتربيتهم لها على غير ذلك. مثال سياسي (بناء على المعطى الثالث أنت تأخذ بالقياس)، امبراطور اليابان في الحرب العالمية الثانية وجماعته رفضوا الاستسلام للأمريكان وحلفاءهم، فتم إطلاق صاروخ نووي على أناس لا علاقة لهم باتخاذ قرار عدم الاستسلام وهم أهل هيروشميا وناغازاكي. والأمثلة كثيرة على المستوى الطبيعي أو البشري. فها هو الله خالق الطبيعة وسنن التاريخ ونحن نجد وقوع أثر علم الظالم على غير الظالم نفسه. والقرءان يصدّق هذا المعنى، فيقول مثلًا "اتّقوا فتنة لا تصيبّن الذين ظلموا منكم خاصّة" فتوجد بعض الفتن لا تصيب الظالم فقط بل تصيب العادل والصالح أيضاً، لأنها تعمّ الجميع والكل وإن كانت بسبب البعض والجزء. أصل الإشكالية عندك هنا-وهو جواب سؤالك بحصر المعنى-مبني على فكرة "ألا تزر وازرة وزر أخرى"، فأنت ترى أن آدم عصى، فما ذنب البقية في الهبوط؟ مضمون اعتراضك هو مفهوم العدل كما تجلى في آية "ألا تزر". لكن جوابك هو التالي وقد قاله الشيخ محيي الدين ابن عربي من قبل: هذه الآية لا تنطبق على الناس في النشأة الأولى بل هي للنشأة

الأخرى ويوم الحساب. يوم الحساب لا تزر وازرة وزر أخرى، أما في هذا العالَم فتزو وازرة وزر أخرى. يوجد مجالان فقط لا يتحمل فيهما شخص جريرة الآخر: حين يحاسب الله الناس يوم القيامة، وحين يقضي الإنسان العادل بين الناس. أما محاسبة الله فقال عنها القرءآن "وكلّكم آتيه يوم القيامة فرداً" "إنما تجزون ما كنتم تعملون". أما محاسبة الإنسان العادل فقال عنها القرءآن على لسان يوسف لإخوته "معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لمن الظالمين". ثم من وجه آخر، في الجنّة لم يكن لآدم وزوجه أولاد، بعد الهبوط لأرض الطبيعة جاء الأولاد، بالتالي سيكون للأولاد أبدان طبيعية ظاهرة، وهذه لا يمكن التخلّص منها إلا بالموت أو قتلها، فكيف يمكن إرجاع أولاد آدم "غير المذنبين" إلى الجنّة؟ هل نقتل كل طفل وهو صغير؟ إن حصل ذلك، كأن يموت الطفل، كما يعرف الجميع، فإنه يصير إلى الجنّة مباشرة، والسبب؟ نفس السبب الذي تقوله أنت، وهو أن الطفل لم يذنب في الهبوط لهذا العالَم، ولذلك الأصل فيه الجنّة. فالضرورة الوجودية تقضي بوجود أبدان طبيعية لأولاد آدم، وهذه الأبدان لا يمكن التخلّص منها إلا بالموت، فإذا مات الطفل قبل بلوغ الرشد رجع إلى الجنّة لأنه لم يظلم، لكن إذا كبر وصار له عقل فحينها يأتي التكليف كما جاء لآدم حين كان في الجنّة قال القرءان "لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنّة" فالتكليف واحد في جوهره. الخلاصة: افترضت مفهوماً للعدل ومفهومك مختزل. وَ لم تراعي الضرورة الوجودية لوجود أبدان طبيعية لأولاد آدم حيث أنجبهم وهو في الأرض. فجواب سؤالك باختصار: افهم العدل بشموله الحقيقي، وافهم الواقع كما هو وليس كما تشتهيه.

الافتراض الثاني: (٢) وسوسة إبليس شرّ مطلق للإنسان والغاية منه جعله يرتكب المعاصي والذنوب. والجواب عن ذلك: افتراضك باطل وذلك لأن وسوسة إبليس ليست إلا دعوة الإنسان لتصديق شئ أو لفعل شئ. دعوة، مثل دعوة أي إنسان لإنسان آخر لتصديق خبر أو تنفيذ أمر. وهذه الدعوة من وجه خير للإنسان، ولذلك يدافع العقلاء عن حرية التعبير بالرغم من أن تعبير بعض الناس سيكون فيه دعوة الآخرين للكذب والشرّ. لماذا هي خير؟ لأسباب كثيرة، من أهمها أنها تُظهِر حقيقة ما يعتقده الإنسان ويُبطنه. بيان ذلك: لو وِلدت أنت في بيئة ليس فيها إلا زواج رجل وامرأة ولا جماع إلا بين رجل وامرأة. ستكبر وأنت غالباً لا تعرف من نفسك إلا أنك رجل تشتهي المرأة. لكن هب أنك ذهبت إلى سان فرانسيسكو في أمريكا، وعشت بعد ذلك هناك، وبدأت ترى الشواذ هنا، فرأيت الرجل يشتهي الرجل، ولا مشكلة في هذه العلاقة في تلك البلاد. الآن، حين يدعوك رجل إلى نفسك ويروادك عنها، حينها سيتبينّ إن كنت أن فعلًا من "المستقيمين" أو من "المنحرفين". سيتبين للخلق وسيبتين قبل ذلك لك أنت نفسك. أنت لا تعرف نفسك بالتمام إلا حين يدعوك الآخر إلى غير ما أنت عليه. حينها تظهر حقيقتك وما استكن في باطنك يظهر في عقلك وجسمك وما حولك. وقس على ذلك بقية أبواب العلم والعمل. لذلك يقول إبليس لأهل النار "ما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم". وسوسة إبليس تمحيص لعقل الإنسان وإرادته. إظهار لما استكن فيها، وليس إحضار لشئ من الخارج وفرضه عليها. عدم تمييزك بين إظهار المستكنّ وبين الفرض القهري الخارجي هو ما جعلك تظنّ أن وسوسة إبليس شرّ مطلق، والحق أنها مثلها مثل حرية التعبير حتى لمن نختلف معهم، هي خير وخير عظيم للإنسان. ليس خير بمعنى أن كل إنسان سيرفض مضمون الوسوسة العلمية أو العملية، لكن خير بمعنى أنها ستظهر الحقيقة الكامنة. وكل ما يظهر الحقيقة خير عند الحق تعالى وأهل الخير. حتى لو كانت الحقيقة الكامنة كذب وشرّ. باختصار: دعوة إبليس مثل أي دعوة أخري يقوم بها الإنسان إن كان يوجد حرية تعبير في العالَم، ليست شرّاً مطلقاً، لأن الإنسان يعرف الحق بعقله ويطلب الخير بإرادته،

ودعوة الآخرين له تكشف عن عقله وإرادته. فإبليس لا يجعل أحد يرتكب المعاصي، لكن العاصي هو الذي يرتكب المعاصي. فهل إذا دعاك شاذ جنسياً-في المثال الذي ضربته- إلى المضاجعة في سان فرانسيسكو فرضيت أنت وقمت بذلك، يصير هو الذي "جعلك" تصير من الشواذ؟ كلّا. أنت فعلت ذلك، وهو لم يكن له سلطان عليك، لكنه دعاك وأنت استجبت. فكما أنك-حسب ظنّي-ترى حرية التعبير قيمة مهمة حتى لمن نختلف معهم، فاجعل إبليس من ذلك القبيل، اللهم إن وسوسة إبليس ميّزتها أنك لا تسمع صوت الوسوسة إلا من نفسك ولا تسمع إلا صوت نفسك. فبنور العقل وقوّة الإرادة يصير "كيد الشيطان كان ضعيفاً".

الافتراض الثالث: (٣) ما وقع لآدم وحواء هو عقوبة إلهية. النقد: نعم ولا. وذلك لا يتبيّن إلا بعد فهم نفس القصّة من القرءان قبل الاعتراض عليها (بناء على المعطى الثاني وهو استشكالك على القصة والقصة واردة في القرءآن فلابد من فهم أبعادها قبل الاعتراض عليها). خلاصة القصة: العالَم على أحد الاعتبارات له ثلاث مستويات، مستوى الروح العرشي ومستوى النفس السماوي ومستوى البدن الأرضي. هذه هي الآفاق الثلاثة للعالم، ومن هنا ورد في القرءآن "سنريهم آياتنا في الآفاق"، جمع أفق، وأقلّ الجمع ثلاثة. ومن هنا توجد كائنات روحية عرشية، وتوجد كائنات نفسية سماوية، وتوجد كائنات بدنية أرضية. أما آدم هو مجموع هذه العوالم الثلاثة. ولذلك قالت الآية "إني خالق بشراً من طين. فإذا سويّته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين". لاحظ ثلاثة: طين، سويّته، روحي. أما الطين فأرضي، أما الروح فعلوي عرشي. أما التسوية فقد شرح معناها في آية سورة الشمس "ونفس وما سوّاها". فالتسوية تشير إلى النفس وهي العالَم الأوسط بين الروح والبدن. وأحياناً يقال عن الروح، العقل. الشئ واحد له أسماء كثيرة. فآدم حتى حين كان في الجنّة، كان فيه بُعد أرضي، لكن البُعد الأرضي كان منطوياً في البِعد الروحي والنفسي، كما أن البعد الروحي والنفسي منطوّ اليوم في بني آدم في بُعدهم الأرضي. ومن أجل هذا الانطواء للبدن في النفس والروح قبل الهبوط، كان آدم يتزوج ويأكل في الجنّة، لكن كان ذلك متوفّراً له لا يعمل لكسبه، ومن هنا قال له أنه إذا عصى وهبط إلى الأرض سيشقى من أجل الكسب. فماذا كان آدم يفعل في الجنّة؟ كان يتم إعداده للنزول إلى الأرض. الجنّة لم تكن فترة نعيم لكنها فترة إعداد. والجهل بهذه الحقيقة سبب حدوث الاستشكال عند الكثير. النعيم لن يكون في النشأة الأولى، بل سيكون في النشأة الأخرى. النشأة الأولى لأهل السماوات والأرض هي فترة ابتلاء، والنشأة الأخرى هي فترة الحساب. آدم في الجنّة كان يتم إعداده لخلافته في الأرض التي قال عنها الله قبل خلقه "إني جاعل في الأرض خليفة". لكن حين عصى آدم، جعله الله يهبط إلى الأرض ليشقى من جهتين. من جهة في تحصيل المعرفة بالنظر بدلًا من تحصيل العلم بالتعليم الإلهي اللدني حين كان في الجنّة "وعلّم آدم الأسماء". ومن وجهة أخرى في تحصيل المعيشة بالكسب بدلًا من تحصيل الرزق بالوهب الإلهي حين كان في الجنّة "إلا لك ألا تجوع فيها". ومن هنا بعد الهبوط صار الله يقول لبني آدم "انظروا ماذا في السموات والأرض" و يقول "لعلهم يتفكرون" هذا في باب المعرفة. وأما في باب المعيشة فقال "فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه". انظروا ، امشوا. صارت الأرزاق الظاهرة والباطنة بالكسب، بعد أن كانت بالوهب. والابتلاء هو الابتلاء في الجنّة وفي الأرض. لأن الابتلاء هو في المعرفة وفي طاعة الله، سواء كان في الجنة أو في الأرض لا يهمّ من هذه الجهة. بالتالي، لم يكن الهبوط "عقوبة" لكنه كان "تشديد للابتلاء من جهة واحدة لا من كل الجهات". مثال بسيط على الفرق بينهما لتقريب الفكرة لمن لم يعقلها بعد: تصوّر أنك في امتحان رياضيات، وسمح لك الأستاذ إدخال آلة

حاسبة، ثم أثناء الامتحان ارتكبت أنت خطأ معيّناً فأخذ منك الأستاذ الآلة الحاسبة، فبعد أن كنت تحسب بسرعة صرت مضطراً إلى الحساب بتشغيل ذهنك، والامتحان في جوهره هو الامتحان. "الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملًا" هذا البلاء كان لآدم في الجنّة وفي الأرض، جوهره واحد. لكن الفرق في تحصيل المعرفة والمعيشة بالوهب أم بالكسب، أما بعد حصول المعرفة والعيش ماذا ستفعل؟ هنا الابتلاء، وهو واحد في الحالتين.

نتيجة البحث: سؤالك جيّد، لكنه مبني على افتراضات باطلة، أحسب أنها ناشئة من أنك أخذت هذا الاعتراض من النظر في أقوال الملحدين الغربيين وليس من تأملك في القرءان نفسه. السؤال المبني على افتراضات خاطئة هو سؤال خاطئ. وعدم وجوب جواب للسؤال الخاطئ لا يعني عدم وجود جواب أو أن الناس لا عقول لها، لكن يعني أنك لم تعقل الأمر بعد ورسمت صورة لا جواب لها لأنها باطلة من الأساس. والسلام.

علّق أحدهم: المنشور طويل طويل ولكن قصدك في النهايه ان الالحاد له اسباب و فنادها لنقتع به ؟ او لنسخط عليه في نظرتك الشخصيه ؟ وعموما حسيت موضوع الالحاد سيصبح راىء عام في زمن قريب !!

فأجبته: الإلحاد له أسباب مثل أي شئ آخر. لكن أسبابه باطلة، وهي إما ناشئة عن اختزال في فهم الشئ أو النصّ (يعني لا يفهمون كل النص من كل أبعاده، فتنشأ لديهم إشكالات فيظنون أنهم قد "عرفوا حقيقة" وهم لم يعرفوها). وإما ناشئة عن تقليد أعمى لأشياء قرأوها عن بعض الغربيين الملحدين ويظنون أنها تنطبق على طريقتنا القرءانية المحمدية ودين الإسلام وليس كذلك (مثال: ما ورد في المقالة أعلاه). أو ناشئ عن إرادة سياسية-تجارية بحتة (لأن الإلحاد يعني المادية، والمادية تؤدي إلى تركيز الطاقة في الماديات، وتركيزالطاقة هذا سيؤدي إلى الاستهلاك المحموم، والاستهلاك يؤدي إلى أرباح وهو المطلوب). وما أشبه. لا أعرف إلى الآن سبب واحد قوي للإلحاد. ولا زلت أبحث.

...

قال: لماذا تختلف طوائف وأديانا باسم الله ؟ أليس المفترض أن ننفتح كلّنا على الله؟

قلت: لأن الله أكبر من أي طائفة أو دين ليحيط بحقيقته من كل وجه. ولو تأملت ستجد أن لله تعالياً وتجلياً. ومن حيث تعاليه له الأسماء الحسنى الكثيرة. ومن حيث تجلّيه توجد مراتب للعالَم، وفي كل مرتبة مظاهر وأشعة لنوره الواحد العالي. وتختلف الطوائف إما لأن بعضها يركّز أكثر على تعالي الله دون تجلّيه، والبعض يركّز على تجلّيه أكثر من تعاليه. والذين يركّزون على التعالي مثلًا، يختلفون من حيث التعلّق بأسماء، فبعض الطوائف يتعلّق أكثر بأسماء الكمال فتجده غارق في التجريد والتنزيه، والبعض أكثر تعلّقاً بأسماء الجمال فتجده أكثر تسامحاً وقبولًا، والبعض الثالث أكثر تعلّقاً بأسماء الجلال فتجده أشدّ وأقسى من غيره. وهكذا يختلفون في كل اسم اسم. ثم على مستوى التجلّي، تجد أن البعض يتمحور حول التجلي الروحي العرشي، والبعض حول التجلي السماوي النفسي، والبعث حول التجلي الأرضي الجسماني. وهكذا الاختلاف في الله وبالله وعلى الله، وما عبد العابد إلا الله كما قال أهل الكشف والوجود والتحقيق الناظر في الأمر كما بلا شرط أو قيود.

اختلاف الطوائف كاختلاف الأشجار والألوان والألسنة والوجوه. وإن كانت "تُسقى بماء واحد". لكن "نفضل بعضها على بعض في الأكل" والتفضيل في الأكل مبني على مراج الآكل وليس على طبع المأكول، فكل مزاج يميل إلى طبع خاص. فتجد الإنسان القاسي في نفسه يميل إلى الطائفة ذات

التوجّه القاسي. وتجد المفكّر العبقري يحبّ الطوائف ذات التعمّق الفلسفي. وهكذا بحسب ما يغلب على كل مزاج.

فعلى عكس ما قاله السيّد، فإن الانفتاح على الله يوجب وجود الطوائف الكثيرة بالضرورة. "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" "لكل أمّة جعلنا منسكاً هم ناسكوه". الانغلاق والبعد عن الله هو الذي يوجب التحجّر والانحصار، وكذلك القهر على الأديان والإكراه في الدين يوجب حصر الناس في لون واحد، ثم بالضرورة يبرز النفاق لأن قلوب الناس تأبى الانحصار في لون واحد بالضرورة. الجرم والظلم ليس وجود الطوائف، لكن رغبة كل طائفة في إبادة غيرها، وهذا من عين الانحصار المرفوض وغير المنفتح على الله. المنفتح على الله يقول كما قال القرءان "لا حجّة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير".

نعم، الإنسان الكامل هو الذي يجمع نور الطوائف والأديان كلّها في ذاته، ويكون على "دين الله"، وهو الدين الجامع بين التعالي والتجلي، وبين مراتب العالم كلّها، وعلى ترتيب معيّن ونسق يعكس الوجود، فيكون هو مرآة الوجود. وليس كل إنسان يتفعّل فيه هذا المقام المحمود الأعظم. بل لا يكاد يجمع ذلك ويحققه واقعياً إلا الواحد بعد الواحد وأفراد قلائل جدّاً في هذا العالَم لا تُبنى عليهم قاعدة عمل وتعامل. ومن وجه ءاخر، يستحيل الأخذ بكل شئ ممكن دائماً، فالذي يأخذ بشئ يرفض أشياء أثناء أخذه بذلك الشئ الأوّل. فتكون النتيجة الضرورة وجود تعدد في الطوائف والملل، هذا ما يقضي به الكشف والنصّ والعقل.

...

أ-إشكالنا على قصة ءادم:

كان ابتلاء ءادم في الجنة أسهل من ابتلاء بني ءادم في الأرض. السهولة على الأقلّ من أربعة وجوه: الوجه الأول كسب المعرفة, فإن معرفة ءادم بأمر الله تعالى وشرعه كان مباشراً لكن يحصل لعموم بني ءادم بواسطة الرسل, والمعرفة المباشرة أسهل من حيث الإدراك ومن حيث معرفة الحجّية من المعرفة بالواسطة, لأن الظهور الذاتي أظهر من الظهور بواسطة الغير وهذا بديهي. الوجه الثاني كسب المعيشة, فإن بني ءادم في الأرض يشقون في كسبها والحفاظ عليها والتوسل إليها وإعمال الحيل لتحصيلها وهذا فيه ما فيه من ابتلاء على أكثر من مستوى منه التفرغ لتحصيل المعرفة ومنه الضرورات التي تجلب المحظورات أو تفتح بابها وما أكثر ما نافق الناس وكفروا من أجل كسب المعيشة لهم ولأزواجهم ولعيالهم وعوائلهم, بينما لم يجد ءادم مثل ذلك بسبب ما توفر في الجنة له وأبيح له منها ووعد الله المباشر له بالاطمئنان على رزقه "إن لك ألا تجوع فيها". الوجه الثالث وجود العداوة الكثيرة العنيفة, فإن ءادم في الجنة لم يكن له إلا عدو واحد وكان من غير جنسه, وهذا العدو الواحد كان لطيفاً أي يظهر عداوته بالوسوسة والكلمة, أما بني ءادم فأعداءهم كثر ومن نفس جنسهم ويعادون بالأسلحة أكثر مما يعادون بالكلمة. الوجه الرابع ظهور النور الإلهي, فإن النور الإلهي أظهر كلما علت درجة الموجود, وأخفى كلما نزلت درجته, وحيث أن الجنة أعلى من الأرض ولقوله "اهبطوا منها", فالناتج أن ظهور النور أجلى في الجنّة منه في الأرض, فيكون أقرب للعقل والمعرفة والقبول, بينما بني ءادم في "أسفل سافلين", وهذا حجاب أكثف بكثير جدّاً ويكاد يبلغ الغاية في المحجوبية فالجهاد اللازم منهم أكبر بكثير جدّاً من ذلك الذي كان لآدم. الحاصل: أين العدل الإلهي في الابتلاء, لماذا ءادم يعصي فيصعب الامتحان على بني ءادم ولا يصعب عليه هو وحده؟

ب-الحلّ المجمل:

لا نُسلّم بأن ابتلاء ءادم كان أسهل من كل وجه بل ابتلاء ءادم كان أسهل من وجوه وأصعب من وجوه. هذه الدعوى الأولى. الدعوى الثانية يوجد عدل إلهي حتى في الوجوه الأربعة المذكورة.

ج-الاحتجاج للدعوى الأولى:

رؤية ءادم لكل تلك الكرامة الإلهية والملائكية من أوّل وجوده وحدوثه جعله أقلّ تمسّكاً بتلك الكرامة وأكثر جرأة على مخالفة لوازمها. فمن المشهود أن النفس التي تتربى على النعمة من أول يوم تكون أقلّ تقديراً لها من النفوس التي تبدأ مسيرتها بصعوبة وقلّة ثم تجد النعمة تدريجياً. والنفس وثّابة إلى ما لم تنل أكثر من تمسّكها بما نالت. أما بني ءادم, فيبدءون حياتهم في صعوبة عادة وقيود الأرضيات وحدود الطبيعة, فتكون نفوسهم أشدّ استعداداً لقبول الوجود الأشرف والأكمل من هذا الوجود الطبيعي بكل موته ومرضه وآفاته وكدره. السافل أشد رغبة في الصعود من رغبة العالي في التمسّك بأسباب علوّه. ومن أمثلة ذلك ما تجده من تخيّر بعض الأغنياء بين أصناف الطعام وتركهم الإرادي أحياناً لأصناف كثيرة لذيذة وطيبة منه ويزهدون مع وجدانهم في اللحم مثلًا أو الحلويات أو غيرها, بينما تجد بعض الفقراء يأكلون ولو من المزابل. لأن ءادم لم يرى إلا الجنة فكان أشد استعداداً لتركها, لكن بني ءادم بدأوا برؤية الطبيعة والشعور أو بالسماع بالجنة فهم أشد استعداداً لطلبها. ويكفي هذا الدليل لرد فكرة السهولة المطلقة لآدم والصعوبة المطلقة لبني ءآدم.

شاهد آخر هو أن ءادم كانت حياته أصعب من بنيه, لأن ءادم ذاق الجنة ثم هبط إلى الأرض, لكن بني ءادم لم يذوقوا الجنة وهم يرجونها, وعزيز القوم حين يتعرض للذل تكون مصيبته أعظم بكثير من ذليل القوم الذي لم يذق العز وهو يستشرفه ويتطلع إليه. فمن هذا الوجه, الكدر في نفس ءآدم أشد من الكدر في نفس أولاده.

د-الاحتجاج للدعوى الثانية:

بالنسبة للوجه الأول, كسب المعرفة, فإن الإنسان حتى وهو في الأرض يمكن أن ينال المعرفة المباشرة من لدن الله تعالى كما حصلت لآدم. ثم إن العبرة من المعرفة حصول البيّنة, إذ الوجه الأول يدور على وضوح دلالة كون الأمر من الله تعالى, أي على البيّنة, وقد قال تعالى بأنه يرسل رسله بالبيّنات وأن الهالك لا يهلك إلا عن بيّنة وهو لا يعذب أحداً حتى يبعث الرسل بالبيّنات, فإذا حصلت البيّنة عند الإنسان سواء كان في الأرض أو في السماء فقد حصل له جوهر ما حصل لآدم "سيريكم آياته فتعرفونها" هو تعالى الذي سيريكم وهو المتكفل بذلك, فإذا وقع ذلك فلا فرق بين آدم وبين بني آدم. وبعد, فإن حصول المعرفة بأكثر من طريقة ودرجة أكمل من حصولها بطريقة واحدة وبدرجة واحدة, لأن الشهود الإلهي يختلف باختلاف الصورة التي تجلى فيها, فمن حصل له التكليم الإلهي بالوحي فقط أقلّ كمالًا ممن حصل له بالوحي ومن وراء حجاب وبإرسال الرسل الملائكيين والإنسيين ومن هذه الحيثية يكون الهبوط للأرض فتح أبواباً أكثر للمعرفة لم تكن لآدم. وبعد, فإن العدل يتجلى في التعويض, وذلك لأن احتياج بني ءادم لبذل جهد أكبر في تحصيل المعرفة يجعلهم أجرهم أكبر من أجر ءادم, ويشهد أيضاً لهذا المعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم في المعراج رأى آدم في السماء الأولى ورأى بقية الأنبياء من ولده فوقه في الدرجة فكان إبراهيم في السابعة.

بالنسبة للوجه الثاني, كسب المعيشة, فإن ابتلاء ءآدم كان أيضاً له بُعد معيشي, وذلك لأنه تعالى أمره بنوع من المعاملات ونهاه عن نوع منها فقال "كلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين". ومن صلب الابتلاء الابتلاء في كسب المعيشة. العبرة في الابتلاء وجود الطاعة بحسب

الاستطاعة. وهذا مفتاح يحل كثير من الإشكالات. السهولة والصعوبة ليست جوهرية, لأن الكلام كل الكلام إن كانت الاستطاعة موجودة أم لا, فإن كانت موجودة كان التكليف موجوداً بالتالي لا حاجة للكلام في الصعوبة والسهولة, وإن كانت الاستطاعة غير موجودة كان التكليف معدوماً وحيث أنه معدوم فلا حاجة للكلام في السهولة والصعوبة. وبعد, كثرة الابتلاءات في كسب المعيشة يدخلها العدل الإلهي والفضل الإلهي من حيث أنها أبواب متعددة للطاعة وظهورها على العبد بالتالي تكون أسباباً لرفعة درجاته من حيث أن لكل طاعة درجة.
بالنسبة للوجه الثالث, العداوة الكثيرة العنيفة, فإنها أيضاً محلاً للابتلاء بالتالي هي سبب رفعة الدرجات وظهور الطاعات. ثم هي باب لوجود الاستشهاد في سبيل الله ومن أجل الدعوة إلى الله فتكون كفارة ومنجاة ويتحمل المعتدي الظالم إثم المقتول, ويأخذ المظلوم من حسنات الظالم. وبعد, هي تذكير بالجنة وأحد أسباب السعي لها والذي يسهّل على الإنسان الزهد في الدنيا وعدم الإخلاد إليها والسعي إلى الحيوان الأعلى في الجنة.
بالنسبة للوجه الرابع, ظهور النور الإلهي, فيدخله العدل من حيث التعويض, ولذلك ورد أن في آخر الزمان حيث تشتد الظلمات يكون أجر الواحد مثل أجر خمسين ممن كانوا في أوّل الزمان حيث النور أظهر والأعوان على الخير أكثر, نفس المبدأ ينطبق على الفرق بين آدم في الجنة وبني آدم في الأرض, فإن الحاجة إلى الجهاد الأكبر لمشاهدة النور الإلهي تجعل العدل الإلهي يقضي بأن بني ءادم إن عرفوا النور وهم في ظلمة الطبيعة كانوا أعلى في سماء المعرفة من ءآدم وهو في الجنة والمعراج النبوي شاهد على ذلك.
هـ- الخلاصة:
العدل الإلهي حاضر, ويظهر في التعويض. فإن كان أمر ءادم أفضل من وجوه فإن أمر بني ءادم أفضل من وجوه. "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم".

...
دخل كلب على أسد في عرينه، فقال له "أنا خير منك وأقوى".
قال الأسد {لماذا وكيف}.
قال الكلب "لأني إما مسعور حرّ لا بيت لي يقيّدني، وإما أليف أسكن مع البشر والبشر خير من الحيوانات".
قال الأسد {يا صاحبي قد أصبت الوصف وأخطأت التسمية. أنت تسمّي الفقر حرية والذلّ عزّة. أنا لي بيت لأني أقدر على الدفاع عنه بينما أنت عاجز، ولا يصحبني الناس لأنهم لا يصحبون إلا من هو مثلهم أو دونهم ومن يملكون السيطرة عليه أما أنا ففوقهم ولا أفتقر إليهم في تحصيل رزقي}.
قال الكلب "وأي قيمة للحرية والكرامة إن كنّا سنموت".
قال الأسد {سؤالك هذا هو الذي يجعلك كلباً ويجعلني أسداً. نعم سنموت، لكن حياتي خير من موتي بينما موتك خير من حياتك. نعم ستموت أبداننا مرّة، لكن أنت تموت في نفسك في اليوم ألف مرّة. زئير الحرّ وهو يموت خير من نباح الكلب وهو يعيش}.

...
لا يفرح أتباع الطريقة المحمدية بشئ مثل أن ينالهم من الخير والشرّ مثلما نال إمامهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن ذلك، ولله الحمد، أني دُعيت مجنوناً مرّة، ودعيت غير ذلك ورميت بما رمي به

سيدي عليه السلام، واليوم والحمد لله والمنّة رُميت بسرقة الكلام بعد أن أجبت على سؤال المنتقد قصّة ءادم عليه السلام فزعم أني سرقت الكلام من غوغل وجئته به، ففرحت بذلك أيّما فرح، ثم تحدّيته أن يأتيني بأي مصدر بحثي أو كتابي قديم أو معاصر فيه تلك المقالة التي أجبته بها وله منّي ما يشاء فتهرّب وهو المتوقّع. لكن لا أبالي بهذا الرمي، الذي أحببته هو موافقة النبي في رميه بسرقة الكلام من غيره وإملاء غيره الكلام عليه وأنه ليس له إلا اكتتاب القرءآن من غيره. هذا أحد الأسباب بالمناسبة الذي يجعلنا من أنصار عدم تقنين البيان، لأن ما يظنّه خصومنا شتيمة يهينوننا بها هو في الحقيقة لنا أوسمة شرف يذكّروننا بها بفضل الله علينا وحسن متابعتنا لنبيّنا.

تكملة: قبّح الله تقنين البيان، فإنه لولاه لكنّا نشرنا كل ما كتبناه أوّلًا بأول، لكن لله الأمر من قبل ومن بعد. لا أدري والله ماذا سيحدث لو كتب الله لي نشر هذه الكتب أثناء حياتي، كيف سيصدّق الناس أن شابّاً عمره لم يتجاوز الثلاثين قد كتب أكثر من خمسين كتاباً في نفس الوقت الذي يشتغل فيه لمعيشته ولا يتكسّب من قلمه ولا دراسته. لا أستغرب إن قيل "أعانه عليه قوم آخرون" و "اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلًا" (مع حفظ الفروق طبعاً). نسأل الله حفظ هذا الخير ونشره في الناس ونفعهم به، فإن انتفاع واحد خير لنا مما طلعت عليه الشمس من فوق ومن حمر النعم من تحت.

...

اشترت زوجتي قبل بضعة أيّام شيئاً تغسل به شعرها، لكن الجديد في الأمر أن الشركة المنتجة تطلب من الزبون تقديم وصف لشعره وَ رغبته، وبناء على الصفة والرغبة يصنعون له المنتج المناسب له. أعجبني ذلك ورأيت أن العلماء يمكن أن ينتفعوا بهذا النمط. وهو أن يطلب العالِم والمفتي من السائل والمستفتي أن يقدّم له صفته ورغبته، بمعنى أن يشرح له مستوى عقله الحالي وظروفه الواقعية، ويطلب له ما الذي يريد الوصول إليه، ثم بناء على ذلك يصوغ له جواباً ويضع له دليلًا يناسبه. وقد يقول له: أريد الجواب شعراً أو سجعاً أو نثراً. وقد يقول: أريد أن تسرد لي المصادر. أو: أريد تحصيل رتبة الاجتهاد في هذه المسألة فدلّني على الطريقة. توجد فوائد كثيرة لمن يتأول باطن ما عليه أهل الأعمال الظاهرة.

ومن ذلك-،حيث أني ذكرت زوجتي-فقد أخذتها إلى المستشفى بالأمس لحالة خطيرة كانت عليها بسبب لدغة مسممة من حيوان في البحر لم ندر ما هو وكادت تفارق الحياة. بعد أن قضيت أربع ساعات من الليل وأنا نعسان في التنقل من مستشفى إلى مستشفى بمجمل خمس مستشفيات، أخذتها إلى المستشفى الخامس الساعة الثالثة صباحاً تقريباً، ونحن في غرفة الطوارئ رأيت على جدار الغرفة لوحة مكتوب عليها (حقوق ومسؤوليات المريض) فلما قرأتها وجدتها تنطبق باطنياً على مرض الروح والقلب وتنفع لبيوت الطريقة وزوايا أرباب التزكية. لعلّي أكتب فيها مقالة تفصيليلة إن شاء الله في يوم من الأيام ونقابل بها بين الشفاء الظاهر والشفاء الباطن. تأملها بنفسك وسترى بإذن الله.

...

قال: لماذا يفرح الناس في بلادنا بخلفة البنين ويكرهون خلفة البنات؟

قلت: ذلك لأن الأسرة والقبيلة في العصر قبل الحداثي كانت أشبه بالدولة الصغيرة. والدولة تحتاج إلى أقوياء ليدافعوا عنها ويرفعوا أمرها بالسلاح أو بالقلم. وحيث أن أبدان الرجال أقوى عادة من أبدان النساء، واشتغال الرجال في تلك الأيام كان بالعلوم أكثر من اشتغال النساء، فالنتيجة أن الرجل أقدر عادة على تمكين الدولة الصغيرة ورفع قيمتها من المرأة. أما في هذا الزمان، وحيثما تنتشر أساليب العيش الحداثية، أي حيث تصير "الدولة" هي القبيلة الجديدة الكبيرة، حينها ستصير مؤسسات الدولة

بمثابة أفراد القبيلة، والمؤسسة لن تعتمد على هذا الشخص أو ذاك بقدر اعتمادها على الكمّيات الهائلة من الناس التي تتابع عليها وتغذّيها وسيخرج من يقيم أمرها بدون الاعتماد على شخص بعينه لوجود الكثير ممن هو مؤهل للقيام بوظائفها. فالجيش مثلًا يصير هو "عنترة" الجديد، و"الجامعة" تصير مصدر لأرباب القلم والعقل، وهكذا لا تحتاج إلى الاستنجاد بفلان أو علان في حال دخل حرامي إلى بيتك لكن تتصّل بالشرطة و "الشرطي" سيأتيك (هو "شرطي" مجرّد بالنسبة لك، أي لا تبالي بشخصيته لكن تنظر لوظيفته وهو يقوم بها بغضّ النظر عن المخدوم عادة). وكذلك إن مرضت تذهب إلى المستشفى، وإن احتجت إلى قرض تذهب إلى البنك، وهكذا حاجات الناس التي كانوا يحتاجون فيها إلى نظام القبيلة القديمة تم استبداله بنظام أكثر تجريداً وسعة وإتقاناً وهو الدولة الحديثة. ولذلك من أهم ما أفرزته هذه الدولة هو ما صار يعرف باسم "تفكك الأسرة" وهذا أمر طبيعي ومتوقع. لأن الناس حتى من قديم الزمان ما كانوا يهتمون كثيراً بالأسرة من أجل حبّ الأسرة، لكن من أجل الضرورة والحاجة والرغبة في الحماية أو المال أو ما أشبه ذلك من ضروريات العيش وكمالاته. فإذا وجد كيان جديد يحلّ محلّ تلك الأسرة والقبيلة، فالمتوقع-والحاصل-هو انتقال السلطة الجديدة للدولة الكبيرة، وفي هذه الدولة كما في القبيلة القديمة يوجد رابط نسب (ابن الدم، ابن البلد، الجنسية)، أو رابط حلف وولاء (الغريب المقيم بإقامة شرعية بإذن شيخ القبيلة الجديدة وهو الحكومة). في الدولة الحديثة المعاصرة القوّة أكثر للعقل والالتزام والقدرة على المواظبة على الوظيفة والصبر، وهذه صفات موجودة في الرجل وفي المرأة وقد تكون في النساء أكثر منها في الرجال، ولذلك رويداً رويداً سيتم التمكين للمرأة في الدول كما يحدث اليوم غرباً وشرقاً. وحين يصل الأمر إلى حدّ معيّن، لن يصير الناس يفرحون بولادة الابن أكثر من ولادة البنت، بل قد يحبّ بعضهم ولادة البنت أكثر من الابن لكونها أصلح للوضع الجديد وأكثر برّاً بأهلها عادة وأقرب للقلب والرحمة من كثير من الذكور. الوضع الحاصل في بلادنا بدأ يزول فعلياً في كل المناطق التي تمكّنت فيها الدولة الحديثة وترسّخت مؤسساتها، وسيصل إلى الأطراف والأماكن النائية شيئاً فشيئاً ويرسخ هناك أيضاً، أو هكذا نحسب والله أعلم.

...

قال: قال ابن عبد البر في كتاب " جامع بيان العلم " : قال عبد الرحمن بن مهدي : الزنادقة والخوارج وضعوا حديث : (ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله , فإن وافق كتاب الله فأنا قلته , وإن خالف فلم أقله) .هذا الكلام الذي يتناقله منكرو السنة .كلامهم هو امتداد للخوارج ! فالخوارج أول من أنكر السنة. بئس الخلف لشر سلف .

قلت: الدعوى غير صحيحة. الدليل الأول: الإباضية هم "الخوارج" المعاصرين (حسب ما يظنّ أكثر الناس). حسناً. انظر إلى تراث الإباضية وانظر إن كانوا ينكرون السنّة أم لا؟ لا تذهب بعيداً، عندهم كتاب لمحدّث لهم اسمه الربيع وفي نفس المسند ينقل حديث عرض الروايات على القرءان. ولا تعارض بين العرض على القرءآن وبين قبول السنّة النبوية. لا أقلّ لا تعارض عند العلماء بالقرءآن وبالسنة الحقيقية. الدليل الثاني الشيعة الإمامية. عندهم كتب روايات إلى ما شاء الله، وموسوعة البحار للمجلسي مئات الآلاف من الأحاديث عن النبي وأئمة أهل بيته، ومع ذلك تجد عندهم رواية العرض على القرءآن. مرّة أخرى، لا تعارض بين العرض على كتاب الله وقبول السنّة النبوية. التعارض موجود عند الجهلة فقط ومن لم يفهم حقيقة العرض وكيفيته وسعة القرءان وعمق معانيه وترابطها وكيفية إرجاع معاني المتون الروائية إلى مصادرها القرءانية. الدليل الثالث أن عمر بن الخطاب وعائشة بن أبي بكر وغيرهم-في روايات صحيحة معروفة-كانوا يعرضون بعض ما يشكّون في نسبته إلى رسول الله على كتاب الله ويرفضونه إن

رأوا أنه خالف كتاب الله. فالدعوى ساقطة من كل وجه، إلا أن يكون علي وعمر وعائشة وابن عباس وكل صحابي رفض رواية لمخالفتها لكتاب الله حسب علمه وظنّه هو أيضاً من الخوارج، وأحسب أنكم لا تقولون بذلك.

...
سأل عن قوله تعالى "من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى": هل هناك منزلة بين الموت والحياة؟ فإن لا من القوانين الكبرى للعقل هي الوسط المرفوع وهي أن الأشياء إما أ وإما ب.
فأجبت: القرءآن يجمل في مكان ويفصّل ما أجمله في مكان آخر. فقوله تعالى "فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى" (لاحظ الترتيب)، شرحه في موضع آخر فقال "والذين كفروا لهم نار جهنّم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يُخفف عنهم من عذابها" (لاحظ نفس الترتيب، ذكر الموت أوّلًا ثم ما بعده). فإذن قوله "لا يحيى" المقصود به ليس الحياة بالمعنى الذي يقابل الموت والعدم، لكن الحياة بمعنى حياك الله والتحية والحياة في قوله "استجيبوا لله والرسول إذا دعاكم لما يحييكم" (بالتأكيد لا يقصد الإحياء المقابل للعدم). فمن معاني الحياة تخفيف العذاب، ومن معانيها زيادة اللذة والخير والنعيم، وكلاهما مما لا يناله أهل جهنّم والعياذ بالله. فلا تناقض ولا وسط مرفوع في القضية. الشئ قد يكون أ وب لكن من جهتين وبالنسبة إلى شيئين مختلفين، مثل الشهيد حي بالنسبة لأهل السماء وميت بالنسبة لأهل الأرض، فهو حي وميت في آن واحد لكن من جهتين، والتناقض لا يقع إلا بشروط لعلها تبلغ السبعة أو التسعة إذا كان ثمة تناقض من كل تلك الجهات واستوفت الشروط المنطقية فحينها يكون تناقضاً، وهذا ليس في كتاب الله مطلقاً.

...
{ومن يتولّ فإن الله غني حميد} أي اسم الله الغني الحميد هو السبب في وجود الذين يتولّون عن أمر الله ويبتعدون عنه. وليس حيث يذهب البعض من تفسير الاسم بالتولّي، بل تفسير التولّي بالاسم هو الحق.

...
قال (يشير إلى الإسلام) : تخيل لو أن رجلًا صينياً جاء بكتاب صيني يدعي أنه لا أحد من الصينيين يستطيع الإتيان بمثله ثم أمر أتباعه بغزو العالم وإقامة دولة تحكم العالم وتفرض شريعته, فهل يكون هذا الشخص عاقلًا ومحترماً؟
أقول: أوّلًا لا ملازمة بين خصوصية الإعجاز وعمومية الرسالة وإقامة الدولة. لأن الإعجاز مبني على اللغة وفهمها, لكن الرسالة معاني وأحكام يمكن تجريدها وتنزيلها بكل لغة والدولة يمكن أن تحكم بغض النظر عن المعلومات التي قامت عليها واقتناع عموم الناس هذه المعلومات إذ الدولة تقوم على الأمر الإكراهي وليس الأمر الطوعي. فقد يأتي الرجل الصيني ويكسب الأتباع من الصين الذين يفهمون أحكامه, ثم يقيمون دولة تحكم دول أجنبية أخرى لا تفقه حرفاً صينياً ويستعملون رجالًا من الصين عليها. لأن الرسالة غايتها الآخرة أما الدولة فغايتها الدنيا, فقد يقتنع أتباعه بأمر الآخرة فيقيمون له أمر الدنيا لكن بقية الناس من الأجانب والأغيار يكتفون بطاعتهم والخضوع لهم في أمر الدنيا. مثال ذلك الانجليز حين حكموا الهند, فإن الغالبية العظمى من الهنود لم تكن تفقه حرفاً انجليزياً ولا الفلسفة الإدارية والقانونية التي قام عليها النظام الانجليزي ولا يؤمنون بأن ملك الانجليز هو رأس الكنيسة والدولة في آن واحد ومعنى ذلك بالضبط ومع ذلك أقاموا عليهم دولة حكمت أكثر من مائة سنة. الأتباع من الصين أخذوا

بكتابه لأنهم عرفوا إعجازه, لكن الأتباع من غير الصين خضعوا لدولته لأنهم رغبوا في خير دولته وخافوا من سطوته. لا ملازمة معتبرة بين الأمرين.
ثانياً بالنسبة للإسلام, أنت تفترض أن عبارة (أمر أتباعه بغزو العالم وإقامة دولة تحكم العالم وتفرض شريعته) هي عبارة صحيحة وصادقة في نفس الأمر, بينما في الواقع هي إما مختلف فيها وإما باطلة قطعاً. المسألة ليست بهذه السهولة والسذاجة التي تذكرها. في كتاب الله يوجد فرق بين الأمر الطوعي والأمر الإكراهي. مثلًا عدم الغيبة أمر لكنه أمر طوعي لأنه مبني على وجدان المؤمن وتعقله وإرادته. أما السرقة فأمر إكراهي لأنه مبني على معاقبة الإنسان الذي يرتكبها في نفسه وماله شاء أم أبى بالقهر. لو تأملت بعد هذا التفريق الأساسي والضروري والخطير بين الأمر المبني على مبدأ الطاعة والأمر المبني على مبدأ الإكراه, ستجد أنه ليس في كتاب الله من الأوامر المبنية على مبدأ الإكراه إلا أقلّ القليل ولعلك تعدّها على يد واحدة. وخصوصاً في أمر "إقامة الدولة", فإنك تجد أن الأمر من أوّله وأصله مبني على مبدأ الطاعة وإرادة الناس و "أولي الأمر منكم" وما إلى ذلك مما ورد في الجبر والطغيان. الغالبية العظمى من أحكام الشريعة, إن لم يكن كل ما يدخل تحت اسم الشريعة حسب الاصطلاح القرءاني, هو في الحقيقة أمور مبنية على مبدأ الطاعة لا مبدأ الإكراه, على عكس ما يحسب أكثر الناس. اقرأ كتاب الله, واجمع كل مرّة أمر فيها بأمر, ثم انظر مستند الأمر هل هو معلومة وإرادة أم عقوبة نفسية أو مالية, ثم احسب نسبة الأوامر الطوعية إلى الأوامر الإكراهية وسترى ما ذكرته لك بإذن الله. ففكرة (فرض الشريعة) بالمعنى الإكراهي القهري إما تعبير متناقض وإما تعبير غير سليم من حيث تسميته معظم الشيء باسم أقل أجزاءه. بل وزيادة على ذلك, فإن الأوامر الإكراهية في كتاب الله هي في غالبيتها العظمى إن لم تكن كلّها أوامر اتّفقت دول العقلاء بل ولعله حتى الجهلاء على تجريم تلك الأفعال والمعاقبة عليها بالإكراه البشري الدنيوي, مثل السرقة والقتل. فإن وجدت أمراً "مفروضاً" بالقهر, ستجد أن عقلاء البشر ودولهم تأخذ أيضاً بمبدأ قهر أفراد المجتمع على تلك الأوامر, فلا تختص الشريعة بشيء في هذا الباب اللهم إلا في بعض الأحكام من حيث صورتها وحتى هذه فيها كلام تفصيلي ولا يكفي فيها الكلام المجمل اللهم إلا من باب الإشارة المناسبة للمقام.
ثالثاً كل دول العالم وبلا استثناء, قد قامت على إكراه و "غزو" من نوع ما, في مرحلة من مراحل تأسيسها ووجودها. دائماً قلة تغزو كثرة أو تخرج من بينها بسبب قوة وقدرتها على تنظيم نفسها لارتكاب العنف ثم تحكمها. وخذ أي دولة شئت وانظر. فمن حيث إقامة الدولة بناء على العنف المنظم التأسيسي والمحافظ على الكيان, لا يوجد فرق بين الدول عموماً. وأما فكرة التقيد في جزء من العالم دون بقية الأجزاء, فهذا أمر اعتباطي لأن كل جزء مثل بقية الأجزاء جوهرياً, ولأن وجود الحدود بين المناطق هو أمر أقامته الدولة وليس الطبيعة. فحين تقول "غزو العالم" كأنك تقول بأنه لو بقي في حدود الصين فلا بأس, لكن لو خرج إلى بقية العالم فتبدأ المشكلة, وأنا أقول, لا معنى ولا حجة عندك في إثبات الفرق بين الأمرين, أنت تضع العربة أمام الحصان كما يقول الانجليز, أي تخلط بين السبب والأثر ولا تحسن ترتيب الأولويات. "الصين" و حدودها هو شيء أقامته "دولة الصين" وملوكها وممالكها. الانجليز مثلًا يسكنون في جزيرة, لكن من هذه الجزيرة خرجوا وحكموا بلاداً يفصلها عنهم محيط بكبره. الحدود ترسمها قوّة الدول, فلا تستطيع أن تقيد الدولة بحدود مسبقة على وجودها. أنت تفترض-بغير حجة من أي نوع-وجود "حدود", ثم بناء على ذلك تقول بأن "غزو العالم لإقامة دولة تحكمه" أمر مرفوض كلّياً ومن كل وجه. لأنك تفترض ذلك بدون وعي, ارتكبت مغالطة. فإن قلت بأن كل دولة يحق لها أن تتبع

فقط من الناس الذين تحكمهم, فسيخالفك في هذا القول الكثير جداً من الدول عبر التاريخ وفي الحاضر. العائلة الحاكمة في بريطانيا مثلًا ليس "انجليزية" الأصل لكنها ألمانية الأصل. العائلة الحاكمة في الحجاز مثلًا ليست "حجازية" الأصل لكنها نجدية الأصل. الانجليز والأفريقان والألمان- حسب الأصول-الذي يحكمون في أمريكا ويرأسونها ليسوا من الأجناس التي كانت على تلك الأرض, بل قتلوا وقمعوا الجنس الأحمر هناك-الهنود حسب تسميتهم لهم-ثم أقاموا دولتهم. فضلًا عن اختلاط الأعراق اليوم في معظم دول العالم بدرجة أو بأخرى. فضلًا عن اعتباطية المعيار. بناء على ذلك, لا معنى لقصر أي دولة داخل حدود معينة لأن الدولة تقيم الحدود لا الحدود تقيم الدولة, ولا معنى لإنكار الإكراه في تأسيس الدولة لأن كل الدول في مرحلة أو أخرى قامت على الإكراه وكل الدول قطعاً وبلا استثناء تبقى وتحافظ على أوامرها بنوع ودرجة من الإكراه. فإن كنت تقول بفكرة الدولة, فتلزمك هذه النتائج بالضرورة.
الحاصل: كالعادة, مقولة ظاهرها زخرف وحقيقتها سخف.

...
في النفس: كثرة الداخل تُشوّه الخارج. أقصد كثرة الداخل بالقروءات والمسموعات والمشاهدات, وهذه تسبب تشتيتاً عظيماً للنفس وتركيز الذهن وتُكسّر الوعي. ولا يبقى في النفس طاقة ولا يكون لها من الوقت ما يكفي للتأمل في المدخل والتروي في النظر إليه ثم القيام بفعل نابع من القلب وبحضور ذهن يتناسب مع عقل وإرادة الإنسان وغايته ويتناسب مع حقيقة المدخل. لأن كل مدخل يحتاج إلى طاقة لاستيعابه وطاقة لتحليله وتأويله وطاقة لإخراج وصناعة رد مناسب بالحال أو الفعل أو القول, ولأن وقت الناس صار مشغولًا-بإرادتهم غالباً وفوق إرادتهم أحياناً-فإن النتيجة كانت طغيان كمية المدخلات على كيفية المخرجات. أكبر تحدي أمام أهل الكيفية الفكرية العالية هو تحدي وجود تركيز كاف من الناس لتقبّل ما ينشرونه بينهم وحسن التفاعل معه. لابد من وضع حل عميق وشامل لهذه الطامة الصغرى التي ستجلب الطامة الكبرى.

...
العقل والذكاء يظهر في الخاص وليس في العام.
مثال, قد يقول المثقف "نريد نظاماً صحياً جيداً في البلاد" ثم يبدأ بسرد انتقاداته على النظام الصحي في الموجود في بلاده حالياً. ويحسب أنه بذلك على شيء وأنه قد وضع الداء والدواء. الحق أنه اشتغل بمحاربة ما يرفضه لدرجة أنه غفل عن تحديد ما يطلبه. وبدون هذا التحديد تكون عبارته العامة لا وزن واقعي لها. لأن الطبيعة والواقع تحتاج إلى الخاص والتخصيص. العام في السماء والخاص في الأرض. مثلًا, نقول لذلك المثقف: هب أن النظام الصحي في البلاد زال وصار الأمر إليك فماذا ستفعل, لأن نظام الصحة في أمريكا مثلًا جيد ونظام الصحة في كندا جيد لكن يوجد فروق مهمة بين الاثنين. فأحدهما مجاني والآخر بالمال مثلًا. فإن قال أنه يريد المجاني, فلابد أن يقبل بوجود ضرائب عالية على الدخل قد تصل إلى خمسين في المائة مثل كندا إذ لا يوجد شيء مجاني في هذه الدنيا بين الناس إلا وبعض الناس يدفع قيمته. فإن قال بأنه يريد نظام الضرائب, فلينظر إن كان سيقتنع الناس عندنا بأن الذي يدفع 50% من دخله الذي يساوي مائة ألف أو مليون سيقبل أن يتعالج في نفس النظام مع الذي يدفع 50% من دخله الذي يساوي ثلاثة آلاف. وهلمّ جراً.
مثال آخر, قرأت بالأمس كاتبة في جريدة تقول "أريد أن أمسك قلمي وأكتب بلا قيود ولا حواجز!" ضمن عبارات رومانسية عائمة أخرى. إذا أخذنا هذه العبارة فقط سنجد أنها تقول بحرية الكلام المطلقة. لكن

لن تجد أكثر هؤلاء الكتاب يتحدثون عن أكثر من هذه التعميمات عادة, وإن تكلموا فكلام فوضوي لا يربطه رابط ولا يُمكن تأسيس شيء واقعي عليه-ولعل هذه هي غايتهم لا أدري. لأن التفكير الجاد يقتضي أن تحدد مصدر القيود والحواجز, ثم سلطته ومصدرها وحدودها, ثم نوعية القيود والحواجز التي لا تريدها ولماذا, ثم كيفية الوصول إلى فك القيود وإزالة الحواجز, ثم وثم.
حرمان الناس من النفع الواقعي يكون إما بعدم الكلام في العام, وإما بالكلام فقط عن العام. ولا تجدهم ينزلون ويفصّلون في الخاص. والفكرة بدون تفصيل ليس لها واقع ولا تنزيل. الذكاء يظهر في التفصيل وليس في التعميم. الكل يحسن التعميم, إزالة الفقر, نشر العلم, حرية التعبير, الصحة, الإتقان, الكرامة, إلى آخره. هذه كلمات يعجب كل الناس تقريباً لفظها, لكن يسوء أكثر الناس تفصيلها وإرساء قواعدها وتطبيقها وقبول لوازمها الضرورية. مثال بسيط "حرية التعبير", من أهم لوازمها بل لازمها الأول والأكبر هو أن تسمع كلاماً تكرهه ويسوءك ويضاد ما تؤمن به وتعشقه ويطعن في فكرك وشخصك. كم من دعاة حرية التعبير يقبل هذا اللازم الضروري؟ واحد من عشرة آلاف أو من مائة ألف. وبذلك تجد حتى في البلاد ذات القيود القليلة على التعبير مثل أمريكا تجد "الليبراليون" حسب ما يظنون يعملون على زيادة القيود ولو أمكنهم معاقبة المتكلّمين الذين يكرهونهم لفعلوها ويزينون ذلك لأنفسهم تحت شعار "حرية التعبير لا تعني حرية الإساءة", والجواب: بل هذا بالضبط ما تعنيه ! (ضمن معاني أخرى, طبعاً). وقس على ذلك.
العوام ينحصرون في الأمر العام, الخواص يشرحون الأمر الخاص.
...
سلب حرية الكلام يحرم الناس من اكتشاف أمر مهم جداً وأساسي لتحسين شخصيتهم وتقوية عقولهم, وهذا الاكتشاف يمكن تلخيصه في كلمة: أنهم حمير !
حين تتكلم مع نفسك فقط أو مع من يشبهك في عقلك أو مع من يجاملك من أقاربك وأصحابك, لن تستطيع تحصيل الوعي الكافي بقيمة كلامك الذي هو مرآة عقلك وعنوان شخصيتك. فتكون كالقبيح المسخ-بإرادته- الذي لا يسمع إلا مديحاً ممن يحبوه أو تغاضياً ممن يصحبوه, فينتج ذلك عدم تحوّله من قبحه إلى جماله الممكن ولا تتحسن له شخصية ولا ينمو له ذهن.
التكلم مع الغرباء ومع من لا يبالي بك, وبلوغ كلامك من يحبون إبادة عقلك ومسح قيمتك الفكرية والكلامية, هذا التكلم هو النافع في تزكية النفس وتقوية العقل.
كلما عجّلت باكتشاف أنك حمار, كلما اقتربت من مقامات أهل الأنوار.
...
قال: سؤال للنصارى، ما الفرق بين مولود ومخلوق؟
قلت: إنّي من المسلمين، لكن الحق أحق أن يتبع. ليس مراد اليسوعيين من فكرة الولادة ما يذهب إليه أكثر الناس. الحق أن التعبير خانهم، وهم ضعاف إجمالًا في اللغة. المراد هو التالي-وهو أمر يتّفق عليه حكماء الملل إجمالًا وفلاسفتهم: الموجود إما موجود أوجده الله مباشرة أو بواسطة. الموجود مباشرة اصطلحوا عليه ب "مولود" و "ابن". والموجود بواسطة اصطلحوا عليه ب "مخلوق" و "مصنوع". مثال ذلك من كتابنا: التعليم الإلهي. فالله تعالى مرّة يعلّم مباشرة، كما علّم آدم مباشرة "وعلّم ءادم الأسماء كلّها". ومرّة يُعلّم بواسطة، كما علّم الملائكة بواسطة آدم "يآدم أنبئهم بأسمائهم". هذا من جهة. الغلط الثاني لليسوعيين أنهم يعتقدون أن الروح إله. في كتابهم "الله روح". لكن عندنا أن الروح مخلوق عظيم إلا أنه ليس الله بالمعنى الحصري. فالله ليس روحاً ولا نفساً ولا جسماً. بناء على قولهم أن الله روح، ويسوع من

روح الله، فيفهمون أن يسوع إله. ويستغربون من إنكارنا لذلك مع أن القرءان يقول "وروح منه" ويعتقدون بأن هذا إقرار بالألوهية. الافتراض المغلوط عندهم هو كونهم يظنّون أن الروحانية تساوي الألوهية، وهنا منشأ الغلط. وبالمناسبة، الذين قالوا بألوهية القرءآن عندنا وأنه "قديم" ذهبوا نفس مذهب اليسوعيين في فهم الروحانية وأنها مساوقة ومساوية ومرادفة للألوهية. والحق أن الأمر ليس كذلك. قال الله "وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا". هو روح، من روح الله. لكن "روح الله" ليس معناه أن الله شئ له روح، أو أنه شئ محصور بمعنى الروحانية دون النفسانية والجسمانية مثلًا، فهذا يدلّ على أن الله محدود، تعالى عن ذلك. إذ الروح ليس الجسد، والجسد ليس الروح، فإن كان الروح إلهاً فالجسد ما هو؟ هو الشيطان ! (هل فهمت لماذا يقولون بأن الجسد شيطان والشهوات شيطانية عن بكرة أبيها وما إلى ذلك من بغض للطبيعة وشيطنتها وشيطنة العلوم الطبيعة إلى آخر الفروع). الخلاصة: المولود هو الموجود عن الله مباشرة، المخلوق هو الموجود عن الله بواسطة. ومن أغلاطهم الأخرى أنهم يعتقدون بأن الموجود عن الله بواسطة مفصول بالكلية عن إيجاد الله مباشرة، والحق أن الواسطة نفسها هي في الحقيقة تجلّ من تجليات الألوهية، لأنه بناء على حقيقة التوحيد المطلق لا فاعل إلا الله. والمسألة تطول لكن هذه خلاصتها.
قالت:
أخ.., عفوا منك لو سمحت لي ان أصحح لك الخطأ الذي ذكرته عن القران حيث انك قلت هو مخلوق, فاذا عنيت بكلمة قرآن أي الألفاظ الموجودة في هذا الكتاب الكريم, ممكن أن أقبله و لكن القرآن هو كلام الله وصفته, و الله تعالى أزلي قديم ليس بحادث فكيف تكون صفته مخلوق, لان كلامه تعالى هي صفته فلا يمكن أن تكون مخلوقا لأن المخلوق حادث و ليس أزليا, تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا, و لكن ممكن ان نقول كتوفيق بين المعنين, أن كلام الله هو المعنى الذي يلقى في قلب الانسان من القرآن, هكذا يصح . ثانيا : إن كلمة (أرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً) سورة مريم, روحنا هنا يقصد به روح القدس جبريل عليه السلام الذي تمثل لها بشراً بعد أن نفخ الله به روح الأنس (روح عيسى عليه السلام) كما نفخ هذه الروح في آدم بعد خلقه, فالروح الإنسانية التي في كل إنسان هي من الله أي نفحة من الذات العلية كما ورد في سورة ص(إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين), فاذا كان في الانسان روح من الله إلا أنه ليس ثمة إنسان يملكها , لأنها من الله فهي منه و إليه, فكيف يمكن للنبي عيسى عليه السلام أن يكون بهذه إلهاً وهو لا يملكها ولا ينبغي أن يكون هذا إلا بيد الله وحده, أما إحياؤه للموتى بإذن الله فهذا يعود إلى أنه لما أرسل الله روح القدس جبريل و نفخ فيه من روحه تعالى, فتمثل لها بشراً فباشرها أنوار روح القدس مع أنوار روح الأنس فبقي عليه السلام شاهداً لنور روح ذاته في عبوديته لله و بهذا كان يحي الموتى بإذن الله, و الله أعلم و أجل.
قلت: الأخت.., كلامك جيد لكن لي عليه ملحوظتين: الأولى أنه لا يتعلّق بكلامي. لأني لم أقل بألوهية عيسى، ولم أقل أن القرءان "مخلوق" بحصر المعنى، وأنا قلت بأن الروح ليس هو الله بحصر المعنى فإن ذلك من الكفر بالله تعالى الذي يتعالى على الروحانية والنفسانية والجسمانية وكل المظاهر العالمية والكونية المقيّدة. الملحوظة الثانية بغض الأغلاط القرءآنية والعقلية. مثلًا ذكرت أن القرءآن يصح أن يكون مخلوقاً من حيث لفظه لكن لا يصح أن يكون مخلوقاً من حيث معناه، المشكلة هنا-وهذا قول الأشاعرة-أن نسبة المعنى إلى ذات الله ليست بأقلّ في التحديد و "الكفر" بمعنى التقييد الذاتي من نسبة اللفظ إليه سبحانه. القرءآن كلام روح الله، "كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا" و "الروح من أمر ربي". الربوبية هنا

ربوبية الروح وليست ربوبية ذات الله تعالى المتعالي. وأما آية "نفخت فيه من روحي" فإن روحي هنا مثل "ناقة الله" و "طهرا بيتي" النسبة نسبة تجلي وتشريف، وليس نسبة تقييد ذاتي وحصر فإن هذا الحصر من الكفر مثل كفر الذين قالوا "إن الله هو المسيح". أما حقيقة كلام الله فلا تتقيد بالقرءآن، لكن تشمل الكون كلّه فالكون كله بكلمة الله "كن" و المخلوقات كلماته "النفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي". لا يمكن التفريق بين اللفظ والمعنى بنسبة أحدهما إلى الله والآخر ليس إلى الله. إما أن الاثنين إلى الله لكن من جهتين مختلفتين، أو الاثنين ليسا إلى الله. والحقيقة هي الاحتمال الأول. كلام الله له حقيقة متعالية أزلية وله حقائق متجلية حادثة، ومن تجلياته القرءآن. وإن لم تقولي بهذا فكيف صح عندك أن ينسب إلى ذات الله العلية بحصر المعنى "المعنى الذي يُلقى في قلب الإنسان"، الإلقاء حادث، القلب حادث، الإنسان حادث، فكيف يكون المعنى الذي يُلقى في قلب الإنسان غير حادث ، هذا غير مفهوم وغير معقول، لا قرءانياً ولا فكرياً. إذن: العالَم له مراتب، رتبة العرش ودونها السماء ودونها الأرض. العرش عالم الروح، السماء عالم النفس، الأرض عالم البدن. لكن نور روح العرش هو تجلي الأسماء الحسنى، كما أن عالم النفس كذلك وعالم الطبيعة كذلك. فالله من حيثية متعال عن الكل "غني عن العالمين"، ومن حيثية أخرى متجل في الكل "رب العالمين". والروح خليفته المطلق في العالَم والظاهر بأسمائه الحسنى التي تجتمع في الخلق والإحياء والرزق والإماتة.

...

لماذا يبدأ الإنسان حياته بشعر أسود وينتهي بشعر أبيض؟ لأن الإنسان يولد وهو أقرب ما يكون إلى الجهل والدنيا "أخرجكم من بطون أمّهاتكم لا تعلمون شيئاً"، ثم ينتهي وهو أقرب ما يكون إلى العلم "وجاءة سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد". فكلّما اقترب من عالم النور كلما ازداد بياضه.

قالت: على كدا كل الناس علماء واقتربوا الى عالم النور.

قلت: فعلا، لهذا عند الموت يعلم الكافر حقيقة الأمور العالية ويقول "رب ارجعون لعلّي أعمل صالحا فيما تركت".

...

قالت: ما معنى ملك اليمين في القرءان؟

قلت: الجواب في آية ٢٥ من سورة النساء. (ومن لم يستطع منكم طولًا أن ينكح المحصنات المؤمنات، فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات، والله أعلم بإيمانكم، بعضكم من بعض، فانكحوهن بإذن أهلهن). أقول: كيف يقول "بعضكم من بعض". و "مؤمنات". و "بإذن أهلهن" ويكون المقصود المقهورات من الأجنبيات والكافرات ؟ هل يوجد أحد يسبي واحدة ثم يذهب يستأذن أهلها ! وبما أن الآية صريحة أنه لا يوجد إلا طريقان: الأول المحصنة المؤمنة، والثاني هو ملك اليمين المؤمنة، والأوّل أفضل، فإذن يقيناً لا يمكن وجود غير مؤمنة ولا يمكن وجود مقهورة بغير إذنها أو إذن أهله.

...

قال: بصراحة معظم القوانين المدنية في القرآن محرجة جداً... ليس ملك اليمين فقط. فإذا اتفقنا انها مدنية هنا لن تكون لها صفة القداسة المطلقة. والله أعلم.

قلت: لا يوجد شئ محرج إلا عند من لم يفهم تلك الأحكام. ويستحيل أن تجد حكماً واحداً يحرج عاقلًا. وحتى الحكم الذي قد لا يناسب ظرف ستجد أن الآية نفسها والآيات إجمالًا شرحت الظروف التي يعمل فيها ذلك الحكم ولا ينطبق في غيرها. وإن شئت، اذكر آية مما تجد حرجاً في نفسك منها ثم لننظر

فيها. أما أن يكون لبعض آيات القرءان "صفة القداسة المطلقة" وبعضها ليس له ذلك، فلا أدري ما معنى ذلك بالضبط؟ هل لها قداسة مقيّدة، وما هي "القداسة" هذه التي ليست من ألفاظ المسلمين واصطلاحاتهم من الأساس. هل تقصد بالقداسة أنه يجب العمل بها، فالقرءان كلّه كذلك (بشروطه وقيوده الذاتية التي دلّ عليها). هل تقصد بالقداسة احترامها؟ فالقرءان كلّه كذلك. وكيف تكون القداسة "مطلقة" و غير مطلقة. لا يوجد شئ في القرءآن محرج، لكن يوجد الكثير في الذين يفترض أن يكونوا من أهل القرءآن مما يُسوّد الوجوه بالإحراج.

...

قال: أليست الدولة الإسلامية التي تقطع يد السارق شر من الدولة العلمانية التي تعمل على إصلاح السارق واستصلاحه وسجنه وتدريبه في السجن حتى يخرج صاحب مهنة وحرفة ينفع بها الناس؟ فكيف يقال لنا أن قوانين الإسلام خير من القوانين الغربية؟

أقول: احتجاجك ملئ بالمغالطات التي لو عرفتها لما رفعت عقيرتك بها. فلننظر في أبرزها.

الأولى اختزال واقع قانون الإسلام. أنت تأخذ بالقطع الذي وردت شروطه وتفاصيله في كتب الفقه التي درس أهلها الكتاب والسنة وفهموا ما فيها. لكن هذه الكتب المعمول بها في الدول "الإسلامية" (لا أقل في زمن غابر) قد حددت شروطاً متعددة للسارق والمسروق وعملية السرقة بدون توفّرها أو حدوث الشبهة في واحدة منها يسقط القطع. ولو نظرت في تلك الشروط المعقدة الدقيقة, وعرفت أن القطع لا يتم إلا بعد وجودها كلّها وعدم الشبهة فيها, لعرفت أن القطع عملية نادرة وهي نادرة فعلًا على مر التاريخ الإسلامي القانوني كلّه حتى أن المقطوعين لعلهم عدة أفراد معروفين بأسمائهم في بعض الأجيال. لأنه لا يستوفي أحد كل تلك الشروط إلا وأهون ما يقع عليه هو قطع يده. إذن, تصوير حكم قطع السارق على أنه عملية عشوائية وكل يوم عندنا جماعة تقطع أيديهم أمر باطل وخرافة شائعة عند الذين لا يعرفون ويعاندون. (تفصيل الشروط تجده في كتب الفقه, اذهب وادرسها قبل الاعتراض على الحكم).

الثانية اختزال واقع القوانين غير الإسلامية. سواء كانت غربية أو شرقية. حاضرة أو ماضية. وهنا مغالطة من أهم المغالطات, وكلّها مهمة. فأنت تصوّر حالة القوانين غير الإسلامية, والغربية تحديداً "العلمانية", على أنها كلها مجتمعة على معاملة السارقين كما تعامل بعض الدول الاسكندنافية-ومنذ سنوات قليلة فقط-السارق. وهذا اختزال فاحش من كل وجه. لنضرب أمثلة سريعة. في اليهودية, عقوبة السارق هي بيعه كعبد لمدة 6 سنوات وإن أنجب ولداً من جارية لا ينسب له ولده بل يكون ملكاً لمُستعبده (بشروط ذكروها) وعليه دفع ضعف أو أضعاف قيمة ما سرقه, وإن سرق إنساناً وباعه عقوبته القتل. الرومان كانوا يفرّقون في العقوبة بين الناس حسب طبقاتهم ووضعهم, ولكل طبق وصاحب وضع خاص عقوبة خاصة, مثلًا العبد قد يُقتَل, الفقير يعاقب في جسمه أو الصلب أو الأعمال الشاقة مدى الحياة, بينما الطبقات الأعلى تعاقب بالغرامة أو خسارة ممتلكات, وتوجد عقوبة سجن في القانون الروماني أيضاً. المصريون كان لديهم قتل وقطع وتشويه أيضاً. هذا قبل الإسلام. بعد الإسلام, وفي انجلترا مثلًا, ألف سنة بعد الإسلام, كانت العقوبات على السرقة بمختلف أنواعها تتراوح بين القتل والقطع والضرب والجلد والسجن والأشغال الشاقة والاستعباد من العقوبات المعترف بها عندهم على جرائم أخرى ومنها الحرق على الخازوق والشنق والتعذيب بفنونه المختلفة, في أمريكا المعاصرة, تختلف الأحكام بالسجن بين الولايات, بعض الولايات لديه حد أدنى وحد أعلى, وبعض الولايات لا حد أعلى لديه وقد يحكم على السرقة بالسجن المؤبد, وبعضها لديه أشغال شاقة, والعقوبة الفيدرالية تتراوح بين 10-15 سنة بحسب

استخدام السلاح من عدمه. ضع في بالك أن كل هذه السنوات في السجن-مع المؤبد والأشغال الشاقة أو بدونهما- أن السجون الأمريكية مشهورة بانتشار العنف فيها بشكل يومي, والعنف يشمل الضرب والقتل والاغتصاب. هذا في أمريكا اليوم, في بداية احتلال تلك الأراضي, في القرن السابع عشر, كانت بعض قوانين الولايات تنص على وجوب جعل العقوبة "قاسية" لكنها تترك تحديد تلك القسوة لرأي القاضي, يعني مفتوحة, هذا في بداية أمرهم. لكن بعد ذلك بقليل وحين ازدحمت الولايات بالمهاجرين المحتلّين, صارت العقوبة لأول سرقة (بشروطها المذكورة عندهم) هي طبع حرف الباء الانجليزي على جبهة السارق, العقوبة لثاني سرقة هي الجلد, العقوبة لثالث سرقة هي القتل. (بالمناسبة: قول الله "السارق والسارقة" ولم يقل: من يسرق. كما قال في القتل "من يقتل مؤمنا" يشير إلى وجود التكرار وثبوت الوصف على الشخص, وذلك يقع كما في الردة بعد ثالث مرة حسب أحد الاعتبارات, بالتالي يمكن القول بأن القطع يأتي بعد ثالث سرقة, وحينها يكون القتل الأمريكي أشدّ من القطع القرءاني). الهندوس كانوا يعاقبون على السرقة بالتشويه والقتل. الصين لديها عقوبة قد تصل إلى القتل في بعض حالات السرقة., هذه نظرة سريعة ومسح خاطف للماضي البعيد والقريب. فحتى الدول الغربية المعاصرة لا تأخذ كلّها بنظام السويد مثلًا. فليس كل "دولة علمانية" تأخذ بنظام السويد. هذا مع العلم أن السويد دولة ذات نظام ملكي دستوري, والشعب وإن كان أكثره يقول بأنه "غير متدين" لكنه أكثره يقول بأنه "روحاني" (حسب تعريفاتهم طبعاً). ومعلوم أن فكرة الملكية فكرة دينية, فالشعب محكوم بفكرة دينية شاء أم أبى, وللسويد كنيسة رسمية بطبيعة الحال. فنسبة العلمانية والديمقراطية الحقيقية للسويد لا تصح, أي ديمقراطية وفوقك –غصباً عنك-عائلة ملكية وراثية ! الحاصل, أنت تختزل النظم القانونية في البلاد غير الإسلامية سواء في الماضي البعيد أو الماضي الحداثي القريب أو الحاضر في البلاد الغربية غير السويدية مثلًا وحتى السويد نفسها لا تلاحظها من شتى أبعادها. فهب أن السويد المعاصرة أحسنت في إلغاء القتل والقطع في السرقة ولها فضل على ما فعله الإسلام الذي جاء به النبي, فإن النبي جاء بإسلام ليس فيه ملوك وعوائل ملكية قهراً فوق الناس بينما السويد المعاصرة لا يزال فيها النظام الملكي الوراثي, فهب أنهم أحسنوا في نقطة صغرى فإن الإسلام أحسن في نقطة كبرى. وبالنسبة للسويد التي تزعم أن لديها حرية تعبير في دستورها, فإن التكلم بشيء ضد الملك أو العائلة المالكة عقوبته السجن قد تصل إلى أربع سنوات في حالة وست سنوات في حالة أخرى بحسب مضمون الكلام والإساءة (مع اختلاف العقوبة بين الشخص التي توجه له الكلام, إن كان الملك وعائلته أو القائم مقام الملك أو إن كان من عامة الشعب- مظهر من مظاهر "المساواة القانونية" عندهم), هذا في الوقت الذي كان ابن سلول يضرب مثلًا للنبي بقوله "سمّن كلبك يأكلك" ولم يتعرض لا لجلدة ولا لحبس يوم بل كفّنه النبي بثوبه حين مات, وفي الوقت الذي كان أي فرد من المسلمين يقتص من النبي مثله مثل أي شخص آخر. لا تختزل, وانظر بشمولية حقيقية ثم احكم واعترض بما شئت. وأخيراً, بما أن السائل أشار للسويد وضربنا بها المثل, قارن بين العقوبة التي يقررها القانوني السويدي بين شتم الملك أو عائلة الملك وبين جريمة السرقة. التلفظ على الملك أو عائلته تعاقب عليه 4 إلى 6 سنوات. فالحد الأدنى 4 سنوات. أما السرقة, فعقوبتها أخف ! الفصل الثامن من القانون الجزائي السويدي ينص على عقوبة بين 6 أشهر إلى سنتين, وفي الحالات الخاصة والخطيرة جداً قد تصل إلى 6 سنوات. السرقة عندهم على ثلاث درجات, الكبرى بين 6 أشهر إلى 6 سنوات, الوسطى حدها الأعلى سنتان, الصغرى حدّها

الأعلى 6 أشهر. إذن إجمالًا, سب الملك وعائلته أخطر وعقوبته أشد من السرقة والاعتداء على الملكية الخاصة وأمن الأفراد في أنفسهم وأموالهم. ما رأيك في هذا العقل والعدل والاستصلاح ؟

الثالثة تفضيل السجن على القطع. فكرة أن سجن إنسان خير من قطع يده فكرة-في أحسن الأحوال- مختلف فيها بحق. أيهما أسوأ, حرمان الإنسان من حريته وحبسه في مكان قبيح وبصحبة مجرمين أو حرمانه من يده (جزاء بما كسبت يده)؟ الحرية قيمة نفسية, اليد قيمة جسمانية, والقيمة النفسية فوق القيمة الجسمانية, ولا أحد يملك الاعتراض بحق على هذه المفاضلة وإن كان له أخذ الموقف الآخر. خصوصاً حين تنظر في مدة العقوبة, والتي قد تصل في بعض "الدول العلمانية" إلى خمس سنوات أو عشر أو حتى إلى المؤبد. أما إذا أدخلت عناصر مثل العنف في السجون, فحينها قد تفقد حريتك ويدك وشرفك بل ورقبتك أثناء تواجدك في السجن.

الرابعة أيهما أنجع؟ الغاية من العقوبة هي تحقيق قصد. القصد من المعاقبة على شيء هي ضمان عدم حصوله مرة أخرى, أي هي إفناء الشيء قدر الإمكان. بالنسبة للسرقة, أيهما أفضل وأقرب إلى تحقيق المقصود من العقوبة, السجن أو القطع (مع حفظ التناسب وغايات أخرى)؟ الأقرب القطع, خصوصاً حين يكون السجن أشبه بنزهة منه بعقوبة. وهذا الباب يحتاج إلى دراسة. لكن لو كانت الحرية قد تعود أو للمسلوب الحرية بالسجن أمل في عودتها, فإن أمل عودة اليد لا يعود (عادة, ولنا في هذا الكلام لاحق إن شاء الله), وحيث الأمل منعدم تكون العقوبة أشد فتكون أقرب إلى الردع قبل فعل الجريمة نفسها.

الخامسة, مقصد الاستصلاح غير شامل. أنت تقول بأن سجن الشخص ثم خروجه صاحب مهنة وحرفة واستصلاحه أفضل من قطع يده. حسناً, فماذا لو كان السارق أصلًا صاحب مهنة وحرفة بل خبير من أعظم خبراء البلد في مهنته وحرفته وكان غنياً ثرياً في غنى عن المال الذي سرقه لكنه سرقه للاستزادة أو للمتعة أو لغير ذلك من أغراض السرقة؟ حينها لا ينفع المقصد الذي ذكرته, وتكون العقوبة مجرد سجن مثل أي عقوبة سجن أخرى وينطبق عليها نفس معايير صلاح عقوبة السجن في إصلاح المساجين والتي فيها اختلاف كثير يعرفه كل من درس هذه القضية ومدى صلاحية السجون في إصلاح المساجين. وحسب إحصاء قامت به الجهة العدلية المختصة في أمريكا, فإن أكثر المساجين يعودون للسجون بعد الخروج منها, ومن هؤلاء الذين يعودون أكثرهم من أصحاب الجرائم المتعلقة بالملكية مثل السرقة حتى أكثر من أصحاب الجرائم المتعلقة بالمخدرات مثلًا. وخلاصة إحصائيتهم: 56% تقريباً يعودون في نفس السنة التي تحرروا فيها, 67% تقريباً يعودون خلال ثلاث سنوات, 76% يعودون خلال خمس سنوات. وبالنسبة لأصحاب الجرائم المتعلقة بالملكية, فإن أكثر من 82% ممن تحرروا منهم يعودون لارتكاب جرائم مرة أخرى. وأما إذا أخذت بالدراسة الأكاديمية التي نقدت هذه الإحصائية من وجه وليس من كل الوجوه وقدّمت أرقاماً أقلّ, فإن خلاصة نتائجهم هي: ثلث المتحررين يعودون للسجون, 11% يعودون أكثر من مرّة. سواء أخذت بالدراسة الأولى أو الثانية, فإن الأرقام هائلة. وبناء عليها, لا تستطيع الحكم بأن السجن سيؤدي غرضه بالضرورة ولا حتى بالحد اللازم والممكن, بالأخص في جرائم الملكية مثل السرقة. إذن, المقصد من جهة لا يشمل كل حالات ولا أكثر حالات السارقين, فإن أكثر هؤلاء في هذا الزمان تحديداً يمكن أن تكون لهم حرفة ومهنة ووظيفة, والسرقات الكبيرة تقع من أصحاب الأذهان والمهن والمناصب الكبيرة كما هو معلوم.

السادسة, النظرة إلى السارق. توجد نظرة مسؤولية, وتوجد نظرة رخوية. الإسلام لأنه كرّم الإنسان واعتبر حريته وقيمته وفرادته فإنه يبني عليها مسؤوليته عن أعماله. أما النظرة الرخوية والتي تتعاطف مع المجرم أكثر مما تتعاطف مع المجتمع والأفراد الذين تعرّضوا للجريمة, ففي أضعف الأحوال لا يحق لها التبجح كثيراً بأنها أفضل من نظرية المسؤولية الفردية القوية. ولأن القيمة كبيرة فالمسؤولية كبيرة, ولأن المسؤولية كبيرة فالعقوبة لابد أن تتناسب معها.

السابعة, البهلوان المنطقي. حسناً, هب أن عقوبة السرقة في السويد مثلًا خير من عقوبة السرقة في الإسلام, فهي هذا يعني أن "قوانين الدولة العلمانية" خير من "قوانين الشريعة الإسلامية". أي بهلوان وقفز هذا من الجزئي إلى الكلي. مشكلة هؤلاء أنهم يظنون أنهم يفكرون. والحقيقة أنهم يصرخون ولا يفكرون.

الثامنة ونختم بها, الغفلة عن اللوازم الضرورية للنظام. وهذه مغالطة نجدها عند هؤلاء بكثرة في أكثر من باب. يقولون الشيء ولا يلتزمون ولا يريدون أن يلتزموا ولا يمكنهم أن يلتزموا بالأشياء الواجب قبولها وإقامتها من أجل إقامة الشيء الذي يقولون به. لنأخذ ذلك على صعيد شخصي وصعيد اجتماعي. على الصعيد الشخصي, كم عربي-والمتكلم منهم على ما أظن-يرضى بأن يُعامل المجرمين برقة وحنان على أمل استصلاحهم ويستطيع أن ينام الليل مرتاحاً ومطمئناً إلى الأمان الكبير والمعقول الذي توفّره قسوة العقوبات للجرائم الخطيرة تحديداً. أحسب أن العدد قليل جداً. والذي يفكر, أقصد يفكر بجدية وينظر إلى واقع أفكاره لا فقط إلى لونها في ذهنه, سيقول شيئاً آخر. الأهم من الصعيد الشخصي هو الأمر العام السياسي والاجتماعي. ما معنى وجود سجون معتبرة؟ معناه وجود دولة قوية. ما معنى وجود دولة قوية؟ معناه وجود قيود قوية على الحرية الفردية. لأن الدولة مثل رأس الهرم, لا يقوم إلا على رؤوس الأفراد تحته. كلما قويت الدولة ضعف الفرد والجماعات التابعة للدولة. ويستحيل أن تجد سجوناً في دولة إلا وفيها من لا يستحق أن يكون فيها, فضلًا عن الإرهاب المعنوي للأحرار والمسالمين الذين لهم حق قول أو فعل بعض الأمور التي لا توافق عليها الدولة. (مثل شتم ملك السويد وعائلته الطاغية الذي سيجعلك كلباً في قفص من أقفاصهم لمدة 4 إلى 6 سنوات, لعله يتم "استصلاحك" هنا وتخرج عندك مهنة أخرى غير معارضة النظام الملكي والانتقاص من رأسه وعائلته التي تنتقص من قيمة الأفراد في الأمة بمجرد وجودهم وألقابهم التي أسبغوها على أنفسهم بقوة السلاح والإرهاب بالسجن). فأيهما أفضل: وجود نظام السجون والدولة الراعية له أم معاقبة القاتل بالقتل والسارق بالقطع وما إلى ذلك من عقوبة مباشرة وجزاء مباشر ثم تحرير الإنسان الذي يستحق الحرية. فكر فيها جدّياً وفي لوازم ذلك. فإن السجون لا تُفتتح إلا الضرائب ودائماً ما تؤدي إلى إرهاب وقمع للأحرار فضلًا عن تعليم الجريمة داخلها وانتشار المفاسد والمظالم فيها شرقاً وغرباً.

التاسعة, مدح تخريج "الحرفيين والمهنيين" من السجون هو مدح بما يستحق الذم, من وجه. فإن نظام السجون لا يسمح للمساجين بالعمل لأنه يحب قيمة العمل أو لقيمة فنية جمالية بحتة مثلًا, هذا تصوّر سخيف إلى حد غريب. السجون أيها الغافل في تلك البلاد تسمح بذلك لسببين رئيسيين: الأول وهو الأهم-والأمريكان رؤوس في هذا الباب-هو العبودية الجديدة المعاصرة, أي عمل العمال بأجر قليل جداً ولا يكاد يذكر في مقابل ما يستحقونه على ذلك العمل ذاته لو عملوه خارج السجن, أي المساجين "عمالة رخيصة", وينتجون المنتجات للشركات في بلادهم بأسعار زهيدة, مما يحقق مكاسب كبيرة لتلك الشركات والمؤسسات. وهذا أحد أسباب مدد السجن الطويلة وحتى على جرائم هي إما ليست جريمة أو

جريمة صغيرة نسبياً, وبعض تلك "الجرائم" مثل حيازة بعض المخدرات صار مسموحاً به قانونياً بعدما كانوا يعاقبون عليه بالسجن لسنوات طويلة. السبب الثاني هو تعويض أموال الضرائب التي تم افتتاح السجن والحفاظ عليه ودفع رواتب الشرط فيه مثلًا بها. لذلك حجة الاستصلاح بالحرفة والمهنة احتجاج سفيه لا معنى له من كل الوجوه الجوهرية.

هذه تسع مغالطات واختزالات وغفلات وجهالات وسخافات في تلك الحجة التي يكررها الكثير من الحداثيين وأشباه المفكرين في هذا الزمان.

ثم نقول: بالنسبة لعقوبة قطع اليد, لو أردنا فيوجد لها مخرج ومخرج لا يعارضه شيء في الشرع بنص صريح والحدود تقوم على النصوص الصريحة وتسقط بالشبهة. وأهم مخرج لذلك في هذا الزمان هو إجراء عملية جراحية لإعادة وصل اليد بعد قطعها. إذ لا يوجد شيء ينهى عن ذلك, ولا يوجد شيء يمنع من إعطاء اليد المقطوعة لصاحبها. فيستطيع إذن أخذ يده وإجراء عملية جراحية لإعادة وصلها.

الخلاصة: لا يوجد مأخذ حقيقي وراجح على عقوبة قطع يد السارق, لا في الماضي ولا في الحاضر. أحسن ما يمكن تقديمه من المعارضين لهذه العقوبة هو أن يقولوا: هذا خيار وذاك خيار وكلاهما حسن لكن نحن نفضّل السجن. أما الطعن فلا وجه معقول له.

...

ذكر أحدهم نص القانون المصري رقم 118 لسنة 1976 بشأن نظام الطرق الصوفية ولائحته التنفيذية. فعلّقت عليه: وبأي حق استخرجوه من الكتاب والسنة و المبادئ الصوفية الصحيحة رأت هذه الهيئة التشريعية فرض ما على أهل الله فعله من عدم فعله، وكيفية القيام بذكرهم وأمورهم التي بينهم وبين الله تعالى. هل في الشريعة الإسلامية وضع قوانين تكره الناس على القيام بعمل ما أو عدم القيام بعمل من الأعمال الخاصة الدينية. أكرهوا الناس بالسلطة الجبرية للقانون (أي السلاح والشرطة) على الالتزام بالكتاب والسنّة وقد ابتعدوا عنهما في نفس الوقت. نفس هذا التفكير الذي يدخل سلطة الدولة في أمور الصوفية وأهل الله هو الذي كان سيودي بحياة الشيخ محيي الدين ابن عربي حين زار مصر، لكن الله لطف وشفع له بعض من وفقه الله لذلك. سبحان الله، حتى الإلهام والأفكار مقيدة بالقانون، ثم صارت المشاعر والمواجيد التي يجدها الناس في الذكر أيضاً مقيّدة بالقانون، كأن الدولة ومن يتفق أن يكون في حزبها صارت فوق الدين وأهله وأفراده الذين بعضهم لا سلطان حتى لقطب الزمان عليهم (كما بينه الشيخ) فضلًا عن أن تكون لفلان وعلان من البلطجية العسكريين والسياسيين عليهم سلطان. شرّ السياسيين من عادى الصوفيين، وشرّ الصوفيين من خضع لأوامر السياسيين.

...

قال: لماذا تفرَّقت الصُّوفية إلى طُرُقٍ متعددة؟ وهل يجوز الدخول في هذه الطرق؟ وما الحكم فيما يفعله المنتسبون إلى هذا الطرق من ممارسات خاطئة؟

قلت: تفرّقت الطرق لأن الله قال عن أوليائه {هم درجات عند الله} وقال {يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات} بالتالي توجد درجات، وصاحب كل درجة حين يُظهر أمره يظهر على شاكلة معيّنة، وشاكلة كل إنسان تحدد عمله كما قال تعالى "كل يعمل على شاكلته". اختلاف الدرجات يؤدي إلى اختلاف مستويات العلم والإيمان، وهذا الاختلاف يؤدي إلى اختلاف النفوس والأنفاس، وهذا الاختلاف يؤدي إلى اختلاف الأعمال وأمزجة الناس التي تنجذب لصاحب كل نفس من الأنفاس المختلفة. فالاختلاف بين الطرق ليس فقط اختلافاً شكلياً (سند) أو عملياً (ذكر سرّي ، أو جهري). بل الاختلاف يرقى إلى مستوى العلم والإيمان، ودرجة العرفان والقرب الإلهي. لكن هذه الطرق كلّها متّصلة

كما أن الدرجات كلّها متّصلة معه بعضها وموصلة إلى "رفيع الدرجات" سبحانه وتعالى. ولذلك يوجد شيخ أكبر وشيخ غير أكبر. / الدخول فيها ليس فقط جائز بل واجب وفرض. لكن ما معنى الدخول فيها؟ معناه الجوهري حاصل في كل من يأخذ القرءان ويؤمن بالنبي، لأن الطريقة فيها علم وذكر وينتج عنهما ما ينتج من أحوال ومسالك. والعلم والذكر في القرءان، فإنه كتاب الذكر الأكبر وكتاب العلم الأنور. ثم القرءآن دلّ على وجود الرسول الذي يعلّم الكتاب والحكمة ويقوم بتزكية الناس، فلابد من وارث لهذه المقامات، كما أنه يوجد قراء لحروف القرءآن ورثوا هذا المقام من الرسول، كذلك يوجد من ورثوا مقام التعليم والتزكية وهم الذين صاروا يُسمّون بالصوفية (سواء أخذت بهذا الاسم أم لم تأخذ، فتلك وظيفتهم وحقيقة أمرهم، والمسمّى أولى من الاسم). / الأحوال لا تكون خاطئة لأنها انفعال وجداني. الأقوال تُصحح الأخطاء فيها بأقوال مثلها ويتم تبيين الحقيقة بالكلام المناسب لها. الأفعال إن لم يكن فيها اعتداء على الآخرين مثل الضرب والقتل وما أشبه من مظالم شرعية، فيُدعى صاحبها إلى تغييرها ويُنهى عن السئ منها كما قال الله في قصة أصحاب القرية التي كانت حاضرة البحر ولا يجوز قهرهم بالسلاح والإكراه على تغيير ما هم عليه لكن تتم موعظتهم وتنبيههم بالكلام. وبطبيعة الحال لا تشاركهم في ما هم عليه من خطأ إن تبيّن لك ذلك ببيّنة كافية، أما بمجرّد أن تقرأ لبعض خصوم الصوفية أو تسمع اعتراضاتهم عليهم ثم تظنّ أن ذلك من "الخطأ" و "المنكر" فتصرّفك هذا بحد ذاته من الخطأ والمنكر. لا يُفهَم ما عليه الإنسان بالسماع إلى خصمه، لكن يُسأل عنه هو نفسه، ثم يشرح إن شاء ما عنده بذاته، وبعد ذلك إما أن تقبل منه وإما أن ترد عليه وإما أن تُعرض عنه. هكذا تعلّمنا من كتاب الله ورسوله.

...

قالت: لو كان العرى دليل التحضر لكانت الحيوانات أرقى الكائنات.إن الله تعالى اباح معظم محرمات الدنيا إلا " العرى" لأن به اهانه كبيره للإنسان " ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى" ذكر الجوع والظمأ مع العرى ليوضح ان العرى هو مذله واهانه للانسان مثل الفقر. وحين عاقب آدم وحواء عليهما السلام قال "فاكلا منها فبدت لهما سوءاتهما". فما العرى إلا أفكار شيطانيه مهينه لكرامة ومكانة الانسان التى قال الله فيها " ولقد كرمنا بنى آدم " وليست حرية شخصيه كما يدعى البعض .

قلت: أن العري مثل الجوع والظمأ، هذا فهمناه من الآية. لكن إدخال فكرة "الحرية الشخصية" بالموضوع فهذا شئ آخر لا تفيده الآية. لأن المقصود بالحرية هو عدم إكراه أحد على شئ لكن أن يقيّد الإنسان نفسه بنفسه بحسب عقله ووجدانه ويتحمّل هو العواقب الطبيعية لأقواله وأفعاله (مثلًا أكل سم، يتألم ويموت بأمر رباني طبيعي وليس بأمر قانوني حكومي). حسناً، هل الجوع من "الحرية الشخصية" ؟ أظن أننا نتفق أنه نعم، فلي أن أجوع كما أشاء، لأسباب صحية أو دينية أو سياسية كالإضراب. هل الظمأ حرية شخصية؟ نعم. هل العيش في الشارع وعدم الأخذ بأسباب الكسب والحصول على منزل (لا تضحى) حرية شخصية؟ نعم. فإذا كنّا سنستفيد من الآية "إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى" بأنها تجعل العري خارج إطار الحرية الشخصية، فمن الواجب إذن جعل بقية الثلاثة (الجوع والظمأ والضحى) خارج إطار الحرية الشخصية، ولا مفر من هذه النتيجة. إما الكل في الحرية وإما الكل خارج الحرية. وبما أنه من الثابت أن ثلاثة منها على الأقل (الأكل والشرب والسكن) من الحرية الشخصية، فإذن العري أيضاً من الحرية الشخصية. وضحت إن شاء الله؟ ولذلك حين تقرأي آية الحجاب لن تجدي فيها عقوبة مثل العقوبة على السرقة مثلًا (أي بإكراه من الغير) على التي لا تدني الجلباب عليها. فلنتأمل،

والاستدلال من القرءان ليس عملية اعتباطية بل يحتاج الأمر إلى تأمل وملاحظة ما يترتّب على استنتاجك من لوازم ضرورية وعملية.

...

قال (وأعقب ذلك ذكر تعريفات كثيرة): ما التصوّف.

قلت: كل ما قاله الإخوة صحيح من وجوه مختلفة، لكن يجمع كل تعريفات التصوّف كلمة واحدة: التصوف أن تتزوّج نفسك روح القرءآن. لأن سيد الطريقة صلى الله عليه وسلم قال "أهل القرءان أهل الله وخاصّته".

قال أحدهم مصححاً في ظنّه عبارتي: ان تتذوق نفسك روح القرآن.

فقلت: التذوق قد يحصل وينقطع. التذوق يدل على وجود الفاصلة والفرق. وما ذكرناه مأخوذ من قول الله عن قيامة الباطن "وجمع الشمس والقمر"، والشمس هي روح القرءان المفيضة للضياء، والقمر هي النفس الزكية المستقبلة لذلك الضياء والمستنيرة به. ثم وردت كلمة الميثاق الغليظ في القرءان في ثلاث مواضع-متّصلة- الأول بين الله وأنبيائه، والثاني بين الله وبني إسرائيل أي الأمّة المصطفاة في كل زمان، والثالث بين الزوج وزوجه. فالمعنى أن الصلة بين النفس الزكية المصطفاة وبين روح الله تعالى المتجلية في القرءآن هو كرابط الزوجية في التأويل. وفي الحقيقة، باطن أحكام النكاح في الشريعة تأويله هو نكاح النفس للروح.

...

لابد من التمييز من الأمر الوجداني والأمر القانوني. فالخلط بينهما ظلم وعدوان, وتحريف للقرءان, وكفر بالرحمن والإنسان. وأخبث قاعدة وضعها ظلمة المتفقهة هي أن كل ما منعه الشارع الإلهي ولم يذكر له عقوبة فيحق لهم هم فرض عقوبة عليه ثم يسمونها بأسماء ابتدعوها كالتعزير. الاسم والمسمى بدعة بل ظلم وكفر. لنضرب على ذلك مثلين: الحجاب والخمر.

المثال الأول: الآية التي يسمونها آية الحجاب, وهي آية الجلباب إن كان ولابد من التسمية, فالأمر فيها وجداني وليس قانونياً. قال تعالى "يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن, ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين, وكان الله غفوراً رحيماً". هل تجد عقوبة؟ كلا. لكن الأمر مبني على شيء أو شيئين: الأول هو علة "ذلك أدنى أن يُعرَفن فلا يؤذين". فالغاية من الأمر هي أن لا تتعرض الفئات الثلاث من النساء إلى أذى. والمعنى, إن أردن أن لا يتعرضن للأذى فأدنى الطرق لذلك هي إدناء الجلباب عليهن. بغض النظر عن تحقيق معنى المعرفة والأذى هنا وعلاقة ذلك بالأمر, فليس هذا مجال كلامنا الآن. الأمر الإكراهي لا يقول لك "افعل حتى لا تؤذى" ويسكت. الأمر الإكراهي قد يقول ذلك من باب الإقناع, لكنه لا يستند إلى الإقناع بل إلى خوف الألم الواقع على النفس والمال وهو ألم سيوقعه بشر بأيديهم وحكمهم وقضاءهم مثل ما تفعل المحاكم القانونية مثلًا, أي هو صنع إنسان وإرادته. الأمر الثاني هو "وكان الله غفوراً رحيماً" وذلك راجع إلى العلم بالأسماء الحسنى وعلاقتها بالأحكام الشرعية, أي راجع إلى علم الشخص. الآن, هذا هو الأمر في آية الجلباب, سنده إرادة المرأة وعلمها, أي هو أمر طوعي, أي هو أمر وجداني, أي هو أمر غير قانوني, قل ما شئت من عبارات صحيحة بعد فهم المعنى. فكيف يقال بعد ذلك أن الدولة تملك إجبار المرأة على إدناء الجلباب أو "الحجاب" كما يقولون (حين غيّروا المبنى غيّروا المعنى). الأب يقول لابنته: إن لم تلبسي الجلباب سأضربك. الدولة بهيئاتها وشرطة آدابها تقول: إن لم تلبسي الحجاب سنسجنك. وعلى هذا النمط يجبرون المرأة على شيء بناء على آية-حسب

زعمهم-لا تعتمد على الجبر بل على الفهم والإرادة. والأشد غرابة أنهم يوقعون على المرأة أذى لعله أشد من الأذى الذي نزل الأمر بالجلباب من أجل اتقاءه ! يشبه صنيعهم الظالم هذا أن يقول الطبيب لابنه المريض : يا بني خذ الدواء وإلا فسوف أقتلك ! نقضتم غاية الأمر الراشد بعملكم الفاسد. الله أراد لهذا الأمر أن يكون مؤسسا على الطاعة, وأنتم أردتم له أن يكون مؤسساً على الإكراه. الله برئ منكم ورسوله في هذا المسلك.

المثال الثاني: آيات الخمر. لنقبل مبدئياً بفكرة النزول التدريجي لآيات الخمر. انظر في الآيات وابحث عن سند الأمر والنهي الوارد فيها, هل هو معلومة وإرادة أم هو عقوبة إكراهية مثل العقوبة على السرقة والقتل والزنا. الآية الأولى قالت "يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما". الآية الثانية قالت "لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون". الآية الثالثة قالت "يأيها الذين ءامنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون. وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتهم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين". أقول: هل تجد أي إكراه بشري خارجي حكومي سلطاني قهري في الآيات؟ كلا والحق. الأولى لم تنص على النهي صراحة لكن أسست البيان على "إثمهما أكبر من نفعهما". الثانية أسست النهي على "حتى تعلموا ما تقولون". الثالثة أسست الأمر على "رجس من عمل الشيطان" و "لعلكم تفلحون" و "إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء" و "يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة" وختمهم بـ "فهل أنتم منتهون". ثم الآية التالية أرشدت إلى طاعة الله ورسوله والحذر ونصّت على أنما "على رسولنا البلاغ المبين" في حال تولّى الذين ءامنوا عن الأوامر السابقة. هل هذا كلام من يريد إكراه الناس على تنفيذ أمر ما؟ قارن. الحكومة حين تنهى عن الخمر, هل تقول أنه ما علينا إلا البلاغ المبين إن توليتم عن أمرنا, هل تبني الأمر على معلومات تبثها في الناس وتعتمد على إرادة الناس في الفلاح الأخروي أو الدنيوي حسب ما تصوّره الآية. كلا. القوانين كلها بين يديك, اذهب وانظر. لا تذهب بعيداً, اذهب إلى الدول التي تزعم أنها "إسلامية" وانظر ماذا يفعلون حين ينهون عن الخمر والميسر مثلًا, وماذا يحصل للذي يتولّى عن أمرهم هذا. ما وجدنا في كتاب الله إلا معلومة وبناء على إرادة. لا يوجد عقوبة بشرية سلطوية. فعدم شرب الخمر مبني على علم وإرادة وطاعة لله ورسوله, وليس خوفاً من بطش وتنكيل مجموعة من الناس تسمي نفسها "الحكومة".

أظن أنه فرط الحرية والاعتماد على الكرامة الإنسانية في القرءان هو الذي جعل بعض المتأسلمين وعلى مر التاريخ يفرط في الطغيان واحتقار الإرادة الإنسانية ويتخذ القرءان مهجوراً. القرءان مع الإنسان وضد الطغيان والعدوان.

...

إن قال لك أحد الحداثيين: لا تتكلم عن الدين في العلن وابق دينك لنفسك. فقل له: وأنت لا تتكلم عن أي موضوع لأن كل موضوع هو رأي عن الوجود وكل رأي عن الوجود عندنا هو دين.

إن قال لك: لا تصلي في العلن. قل له-على سبيل الاستهزاء: أنا لا أصلّي, أنا أعمل يوغا. (أظن أنه سيتركك حينها).

إن قال لك: لا تلبسي الحجاب وكفاية عقد دينية متخلفة. فقولي: وأنت لا تلبس أي لباس لأن فكرة لبس اللباس وستر العورة فكرة دينية وأصولها دينية, فكفاية عقد متخلفة وامش عارياً بين الناس. (ثم انظر ماذا سيقول لك).

إن رأيته يشرب الخمر, فاجلب أمامه الحشيش والكوكايين والهروين وانظر إن كان سيعترض عليك. فإن أضرار هذه إما أخف وإما مثل أضرار الخمر. ثم الخمر من وجه تقليد لأصحاب الثقافة اليسوعية الدينية, فلماذا يمارس دينه أو تقليد أصحاب دين ما في العلن.
باختصار, كل ما يعترض به الحداثي على أهل الدين مردود عليه بمثله أو بأسوأ منه.
...
(صافع الشريف)
حدثني أبي عن أمّه والتواتر العائلي والمشهور (والمعنى الكلي لوالدي والصياغة لي), أن جدّه والد أمّه وأخو جدّه والد أبيه, اسمه محمود. كان من حلب, ودرس في اسطنبول أيام السلطان عبدالحميد العثماني الطب. وكان طبيباً علّامة. رجع إلى حلب وافتتح عيادة. إلا أنه عاش فقيراً أو قريب من الفقر, لأنه كان يعالج الفقراء ومن لا يملك المال الكافي لشراء الدواء بالمجان, بل كان يعالجه أولًا ثم ينزل معه ويذهب إلى الصيدلية ويشتري له الدواء على حسابه ثم أحياناً يرجعه معه إلى بيته (أي بيت محمود) ويتأكد من أخذه له ويجعل زوجته تساعده أحياناً. وظل على هذا الأمر مدة. أخوه عبدالرحمن-جد والدي-كان تاجر أقمشة. يسافر من سوريا إلى مكة ويبقى فيها أربعة أشهر لكي يبيع في الحج ثم يرجع إلى سوريا وعلى هذا المنوال, وذلك أيام حكم الأشراف. كان عبدالرحمن صديقاً للشريف حسين, فاحتاج الشريف يوماً إلى طبيب وأراد طبيباً خاصاً له, فاقترح عليه أخاه محمود ومدحه وأراد جلب المنفعة لأخيه. رضي الشريف حسين فاستقدمه من حلب إلى مكة. في إحدى الأيام مرض الشريف مرضاً شديداً, جاء الحراس إلى محمود رحمه الله وطلبوه فذهب. فحصه ووصف له الأدوية وكيفية تناولها ثم رجع. بعد أسبوع تقريباً, عاد الشريف وطلبه. وهو يتأوه ويتألم ويرجوه أن يعالجه. فاستغرب محمود من ذلك وكأنه شك في علمه والأدوية التي وصفها فاحتار, فحصه فلم يجد شيئاً يقوله له غير ما قاله من قبل وهو أن يستمر بأخذ الدواء. بعد أيام, عاد الشريف وطلبه, دخل عليه وهو يتأوه ويتألم ويقول له "أنقذني أرجوك" وما أشبه من كلام المريض المتألم, فاحتار محمود وبدأ يضطرب في نفسه بسبب ما يحدث وكأن الأدوية التي يعرفها والمفترض أن تنفع لم تنفع. فحصه فلم يجد غير قوله الأول وأكد عليه الاستمرار بأخذ الأدوية وستؤتي أكلها بعد مضي مدة العلاج. بعد أيام, عاد الشريف وطلبه, فلما وصل هذه المرّة قام محمود بسؤال الشريف "أخبرني كيف تأخذ الأدوية التي وصفتها لك؟" فقال "الأدوية كما هي" قال "ماذا تعني, منذ متى لم تتناولها؟" قال "لم أتناولها منذ وصفتها لي وهي على حالها", حين سمع محمود هذا الكلام استشاط غضباً وصفع الشريف على وجهه. تدخل الحراس وأخذوه إلى السجن. أراد الشريف قتله, شفع له أخوه عبدالرحمن وترجّاه أن يخلي سبيله, فقال الشريف أنه يشك أن محمود جاسوس مبعوث إليه ليقتله لأنه ضربه بقوة, فرد عبدالرحمن يدافع عن أخيه وأنه ليس جاسوساً ولا شيء لكنها لحظة غضب خوفاً على صحتك, فخلّى الشريف سبيله وعاد إلى حلب. واستمر على حاله الأولى, يعالج الناس عموماً والمساكين خصوصاً ولا يأخذ منهم أجرة بل يدفع لهم من جيبه الخاص لشراء الأدوية. ثم توفي رحمه الله ودفن في مقبرة وعلى قبره شاهد يدل على صاحب القبر كما هو الحال عادة في بلاد المسلمين. بعد أربعين أو خمسين سنة تقريباً نزلت أمطار شديدة فاضطروا إلى إخراج العظام من هذه المقبرة ونقلها إلى مقبرة أخرى. وهذا أمر شهد عليه عدد كبير من الناس. حين فتحوا قبر محمود, وجدوه كما هو, بل لما لمسوا جلده وجدوه دافئاً وكأن فيه حرارةً الحي. فعلم الناس حينها ولايته وعظم شأنه عند الله تعالى.

أقول: لو أن الشريف حسين عفا الله عنا وعنه قد تنبّه لقيمة تلك الصفعة, لتغيّر حال الأمّة. فإن مشكلة الشريف حينها أنه لم يعرف مرضه, وحين عرف المرض ووصف الطبيب له الدواء لم يأخذه. هكذا كان الأمر في أمر صحة بدنه حالته الطبيعية, وهكذا كان حاله في أمر حصة الأمة وحالته السياسية. الدواء كان البقاء مع العثمانيين والسعي في تعزيزهم, لكنه ترك هذا الدواء وذهب إلى الانجليز الذين هم بيت الداء السياسي في الأرض كلّها. والصفعة جاءته حين نبذه الانجليز ومات منفياً في قبرص مذلولًا نادماً يبكي هو وأهله على أيام مكة. أولياء الله يصفعونك, فإن لم تستيقظ, فانتظر الصفعة من أعداء الله. صفعة الأولياء دواء, صفعة الأعداء شقاء, وإن كان الدواء يُعيد الصحة على ما كانت عليه في سالف الأمر, فإن الشقاء يبقى إلى آخر الدهر. كف الولي خير من عهد الشقي. ومن لا يحسن لنفسه لا يتوقع الإحسان من غيره وإن وقع منهم الإحسان فهو أمر عرضي غير جوهري وآيل إلى الزوال.

...

قال: ما معنى حديث تعليق السوط في البيت لتأديب الأهل.

قلت: المؤمن يتعامل مع زوجه بمودة ورحمة, واستعمال السوط قطعاً ممنوع مع الأهل وأقصى ما ورد هو استعمال السواك فالحديث قطعاً ليس المقصود به الضرب بذلك السوط. المقصود هو أن السوط كان في ذلك الزمان يُعرَف بأنه وسيلة ضرب العبد والدابة, أي توجيه من لا يتعاملون معهم على أساس العقل ووجود الروح المكرمة فيهم. وحيث أن المؤمن يتعامل مع زوجه بناء على العقل والروح, وليس كأنها أمة أو دابة, فتعليق السوط فيه تذكير لهم بما يمكن أن ينحدر إليه الإنسان إن تخلى عن عقله, والفائدة: حين نتعامل مع بعضنا ليكن بناء على العقل والروح, وإياك والانحدار إلى الجهل حتى لا أنحدر معك, ونصير كالجاهليين لا يفهمون إلا لغة السياط والسلاطة. تعليق السوط تذكير بجهنم, ومن الحسن تذكير أهل الجنة بحال أهل جهنم. وفيه أيضاً نعمة من حيث معرفة الشيء الذي أغناهم الله عنه وعن استعماله والحاجة إلى منطقه.

...

إن أردت قضاء حاجة لك عند الله, فقم بما يلي: ابحث عن إنسان له حاجة وكربة, واسع في حل مشكلته, وأثناء سعيك لها وأنت في الطريق اقرأ الفاتحة ثم البسملة مائة مرة ثم الصلاة والسلام على النبي وآله مائة مرة ثم ادع بما شئت. وأتمم حل المشكلة.

...

قلت: بالدراسة غَلَبنا وبالدراسة غُلِبنا.

قالت: الله المستعان.

قال أحدهم: الغرب يعلم علم اليقين أننا أمة الحضارة وإن الإسلام لو كان فى جسد ميت لبعث من جديد فضلا عن جسد مريض.

وقال آخر: البكاء على الاطلال ... كالعادة. و نحن كلنا نعلم السبب في ذلك ... و هم رجال الدين !!

فقلت لهم:

السبب في الحياة لم يكن أشخاص، والسبب في المرض لم يكن أشخاص، والسبب في الموت لم يكن أشخاص. السبب هو ما يفعله كل شخص في نفسه، الفعل المفروض هو اتخاذ طلب العلم مطلقاً كمركز للقيم ومحور تدور عليه الأعمال والخطط والقوانين وكل شئ. وكل خير يتفرّع عن هذه المركزية. لا نحتاج أن نبكي على الأطلال، لأن المركز لا يموت ولا يفنى، المركز يمكن إيجاده بقرار ذاتي، وكل شخص مسؤول عن هذا القرار في نفسه فقط، ثم دعوة الآخرين لمثل ذلك. فإن حصل وصار على الأقلْ 10٪ من

الناس لهم مثل هذا المركز العلمي، حين يمكن إقامة شئ ذو بال على مستوى الأمّة. والمفترض أن يصير أكثر الناس على ذلك الحال، فإن مصائر الأمم تتحدد بناء على أكثريتها وليس على أقليّتها. لا ألوم شخصاً، ولا ألوم شيئاً. المفروض أن يتّخذ كل إنسان مركزاً لحياته هو طلب العلم مطلقاً. من أراد أن يتحدّث عن شئ فليتحدث عن هذا، وعن عقبات هذا، وعن الضروريات اللازمة لإقامة هذا. لا تنظر لشرق ولا غرب، ولا لقديم ولا لحديث، ولا لإسلام ولا لكفر. طلب العلم ولا شئ غير ذلك. وبعد ذلك تنفتح كل الأبواب. وإن أردتها بلسان الدين، فالقرءآن "القوم يعلمون"، والنبي "مدينة العلم"، و"طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة". (والعلم هنا مطلق، وتقييده بنوع معين من العلم أو كمّية محددة من ذلك النوع هو أمر خارجي اعتباطي وتحريف جاء لاحقاً، والنصّ بظاهره يأباه).

...

قالت: ما الحكمة من نزول التوراة والإنجيل والقرآن جغرافياً في بلاد العرب وليس بالغرب؟

قلت: السؤال يفترض فرضية باطلة. السؤال يفترض أنه لم ينزل الله أي شئ على أي شخص إلا في بلاد العرب و "الشرق الأوسط" حسب تعبيرهم. الحق الذي نعرفه بالقرءآن وكذلك بدراسة أديان وملل جميع أهل الأرض سواء قبائل الأبوريجينز في أوستراليا أو الهنود الحمر في أمريكا، وما بينهما، كل ذلك يدلّ على وجود نوع من التنزيل والوحي والإلهام العلوي لأهل تلك المناطق عبر التاريخ. في القرءان "لكل قوم هاد" و "إن من أمّة إلا خلا فيها نذير" و "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم" وآيات كثيرة في الباب. فالسؤال ساقط بسقوط فرضيته الجوهرية.

قالت: أحترم رأيك بالتأكيد .. ماذا لو افترضنا ايضا لأن بعد الفترة الزمنية الطويلة والتي تقدر ب 10 اضعاف ان يكون هذه حكمة لأن يتمم القرآن باقي الأديان ..ويكون للعرب القدر من المسؤولية .. تجاه الدين وتجاه الامة الاسلامية بكل بقاع الارض .. بعدما كانو اكثر البقع عنفا وخلافا .. مجرد رأي.

قلت: يمكن أن نفترض الكثير من الأشياء، لكن العبرة ليست بالافتراض ولا القدرة على التخيّل، لكن العبرة بوجود شئ من الدليل والبرهان الذي يبعث على التعقّل. مثلًا: قولك أن القرءان يتمم باقي الأديان، ما معنى ذلك بالضبط؟ ورد في القرءآن أن الله أهلك الأمم الكافرة من قبل أي التي انتشر فيها الكفر تماماً بحيث لم يبق أثر لصلاح أو إصلاح، بناء على ذلك، كل الأمم التي كانت موجودة أثناء نزول القرءان هي أمم فيها بقية باقية من الصلاح والإصلاح والتوحيد والمعرفة بالحق تعالى بوجه من الوجوه وبدرجة من الدرجات، وإلا لهلكت مع الهالكين. مثال آخر: قولك أن العرب "كانوا أكثر البقع عنفاً وخلافاً" أمر يستحيل إثباته بأي صورة ولا حتى على سبيل الاحتمال المقبول، لأننا لو درسنا العنف الذي كانت ترتكبه الدولة الرومانية على مستوى العالم المعروف لها حينذاك وطالته يدها، أو العنف الذي كانت عليه قبائل الجرمان، على سبيل المثال، وقارنّاه بما كان يحدث بين العرب، لظهر العرب كأحلم خلق الله بالمقارنة. ومن الوجه الآخر، لو قابلنا فنون العرب العقلية اللسانية (واللسان أرقى الوسائل في التعبير عن الروح العالية والأذهان المثقفة) ممثّلا تحديداً في الشعر والسجع والنثر العربي الأصيل، وخصوصاً الشعر، وتأملنا في مدى اهتمامهم بهذه الفنون العقلية العالية، وقارنّا-مرّة أخرى-مدى اهتمام الكثير من دول وقبائل ذلك الزمان بمثل هذه الفنون التجريدية ومدى انتشارها ومقارنة رهافة حسّ العرب والأعراب بنظرائهم من سكان المدن والبادية في كثير من البقاع، لظهر العرب على أولئك بل لما صحّت المقارنة في كثير من الحالات. فدعوى جهل العرب وعنفهم هذه مبالغ فيها أشدّ المبالغة، بل هي باطلة قطعاً ويظهر ذلك لكل من يتأمل حقيقة في أحوالهم وكلامهم الذي يشكف عن عقولهم وأحاسيسهم. الحاصل: حين

نفترض، لابد أن يكون لدينا دليل ما يثبت ولو جوانب من فرضيتنا حتى تكون لها قيمة تفسيرية وتأسيسية.

قال آخر: سر اختيار الجزيرة العربية
"ظلت شبه الجزيرة العربية، وكأنَّها واحة حصينة آمنة من الغزو، إلَّا في بعض أطرافها، آمنة من انتشارِ الدَّعوة الدينية، مسيحية أو مجوسيَّة، إلا في قليل من قبائلها، وهذه ظاهرة قد تبدو في التاريخ عجيبة، لولا ما يفسرها من موقع بلاد العرب ومن طبيعتها، وما للموقع والطبيعة من أثر في حياة أهلها، وفى أخلاقهم وميولهم ونزعاتهم".
موقع شبه الجزيرة الجغرافي
"فشبه جزيرة العرب مستطيل غير مُتوازي الأضلاع، شماله فلسطين وبادية الشَّام، وشرقه الحيرة ودجله والفُرات وخليج فارس، وجنوبه المحيط الهندي وخليج عدن، وغربه بحر القلزم "البحر الأحمر"، فهو إذًا حصين بالبحر من غربه وجنوبه، حصين بالصحراء من شماله، وبالصحراء وخليج فارس من شرقه، وليست هذه المناعة وحدَها التي عصمته من الغزو الاستعماري أو الغزو الديني؛ بل عصمه كذلك ترامي أطرافه، فطول شبه الجزيرة يبلغ أكثر من ألف كيلو متر، وعرضه يبلغ نَحو الألف من الكيلومترات، وعصمه أكثر من هذا جدبُه جدبًا صرف عَيَنْ كل مستعمر عنه، فليس في هذه الناحية الفسيحة من الأرض نهر واحد، وليست لأمطارها فصول معروفة يُمكن الاعتماد عليها، وتنظيم الصناعة إيَّاها، وفيما خلا اليمن الواقعة جنوب شبه الجزيرة، والممتازة بخصب أرضها، وكثرة نزول المطر فيها، فسائر بلاد العرب جبال ونجود وأودية غير ذات زرع، وطبيعة جرداء لا تيسر الاستقرار، ولا تجلب الحضارة، وهي لا تشجِّع على حياة غير حياة البادية، وما تقضي به من الارتحال الدائم، واتِّخاذ الجمل سفينة للصَّحراء، وانتجاع مراعي الإبل، والاستقرار ريثما تأتي الإبل عليها، ثم الارتحال من جديد انتجاعًا لمرعى جديد.
يقول الإمام/ أبو الأعلى المودودي - رحمه الله -: "وإذا نظرت نظرة في جغرافية العالم، علمت أنَّ بلاد العرب هي أنسب أرض للرسالة العالمية، فهي بين آسيا وأفريقيا، وأقرب ما تكون لأوروبا، ولا سيَّما بالنسبة لذلك الزَّمان الذي كانت فيه أمم أوروبا الراقية المتمدنة تسكُن في الأقسام الجنوبية منها، وبعدها عن بلاد العرب يعدل بُعد الهند عن هذه البلاد، ثم إذا قرأت ما قالت كتب التاريخ عن ذلك الزَّمان، عرفت أنه ما كانت في الدُّنيا أمة أنسب وأجدر بهذه الرِّسالة العالمية من الأُمَّة العربية، فقد أخذت أسباب الوهن والانحلال تُدرك سائر الأمم الراقية والقُوى العظيمة، بعد أن أقامت الدنيا وأقعدتها، بينما كانت الأمة العربية - إذ ذاك - موفورة الجأش حامية الدم، وكان نمو المدنية، وارتقاء الحضارة وانتشار الترف في الأمم الأخرى - قد أفسد عليها عاداتها وخصالها.
أمَّا الأمة العربية فما كانت إلى ذلك العهد على مدنية تجعلها ناعمة البال، مولعة بالبذخ والترف، مائلة إلى السفائل والرذائل، وكانت هذه الأُمَّة بمنجاة تامة في القرن السادس الميلادي، من الآثار السيئة المنتشرة في أمم الأرض المتمدنة الأخرى، وكان فيها من الصِّفات الإنسانية العالمية جميع ما يُمكن أن يكون في أمة لم تصدمها المدنية بعواصفها، وكان العرب شجعانًا مقاديم، لا يقيمون وزنًا للرهب والخوف، باسطي الأيدي، قائمين بالعهود، أحرار الفكر والنَّظر، يُحبون الحرية والاستقلال، ويُؤثرونهما على كل شيء آخر، ولم تكن أعناقهم خاضعة لأمة أجنبية، وكانت عاطفة الاستماتة في الذود عن أعراضهم تجري في عروقهم، وكانوا يعيشون عيشة ساذجة لا تَعرف التَّرف والتنعم، لا ريب أنَّه كانت فيهم كثير من السيئات والمنكرات.

ولكن الحقَّ أنَّه ما كان منشأ هذه السيئات إلَّا أنه ما خلا فيهم رسول من الله منذ ألفين وخمسمائة سنة؛ أي: منذ زمن إبراهيم - عليه السلام - إلى بعثة النبي محمد - صلَّى الله عليه وسلَّم - وما قام فيهم زعيم يزكِّيهم، ويُعنى بإصلاح أخلاقهم وتعليمهم المدنيَّة والحضارة، وكانت الجاهليَّة مُنتشرة فيهم لما عاشوا عيشة الحرية في الصَّحراء قروناً من الزَّمان، وقد بلغ تَماديهم في هذه الجاهليَّة أنه لم يكُن لأحد ليقبلَ تهذيبهم وإخراجهم من ظلمات البهيمية إلى نور الإنسانيَّة.

ولكنهم كانوا مع كل ذلك أهلًا لأنْ يُقيموا الدنيا ويقعدوها، إذا عُنِيَ بإصلاحهم وتعليمهم رجل عبقري، وقاموا على أثر دعوته وتعليمه بغاية سامية ورسالة شريفة في الدُّنيا، فإلى مثل هذه الأمة الفتية الباسلة المقدامة، كانت تَحتاج الرِّسالة العالمية لنشر كلمتها وتعميم دعوتها في سائر أرجاء الدُّنيا ونواحيها، ثم انظر نظرة في اللغة العربيَّة، فإنَّك إذا قرأت هذه اللغة، ودرست آدابها، ظهر لك - من دون أدنى ارتياب - أنَّه لا يُمكن أن تكون في الدنيا لغة أنسب من هذه اللغة لأداء الأفكار العالية، والإفصاح عن أدق معاني العلم الإلهي، والتأثير في القلوب، فبالجمل الصغيرة من هذه اللغة تؤدي الموضوعات المهمة، وتكون قوية التأثير في القلوب، إلى مثل هذه اللغة كانت تحتاج معاني القرآن الكريم، فمن حكمة الله البالغة، ورحمته الشاملة بعباده إذًا أن اختار أرض العرب على غيرها للنبوة العالمية.

فقلت:

كلام المودوي غريب جدّاً، ينقض أوّله آخره، وآخره أوّله. فخلاصة قوله أن العرب لهم فضائل عظيمة تؤهلهم لحمل الرسالة، لكن أيضاً العرب في "ظلمات البهيمية" و قد تمادوا "في هذه الجاهلية" ! كيف استقام هذا الأمر عنده، لا أدري. ثم من ناحية أخرى، يقول بأن الأمم الأخرى كانت "مائلة إلى السفائل والرذائل" ولذلك فقدت أهليتها لحمل الرسالة، لكن بعد ذلك يقول بأن العرب "فيهم كثير من السيئات والمنكرات". أيضاً جمع غريب. ثم من ناحية ثالثة، يقول بأن العرب "لم تكن أعناقهم خاضعة لأمّة أجنبية"، وهذا أمر غير ثابت من كل وجه والتاريخ شاهد على ذلك، فإن بعض العرب كانوا خاضعين لكسرى وكسرى كان يعيّن الملوك عليهم (اقرأ ترجمة عدي بن زيد من كتاب الأغاني للأصفهاني، مثلًا). والعرب كانوا في ذلك الوقت بعضهم تابع مباشرة أو غير مباشرة للفرس، وبعضهم للروم (مثل الغساسنة). ثم من ناحية رابعة، الموقع الجغرافي لبلاد العرب ليس بالضرورة فضيلة، لأن موقع فلسطين له نفس تلك الخاصّية وموقع مصر وموقع اسطنبول وموقع أكثر من بلد قد يكون له أهلية مكّة الجغرافية، فنسبة خاصّية جغرافية لمكّة أو المدينة لا يثبت، وأين أمريكا الشمالية وكندا وروسياً من بلاد العرب !؟ وأما قول المودوي "الحق أنه ما كان منشأ هذه السيئات إلا أنه ما خلا فيهم رسول من الله منذ ألفين وخمسمائة سنة أي منذ زمن إبراهيم" هذا القول مردود، بل فيه طعن في الله تعالى، وكأنه ترك العرب بلا أي إرشاد من أي وجه لمدة ألفين وخمسمائة سنة ، سبحان الله، الله أكرم وأجلّ من ذلك "لكل قوم هاد". والقرءآن لم يذكر كل قصص الأنبياء والرسل والأولياء المتّصلون بالملكوت، قال الله "منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك". وأما القول بأن العرب كانوا مناسبين للرسالة لأن أفكارهم كانت ساذجة بدوية خالية من تعقيدات الفلسفة والبحوث العقلية الجدلية، فهذا أيضاً أمر غير ثابت، وعلى فرض ثبوته فيمكن الاستدلال به على أهلية العرب للرسالة كما يمكن الاستدلال به على عدم أهلية العرب للرسالة. أقول غير ثابت، لأن مكّة تحديداً وبقية البلاد مثل المدينة وغيرها كانت متّصلة ببقية الأمم، والتجار في تلك الأزمنة كانوا يرحلون بالبضائع والأفكار في آن واحد، وحين ندرس القرءان وكلمات العرب والأعراب التي كانوا يجادلون بها النبي صلى الله عليه وسلم سنجد أنها تحتوي على أفكار

ونظريات ليست "بدوية ساذجة"، فضلًا عن دراسة الشعر العربي وكلامهم قبل الإسلام سنجد فيه آثاراً لذلك أيضاً. أخيراً، كون الكثير من العرب كانوا يعيشون في فقر الصحراء، لا يدلّ على أهليتهم للرسالة ولا على عدم أهليتهم، هو شيئ يصلح للاحتجاج به على الأهلية وعدمها في آن واحد من وجهين. إذ قد نقول أن فقرهم جعلهم أقرب لتقبّل الإيمان بالآخرة والزهد في الدنيا وكل ما ينتج عن ذلك من خير وعدالة. لكن قد نقول أيضاً-وبنفس القوّة-أن فقرهم جعلهم أكثر اهتماماً وانشغالًا بالماديات وجمع الأموال، وذلك رأس كل خطيئة، ويصيرون أبعد عن معرفة الله والملائكة والأمور العلوية التي تنزّلت منها النبوة. لا يصلح الاحتجاج بشيئ يصلح للاحتجاج على الشيئ ونقيضه بنفس القوّة. الخلاصة: علينا أن ندقق أكثر قبل تعليل الظواهر بأي شيئ يظهر كأن له وجه من الحقيقة، والواقع أنه إما متناقض وإما وهم بحت.

...
كتبت حواراً علمياً لعله يبلغ ثلاث صفحات، في مسألة من أهم المسائل القديمة والحديثة. فعلّق أحدهم فقال : مع الاسف طويلة .

فقلت: لو كانت وليمة لحم أو نقود وأموال، لما تأسفنا على طولها وكثرتها. لكن لما كانت كلمة علم و عبارات تفتح باب الكمال تأسفنا على امتدادها. سبحان من جعل همّ بعض الناس امتلاء البطون وهمّ البعض الآخر امتلاء البواطن.

...
كتبت أن ليس للعرب غير العرب وليس للمسلمين غير المسلمين، وأن الأمم الأخرى لم تحسن معاملتنا إلا حين نكون في حالة قوّة.

فقال أحدهم: و لو قرات جيدا ... لوجدت ان الحروب بين العرب و المسلمين فيما بينهم ... دوما موجودة ... و انهم ربما قتلو من بعضهم بعض اكثر مما قتل لهم على يد الاعداء !!

فقلت:

قد قرأت جيّداً، ولله الحمد. لكنك تغفل عن قضية مهمة جدّاً وفرق شاسع بين حرب غير العرب على العرب، أو حرب غير المسلمين على المسلمين: حين يغلب مسلم مسلماً، أو عربي عربياً، فإن الإسلام أو العربية تبقى مرتفعة وبارزة. لكن حين يغلب غير المسلم أو غير العربي، فإن الإسلام نفسه ينطمس والعربية نفسها تندثر. آثار الحرب لا تُحسَب فقط من حيث وجود الحرب أو من حيث كمّية الضحايا، لكن تُحسَب بمعايير أخرى كالتي ذكرتها لك. هذا أوّلًا. ثانياً، الحرب موجودة بين الناس بشتّى أجناسهم ودولهم شرقاً وغرباً وهذا ليس منقبة لأحد وإن كان مثلبة للجميع. ثالثاً من الجيد أنك تحرّزت وقلت "ربّما قتلوا من بعضهم أكثر مما قتل لهم على يد الأعداء"، لأن الواقع أن هذه ال "ربّما" باطلة قطعاً، فإن عدد الذين قتلهم المغول في الماضي والأمريكان في الحاضر في العراق وحدها يغطّى على كل المقاتل التي أنزلها العرب ببعضهم من قبل أيام عنترة والتي أنزلها المسلمون ببعضهم إلى يومنا هذا. لا نبالغ في وصف الأشياء، ولنحلّ عقدة بغض الذات التي تنخر في عظام المذلولين من أمّتنا.

...
قلت في مناسبة عن العرب والمسلمين: سوّدتم وجوهنا أمام رب العالمين و الأنبياء و المرسلين ، لا بارك الله فيكم و لا في من علّمكم فنّ الحياه و أسباب العزّه .

فقال أحدهم: عفوا لا يجوز التحدث نيابة عن رب العزة ولا يجوز سب العرب والمسلمين.

فقلت: أوّلًا لم نقل "قال رب العزة" لكن قلنا {هتف بنا هاتف}. ثانياً، يجوز التحدث نيابة عن رب العزة، وإلا فماذا تسمّي كلام الأنبياء وكمّل الأولياء. ثالثاً التكلّم بلسان الله وإن كان مجازاً أمر جائز وقد انتشر في تراث علماءنا على مر القرون، ولا يتحرّج منه من يفهم حقيقته، فإن حقيقة تلك الكلمات المنسوبة إلى الحضرة العالية جلّ وعلا وملائكته كلّها كلمات موجودة في القرءان ومن أسراره وبطونه ومعاني لا تخالف مقاصده فتصحّ نسبتها من حيث معناها وإن افترضنا أن ألفاظها ليست من عين الوحي بالمعنى الشائع لذلك. هذا بالنسبة للشقّ الأوّل من تعليقك. أما بالنسبك للشقّ الآخر، فإن الانتقاص ممن يستحقّ النقص جائز بل وأحياناً واجب، وهو منتشر في كلام الله والنبي والعلماء والأولياء والوعاظ قديماً وحديثاً شرقاً وغرباً، ولا أدري من أين جئت بهذه القاعدة "لا يجوز سب العرب والمسلمين". ثم إني لم أسبّ كل العرب والمسلمين بمعنى فرد فرد، لكن ذكرنا ما تستحقه جملتهم بسبب الأوضاع العامّة للأمّة العربية والمسلمة. قال النبي في حديث "ويل للعرب" وقال في آخر عن المسلمين أنهم يكونون كثير "كغثاء السيل" وهذا من الانتقاص العام لمن يستحق ذلك. والأمثلة كثيرة، فتأمل.

قال: يا هداك الله ماذا يعني قولكم (جأرتم اليً لأغيثكم)فمن يجأر اليه ويغيث العباد الا الله وتتكلم بحديث منسوب لرب العزة لا يجوز لنبي ان يحدث به الا اذا كان مأمورا بحديث قدسي فهم رسل الله ينقلون وينشرون رسالاته بين البشر وحضرتكم لستم بنبي تملأ {الفضاء العام} بما تسميه (هتف بي هاتف)اخي الكريم لا يوافقك في اسلوبك هذا من كان في جوفه شيئ من فقه وعلم واعلم ان المسلم ليس بسباب او لعان أليس كذلك ؟اما ماورد غير ذلك من تشخيص لحال العرب والمسلمين فهو لك وأؤيده

قلت: واضح أنك ممن يحتاج إلى تفصيل كثير حتى يستوعب المقصود. سألت، فافهم الإجابة.

أوّلًا، لاحظ أنك رميتي وسببتي بالضلال حين قلت "يا هداك الله" (وإن كان سباباً ضمنياً)، وكذلك حين ادعيت أنه ليس في جوفي شئ من فقه وعلم وذلك في مضمون قولك "لا يوافقك في أسلوبك هذا من كان في جوفه شئ من فقه وعلم". هذا الذي قمت أنت به، هو نفس ما تنتقدي عليه. واضحة ؟ أنت رأيت شيئاً لم تفهمه، شيئاً سيئاً، شيئاً مرفوضاً، فقمت بالتكلّم عنه وانتقاص من ترى أنه أهل للانتقاص بسبب شئ قاله أو فعله. هذا بالضبط ما قمت به أنا. لكن واضح أنك من الضعفاء الذين يرون غيرهم ولا يرون أنفسهم. أنصحك بالقوّة وشجاعة الصدق مع النفس قبل الغير كما أنصح نفسي دائماً بذلك فإني أحبّ لك ما أحبّ لنفسي.

ثانياً، سؤالك عن معنى {جأرتم إليّ لأغيثكم...الخ} يشير إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه "والذي نفسي بيده لتأمُرنّ بالمعروف ولتنهوُنّ عن المنكر أو ليوشكنّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم". والمقصود من كلام الهاتف الذي ذكرته هو بالضبط هذا الحديث، ومفهومه: أنتم تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبقية الأصول اللازمة حتى لا تبلغوا هذا المبلغ من الهوان والجهل والقهر، ثم بعد ذلك تأتون و تجأرون إليّ لأغيثكم، كلّا، لن أستجيب لكم لأنكم تركتم أمري.

ثالثاً، كنت في البداية تنفي أن يتكلّم أحد "بالنيابة" عن رب العزة، ثم فهمت الإشارة ولله الحمد، فقلت بوجود من يتكلّم عن رب العزة. هذه خطوة. لكنك وقعت في مشكلة أخرى حين حصرت هؤلاء المتكلّمين في الأنبياء والرسل بالمعنى الشائع لذلك. وهنا أنت تخالف القرءآن والحديث والأثر وكلام أهل الله شرقاً وغرباً قديماً وحديثاً. فالقرءآن لم يقصر حدوث الكلام الإلهي مع البشر بأنواعه المختلفة ودرجاته المتعددة (وليست كلّها ذات شريعة جديدة، كما يعتقد من لم يفهم كتاب الله)، ومن ذلك الوحي

لأمّ موسى، ولمريم، بل الوحي للنحل أيضاً (والإنسان أشرف من النحلة، لا أقلّ بالقوّة وإن لم يكن بالفعل-حسب الاصطلاح المنطقي). وفي الحديث، أثبت النبي حدوث التحديث الغيبي لبعض الناس، وأنت على ما أحسبك تقبل حديث أن عمر بن الخطاب من هؤلاء "المُحَدَّثون". وأما الاثار وكلام العلماء في ذلك فيطول. فليس كل تكليم إلهي نبوة شريعة جديدة، هذه خرافة شائعة لا أصل لها في كتاب الله. نعم، بعض المتأسلمين، مثل مثل الملحدين، حين لا يذوقون المعنى والحقيقة بأنفسهم ينكرون أن تكون لغيرهم. السلفية والوهابية وأشكالهم عادة من هذا الصنف، مثل الملاحدة بالضبط الذين يقولون أن لا نبوة إلا إن كنّا نحن أنبياء. كذلك هؤلاء، لا يقبلون بوجود ولاية ولا كرامة ولا شئ إلا إن كانت فيهم. لا بأس "ذلك مبلغهم من العلم"، ومثلهم كمثل العنين اللوطي الذي من أجل عنّته يزعم أنه لا وجود للشهوة وعشق النساء. ولعل كفرهم بالتحديث الإلهي والملائكي حرمهم من ذلك.

رابعاً تقول بأني لست بنبي وأملأ الفضاء بهواتف لا دليل عليها. نعم، من حقّك قول ذلك لكن من وجه واحد فقط. وذلك لأنك لا تعرفني ولا تعلم أمري وحقيقة حالي، وقد قال الله "لا تقف ما ليس لك به علم" وأنا أنهاك بأمر الله عن التحدّث عن شئ لا تعلمه. لكن ما يحقّ لك هو أن تقول "أنا لا أعرفك، ولا أعرف إن كنت حقّاً قد سمعت هاتفاً غيبياً أم أنك تكذب وتفتري على الله ورسله". حينها سأقول لك: دعك من السند وعليك بالمتن. انظر فقط في مضمون كلامي، مضمون ما نسبته إلى الهاتف الغيبي، وهذا المضمون تستطيع معرفة حقّه من باطله بالرجوع إلى الأصول القرءانية والحديثية والعقلية. والحمد لله، أنت توافقني أن تشخيصي فقلت "ماورد غير ذلك من تشخيص لحال العرب والمسلمين فهو لك وأؤيده". هذا جوهر المقالة الأول وقد اتفقنا عليه. جيد. لكن مضمون الهاتف الجوهري قد بيّنته لك ومرجعه من الحديث النبوي وهو حديث صحيح رواه حذيفة بن اليمان رحمه الله.

خامساً قولك الذي عدته أكثر من مرّة الآن دون مبرر هو أن المسلم ليس سباباً ولا لعّاناً. ائذن لي أن أذكّر نفسي وأعلّمك شيئاً جديداً، ولعلك تعرفه لكنك لم تذكره حين أرسلت نقدك (وهذا غلط شائع مع الأسف، وهو أننا نعرف المعلومات ولا نحسن توظيفها). بالنسبة للسب، بمعنى الانتقاص مما يستحق النقص، فهذا أمر قد فرغنا منه، القرءآن يفعله، أنت فعلته، وكل الناس تفعله بالضرورة. المقصود بالنهي عن السب في الحديث هو الانتقاص بغير حق، أو الكلام غير الهادف في الانتقاص من قبيل قول العوام والهمج بينهم وبين بعض "كذا أمّك" و "يا حمار" وما شاكل مما لا يحمل فائدة (والحق أن هذه الأمثلة ضعيفة، لأنها كلّها تحمل فوائدة لكن غير مباشرة بالرغم من صفاقتها وحماقتها، ولا أريد أن أدخل في هذا الآن). فدعنا من السباب. الغريب أنني لم "أسبّ" بهذا المعنى. إنما قلت "سوّدتم وجوهنا". وهذه العبارة تشير إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم للأمّة "فلا تسوّدوا وجهي" وذلك بعصياننا وذنوبنا. وأما قولي "سوّد الله وجوهكم" بعدها، فيشير إلى أمرين: الأول مبدأ المجازاة بالمثل، "وجزاء سيئة سيئة مثلها"، فكما أن الأمّة سوّدت وجوه أهل الله فتستحق الدعاء عليها بذلك، فهذا دعاء وليس سبابا. وفائدته، تذكيرهم بأن ما يقع عليهم-والذي شخّصناه في المقالة-إنما جاء بسبب سيئاتهم وجهلهم هم، فيعرفوا أن المصيبة وقعت بسببهم فرفع المصيبة أيضاً بأيديهم، وهذه هي الفائدة المرجوة من كلامي وليس فقط الدعاء. فإننا لا نحب للأمّة إلا بياض الوجوه في الدارين، وإلا لما تكلّما بحرف أصلًا. الأمر الثاني التذكير بقوله تعالى "يوم تسوّد وجوه" وقد فسّرها الإمام جعفر الصادق عليه السلام بأن الذي يدّعون الإمامة وليسوا أهلًا لها هؤلاء تسودّ وجوههم يوم القيامة. والمعنى الذي أشير إليه هو أن سواد وجوهنا في الدنيا والآخرة راجع إذا حققناه إلى قضية الإمامة، الإمامة الروحية والإمامة السياسية،

فحين تتخذ الأمّة الجهال أئمة في الدين والفكر (مثل ما يفعل الوهابية مثلًا)، أو تتخذ أمراء ورؤساء الطغيان والجبرية والدولة العنيفة أئمة في الدنيا والمعاش (مثل ما تفعل كل الدول العربية والإسلامية بلا استثناء) فالنتيجة ستكون سواد الوجه في الدارين. وقبل ذلك، الإمامة الباطنية، أي في قلب وباطن كل إنسان يوجد إمام، وهذا الإمام إن كان هو العقل والقرءان استنارت نفس الفرد ومن بعد ذلك تستنير الأمّة لقوله تعالى الذي ربط بين تغيير ما بالنفس وتغيير ما بالقوم والأمّة. ثم قلت في خاتمة المقال "لا بارك الله فيكم" أي أنتم إلى الآن لا بركة فيكم، لأن البركة هي الخير الثابت النامي (ثلاث عناصر تشكّل تعريف البركة)، وهذه الثلاثة معاً-أي البركة الإلهية-غير حاصلة في الأمّة. والغاية من هذا الدعاء هي التذكير بأن البركة لن تحلّ على الأمّة إلا بتغيير أسباب اللعنة الحالّة عليها سواء من حيث كونهم عرباً أو من حيث كونهم مسلمين. الغاية دعوة إلى إحداث تغييرات حقيقية جذرية، وليست مجرّد نفخ في أبواق نارية.

سادساً، قولك عن اللعن وأنه لا يجوز اللعن. لم تفهم الحديث الشريف الذي يذكر أن المؤمن ليس لعّاناً. وأبسط دليل على ذلك أنك تجد في القرءان {لُعن الذين كفروا على لسان داود وعيسى بن مريم} وسبب هذا اللعن؟ تكملة الآية {كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه}. فكل الذين لا يتناهون عن منكر فعلوه يستحقّون اللعن من هذه الحيثية، اقتداءً بهدي داود خليفة الله وعيسى روح الله. الملائكة وهو مخلوقات من نور تلعن، {يلعنهم اللاعنون} {عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين}. والآيات كثيرة. أما الحديث، فلو استقرأت عدد الروايات التي يوجد فيها {لعن الله} ستجد أنها تقريباً ستمائة، والروايات التي فيها {لعن النبي} أو {لعن رسول الله} فأكثر من ثلاثمائة: النامصة والراشي والمرابي...الخ كلّ أولئك ملعونين على لسان رسول الله، فهل كان رسول الله "لعّانا" بالمعنى المرفوض لذلك حسب ما ورد في الحديث الآخر؟ أترك هذه لك، فلك عقل وإيمان كاف لها إن شاء الله. الآيات تفهم كلّها في سياق متّصل، الأحادث تفهم في ضوء القرءآن وكذلك مع غيرها من الأحاديث الثابتة والمروية المقبولة. لا تقطع شيئاً من أشياء ثم تظنّ أنك فهمت، فتحلل وتحرّم، وتحيز وتمنع، وتنتقد وتذمّ غيرك من المسلمين بغير حق ولا حقيقة فتسيئ لصورة نفسك قبل الإساءة لغيرك. نفس هذا الأسلوب المغلوط في فهم الآيات والأحاديث هو بالضبط أحد أسباب الحالة المزرية التي عليها حال العرب والمسلمين في كثير من النواحي وخصوصاً العلمية والعرفانية، الملّية والحقوقية. الذي يحسن فهم الدين يحسن فهم كل شئ، والذي يسئ فهم الدين يسئ في فهم كل شئ. والسلام.

...

قالت بعد أن قرأت كلماتي عن المرأة في (الأحاديث السابعة): عندك عنصرية للمرأة؟ شكلو في حريم طلعو عينك!!

فقلت: ليس بالضرورة أن كل طبيب تكلّم عن مرض السرطان أنه هو شخصياً عانى من مرض السرطان وطلّع عينه. ثم إرجاع معنى الكلمة فقط لذات المتكلّم وتجربة الكاتب الشخصية يُفقد هذه الكلمة دلالتها الخارجية وواقعها المحايد والمنفصل عنه، ويجعل قراءتها بلا فائدة. كما أني كتبت ما كتبته هنا عن سلبيات المرأة، فإني كتبت في مواضع أخرى عن إيجابيات المرأة، فإن كانت السلبيات تدلّ على عنصريتي فالإيجابيات تدلّ على لا عنصريتي بل على تعصّبي (إن كنّا سنأخذ الأمور بهذا المنطق). ما ذكرته هنا يندرج تحت التعميم والملاحظات الفردية والنكت وبعضه للتسلية وبعضه لتحدّي صاحبة المذهب الأنثوي الغربي (الفيمينزم) التي ترمي الرجل بكل شر وسوء فأردت بتلك الكلمات أن أريها أننا

نستطيع أن نفعل نفس الشئ معهن لو أردنا والنتيجة ستكون غير مشرّفة في الحالتين فعلينا بالإنصاف. (توجد رسالة مبطنة في كلامي).

...

يظن أكثر الناس أن أشعار أبي نواس هي مجرّد عربدة وفسق، لو كان كذلك فما بال ابن عربي يستشهد بأبيات أبي نواس ويسمّيه باسمه الحسن أثناء معراجه وحين بلغ نهاية المعراج. في أمّتنا الكثير من الأسرار، لم يفهمها إلا المصطفين الأخيار.

...

(الردّ على شخص وضع صورة مسلمين عند قبر أحد الأولياء، وصورة ليهود عند قبر أحد أولياءهم، وزعم أن هذا الاقتران دليل على أن كلاهما يعبد الخلق من دون الله تعالى)

فقلت:

أ)الحجة غير منتجة. لأن الحجة مبنية على أن التشابه بين أصحاب دين وأصحاب دين آخر يعني أن الحكم على الاثنين واحد. فبما أننا نرى أن اليهود على باطل, فكل من يفعل فعل اليهود فهو على باطل, ومن ثم تأتي الصورة التي وضعها الواضع ليحتج بها ضد الشيعة أو غيرهم ممن يفعل نفس فعلهم من المسلمين. المشكلة في هذه الحجة أنها نفس الحجة التي يستعملها الملاحدة ضد المسلمين. فمثلًا, نستطيع أن نقول "الحجاب باطل لأن الراهبات المسيحيات يلبسن الحجاب. والنقاب عمل المجوس, لأنه من المعلوم أن المجوسيات كن يضعن النقاب". ونقول أيضاً "الحج والطواف حول حجارة الكعبة وتقبيل الحجر الأسود عمل المشركين والجاهليين, والمسلمون مثلهم في ذلك, لأن الهندوس ومشركي مكة في الجاهلية والسيخ وأديان كثيرة لديها طقوس تشبه تلك الطقوس الغريبة مع الجمادات". وعلى هذا النمط نأتي بكل عمل متشابه بين الأديان والملل ثم نحكم على الكل بحكم واحد-كما فعل صاحب الحجّة- وبالطبع سنضع الصور المناسبة بإخراج فني جيد ونكون قد رفعنا الجلسة في الحكم على أصحاب الصور المتشابهة. ولا تذهب بعيداً, انظر في نفس صورة اليهود, وستجد أن اليهود يلبسون لباساً موحداً وهذا يشبه السلفية الذين يلبسون ثياباً متشابهة وقصيرة أو الغترة والشماغ بدون عقال مثلًا وما شاكل. وستجد أن اليهود لهم لحى طويلة, وهذه تشبه لحى مشايخ المسلمين. ونستطيع أن نأتي بصور ليهود يصلّون في جماعة, ويهود يقرأون كتاباً يدعون أنه من عند الله مثل المسلمين, ويهود يدفعون زكاة أموالهم مثل المسلمين, إلى آخر قائمة التشابه الطويلة. فهل هذا يعني-بحسب منهج صاحب الحجّة-أن المسلمين نسخة من اليهود ؟! أدع هذه لكم, إن كنتم تعقلون.

ب)أما زيارة القبور, من حيث المبدأ بغض النظر عن الأعمال المشروعة هناك, فهو ثابت بالقرءان "لا تقم على قبره", وبالحديث "كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها".

ج)أما التكلم مع أهل القبور, من حيث المبدأ, فهو مشروع مع المؤمنين ومع الكافرين, وثابت بالقرءان والسنة. أما القرءان فقد تكلم شعيب مع الكافرين (سورة الأعراف 93) مع قومه بعد أن هلكوا "فتولى عنهم وقال يا قوم قد أبلغتكم رسالات ربي". أما الحديث فقد تكلم النبي مع المؤمنين "السلام عليكم دار قوم مؤمنين, أنتم السابقون ونحن اللاحقون" وهذا كلام مباشر لهم وليس في الهواء. وتكلم مع الكافرين, كما فعل مع قتلى المشركين في بدر من أهل القليب ورد على الذين ظنوا أن الموتى لا يسمعونه فأثبت سماع الكافرين لكلامه وإن كانوا لا يجيبونه. وقد تكلم أبي بكر مع النبي بعد مماته وقال له "طبت حيا وميتا يا رسول الله" وقيل في رواية "اذكرنا عند ربك"

د)ورد تقبيل أبي بكر لجبين بدن النبي بعد موته في مسند أحمد وأبي يعلى وشمائل الترمذي وحلية الأولياء للأصفهاني وطبقات ابن سعد, وجثمان النبي بعد موته صار-حسب عقيدتكم-مجرد جماد لا ينفع ولا يضر, إنما قبله لأنه كانت فيه روح النبي, كذلك كل سياج وبناء حول الجثمان يجوز تقبيله مثل ما نقبل جلد المصحف لأنه أحاط بألفاظ القرءان, فالمحيط بالمحبوب محبوب مثله, والمحيط بذي القيمة ترتفع قيمته ليس لذاته لكن لما أحاط به. والشاهد على ذلك فعل الصحابي العظيم أبي أيوب الأنصاري, فقد ورد أن مروان الأموي اعترض على أبي أيوب حين رآه مكبّا على القبر الشريف فردّ عليه أبو أيوب "نعم آني لم آت الحجر ولا اللبن إنما جئت رسول الله, لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله".ومن الواضح أن الأمة انقسمت في هذه المسألة إلى فرقتين: فرقة اتبعت أبي أيوب الأنصاري, وقد وورد شيء يشبه فعل أبي أيوب عن فاطمة بنت النبي وبلال سلام الله عليهم., وفرقة اتبعت مروان بن الحكم الأموري في نظرته واعتراضه وطريقته. نسأل الله أن يحشر كل فرقة مع إمامها وسلفها !

هـ)أما حياة أهل الله تحديداً, كالأنبياء والصديقين والشهداء, بعد موتهم فهي ثابتة بالقرءان "أحياء عند ربهم". وكلامهم مع ربهم ثابت بعد مماتهم ويدعون للأحياء ويستبشرون بهم.

الحاصل: الجمع بين ما سبق ينتج لك بالضرورة مشروعية زيارة قبر النبي والولي, والقيام على قبره, والتكلم معه مباشرة, وإظهار مظاهر الحب والشوق مثل التقبيل والتمسح, وفي حال تكلّم مع النبي أو الولي وسأله أن يدعو الله له فيجوز ذلك كما يجوز في حياته الأرضية أن يطلب منه ذلك فقط ثبت أنهم يتكلمون مع الله ويصلّون لله بعد موتهم الأرضي وحياتهم السماوية. وطوبى لمن التفتوا إليه ورضوا أن يدعوا له.

تنبيه: رواية أبي أيوب الأنصاري, رواها أحمد في مسنده وهو منتخب من جميع محفوظاته. ورواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين. فأول الكلام, لا يقال أن هذا العمل لا أصل له وأنه مأخوذ ومسروق من اليهود والنصارى وما شابه ذلك من سفاهات. العمل مروي في كتب من أمهات كتب الحديث, عن كبار المحدثين والحفاظ. هذا أوّلًا. ثانياً, قد تناقش في بعض الرواة, فتقول مثلًا أن فلان قال فيه علان أن فيه ضعف, هذا العمل يمكن القيام به مع جميع الرواة بلا استثناء إذ لم يخل راو من مطعن إن شاء الطاعن أن يطعن, وفي مقابل كل طعن في رواة هذا الحديث يوجد مدح وتعديل وقبول, فإن أخذتم أنتم بجانب الجرح فنأخذ نحن بجانب التعديل, ولكل منا مستند مقبول حسب معايير علم الحديث, فاعلموا ما شئتم واتركوا الذين أخذوا بعمل له أصل في الشريعة يعملون ما يشاؤون وكفوا أذاكم عنهم إن كان لكم عقل وتقوى وشيء من إيمان قليل. وما يلي هذه الفقرة هو بعض أقوال علماء الجرح والتعديل في كل راو من رواة حديث أبي أيوب الأنصاري رضوان الله عليه.

رجال السند خمسة ومما قيل في تعديلهم: الأول قيل فيه (الإمام المحدث مسند العصر رحلة الوقت) الثاني (لم أر في مشايخي أحسن منه) الثالث (الإمام الحافظ, من مشايخ الإسلام, من ثقات النقلة) الرابع (ما أرى به بأس, ليس به بأس, صالح, صدوق, ثقة) الخامس (تلميذ أبي أيوب الأنصاري, مقبول). أخيراً: قال الحاكم في المستدرك بن نقل هذا السند والمتن "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

الخلاصة: أقل ما يقال في الحديث أنه مقبول. وأقل ما يقال فيمن يعمل بناء عليه-وبناء على الأصول الثابتة التي لا يتعارض متن الحديث معها بل يوافقها ويصدر عنها وهي التي أشرنا إليها من قبل-هو

أن هذا العامل لا يصح الطعن فيه بأي طعن وبالأخصّ الطعن فيه بأنه يتشبه باليهود ! هذا لمن أراد وجه الله ولم يتخذ دينه كمجرد حلبة مصارعة يبحث فيها عن المغالبة, أو يتخذه كحزب سياسي يريد فيه تسجيل نقاط على خصومه بأي طريقة كانت وبأي وجه كان. قال الله "لا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا, اعدلوا هو أقرب للتقوى".

...

هذا هو المبدأ الذي أسير عليه في الجرح والتعديل:

إن وافق متن الرواية الكتاب والعقل, أخذت بأحسن ما قيل في الرواة.

إن خالف متن الرواية العقل والكتاب, أخذت بأسوأ ما قيل في الرواة.

...

قال: لماذا سموه علم "الجرح والتعديل" فقدّموا الجرح على التعديل, بدلًا من تسميته "التعديل والجرح", أليس الأصل في المسلم تعديله وليس تجريحه, قال الله "ظن المؤمنون بأنفسهم خيراً" ؟

قلت: الأصل في المؤمن تعديله, لكن الأصل في الرواة تجريحهم. لأن الرواية غير كتاب الله, كثير من الرواة كذبوا على رسول الله, فيكون الأولى اعتبار تجريحهم قبل اعتبار تعديلهم.

...

قال: لو طار الولي بالهواء اومشي على الماء... ليس بشئ حتى يعرض حاله علي الكتاب والسنه (الشافعي).

قلت: عبارة الشافعي لابد من التدقيق في فهمها فإن أكثر الناس يفهمونها بنحو من الواضح بطلانه عند أهل العلم. يظهر معنى عبارته حين تشاهد ما أحدثه علماء الطبيعة من الماديين المنكرين لله والآخرة والنبوات في هذا الزمان. فهؤلاء قد طاروا في الهواء، ومشوا على الماء (بوسائل آلات طبعاً). والطيران والمشي على الماء عبارة عن القدرة على قهر الطبيعة، قهرها بالنسبة لحالة البشر من حيث جسمانيتهم. ولا يكون هذا القهر إلا بواسطة استعمال الذهن والتفكير. لكن قهر الطبيعة لا يعني تحصيل أسباب النجاة في الآخرة، فالعلاقة ليست ضرورية بين الأمرين. ولذلك قال "ليس بشئ حتى يعرض حاله على الكتاب والسنة" لأن الأصل وجوهر الكتاب والسنة تحصيل النور الباطني والنعيم الأخروي، بغض النظر عن الحالة في الدنيا من حيث مدى التمكّن من تسخيرها لأغراض البشر الصالحة والطالحة، فقد يكون من الأولياء وهو أشعث أغبر، وقد يكون من الأشقياء ويملك مصر وأنهارها التي تجري من تحته. وقد يكون العكس كذلك. فمدى التحكم في الطبيعة لا يدلّ على مدى الروحانية، إذ التحكم فيها يصحّ بالذهن والبدن، أما الآخرة فبالروح ونور النبوة والعقل الأعلى "وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم". هذا فهم لعبارة الشافعي. أما العادة أننا نجد الناس يستعملون هذه العبارة، من أمثال الوهابية، ويقصدون به الطعن على العلماء وأهل الله فقط لأنه بحسب فهمهم القاصر والسخيف للكتاب والسنة وجدوا أن الأولياء-والعياذ بالله-من العصاة والخارجين عن الكتاب والسنة. وأقلّ ما كان من المفترض أن يحول بينهم وهذا المسلك الأرعن هو قصّة موسى والعالِم اللدني. ليس بشئ حتى يعرض الناس حاله على الكتاب والسنة. الولي نفسه هو الذي "يعرض حاله على الكتاب والسنة". العارض هو الولي وليس غيره. أما غيره فقد لا يعلم منه ومن حاله ومن عقله ومن توفيق وهداية الله له ما يعلمه الولي نفسه. الذي يتجرأ وينسب الأولياء والعلماء إلى الخروج الإرادي عن الكتاب والسنة، يُهلك نفسه من حيث لا يشعر.

الكتاب والسنة أعمق وأوسع وأكبر دلالة وحقيقة مما يظنّه أكثر الفقهاء فضلًا عن أكثر غير المتفقهين والمتعلمين المدققين.

....انتهى الكتاب والحمد لله رب العالمين.